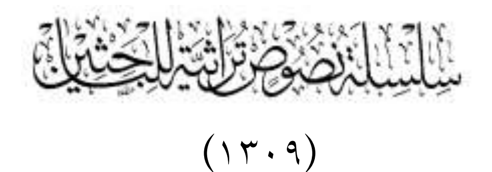


(١٣٠٩)

السلوك

قيم وضوابط

من مصنفات ابن تيمية وابن القيم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ص -٢٧١- في فهمه، بحيث إنه لا يحيط بمعنى الكلام إذا سمعه، وظهر أثر اليبس في عينيه حتى كادتا أن تغورا . وقد وجد في هذا الاجتهاد شيئا من الأنوار، وهو لا يترك هذا الصيام لعقده الذي عقده مع الله -تعالى، لخوفه أن يذهب النور الذي عنده، فإذا نهاه أحد من أهل المعرفة يتعلل، ويقول : أنا أريد أن أقتل نفسي في الله، فهل صومه هذا يوافق رضا الله تعالى وهو بهذه الصفة ؟ أم هو مكروه لا يرضى الله به ؟ وهل يباح له هذا العقد وعليه فيه كفارة يمين أم لا ؟ وهل اشتغاله بما فيه صلاح جسمه، وصيانة دماغه، وعقله، وذهنه، ليتوفر على حفظ فرائضه، ومصلحة عياله الذي يرضى الله منه، ويريده منه أم لا ؟ وهل إصراره على ذلك موجب لمقت الله تعالى حيث يلقى نفسه إلى التهلكة بشيء لم يجب عليه ؟

وإن كان مشروعا في السنة، فهل هو مشروع مطلقا لكل أحد ؟ أم هو مخصوص بمن لا يتضرر به ؟ يسأل كشف هذه المسألة وحلها فقد أعيا هذا الشخص الأطباء، وأحزن العقلاء لدخوله في السلوك بالجهل، غافلا عن مراد ربه، ونسأل تقييد الجواب، وإعضاده بالكتاب والسنة، ليصل إلى قلبه ذلك، آجركم الله تعالى ومتع المسلمين بطول بقاكم، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، ورضي الله عن أصحابه أجمعين .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٣>

"ص -٢٤٧- مستعينين بالله على سلوك سبيل أهل ولايته وأحبته :

عن يحيي بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوي، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

هذا حديث صحيح متفق على صحته، تلقته الأمة بالقبول والتصديق، مع أنه من غرائب الصحيح؛ فإنه، وإن كان قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة، كما جمعها ابن منده وغيره من الحفاظ، فأهل الحديث متفقون على أنه لا يصح منها إلا من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه المذكورة، ولم يروه عنه إلا علقمة بن وقاص الليثي، ولا عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم، ولا عن محمد إلا يحيي بن سعيد الأنصاري قاضي المدينة .

ورواه عن يحيي بن سعيد أئمة الإسلام، يقال : إنه رواه عنه نحو من مائتي عالم، مثل : مالك، والثوري،

وابن عيينة، وحماد، وحماد، وعبد الوهاب الثقفي، وأبي خالد الأحمر، وزائدة، ويحيي بن سعيد." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥>

"ص -٣٦٧- وأما إن كان المشتري ألزم بالأرش؛ لأجل القناة المحدثة التي لا يجوز إحداثها، فله أن يطالب البائع الغار له بأرش ما لزمه بغره .

وسئل رحمه الله عن أناس يتعانون خروج المياه، مثل ماء الورد وغيره، ثم إنهم يأخذون حرقان الورد، وينقعونه، ويستخرجوه عن العادة، وكذلك الينوفر ينقعونه يابسا، فهل يجوز لهم أن يفعلوا ذلك، ويبيعوه ؟

فأجاب :

لا يجوز خلط الماء الأول بالماء الثاني لمن يريد بيعه، ولو علم بذلك المشترون، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى أن يشاب اللبن بالماء للبيع، ولا بأس به للشرب؛ فإن هذه المائعات إذا شيبت لم يعرف مقدار ما يدخلها من الغش . وعلى ولي الأمر عقوبة من يفعل ذلك، **وسلوك** طريق يمتنعون بها عن الغش .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٢>

"ص -٤١- أيضا؛ لأن التناقض اختلاف مقالتين بالنفي والإثبات . فإذا كان في وقت قد قال : إن هذا حرام . وقال في وقت آخر فيه أو في مثله : إنه ليس بحرام، أو قال ما يستلزم أنه ليس بحرام، فقد تناقض قولاه، وهو مصيب في كليهما عند من يقول : إن كل مجتهد مصيب، وأنه ليس لله في الباطن حكم على المجتهد غير ما اعتقده .

وأما الجمهور الذين يقولون : إن لله حكما في الباطن، علمه العالم في إحدى المقالتين ولم يعلمه في المقالة التي تناقضها، وعدم علمه به مع اجتهاده مغفور له، مع ما يثاب عليه من قصده للحق واجتهاده في طلبه؛ ولهذا يشبه بعضهم تعارض الاجتهادات من العلماء بالناسخ والمنسوخ في شرائع الأنبياء، مع الفرق بينهما بأن كل واحد من الناسخ والمنسوخ ثابت بخطاب حكم الله؛ باطنا، وظاهرا، بخلاف أحد قولي العالم المتناقضين .

هذا فيمن يتقي الله فيما يقوله، مع علمه بتقواه، **وسلوكه** الطريق الراشد .

وأما أهل الأهواء والخصومات، فهم مذمومون في مناقضاتهم؛ لأنهم يتكلمون بغير علم، ولا حسن قصد لما يجب قصده .

وعلى هذا، فلازم قول الإنسان نوعان :." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٣٩>

"ص -٣٠٧- والسنة من القسم الثاني . وقد أمرنا الله أن نقول في كل صلاة : ﴿ \ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] آمين .
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اليهود مغضوب عليهم، والنصاري ضالون " قال سفيان بن عيينة : كانوا يقولون : من فسد من العلماء، ففيه شبه من اليهود . ومن فسد من العباد، ففيه شبه من النصاري . وكان السلف يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون . فطالب العلم إن لم يقترن بطلبه فعل ما يجب عليه، وترك ما يحرم عليه من الاعتصام بالكتاب والسنة، وإلا وقع في الضلال .
وأهل الإرادة إن لم يقترن بإرادتهم طلب العلم الواجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وإلا وقعوا في الضلال والبغي، ولو اعتصم رجل بالعلم الشرعي من غير عمل بالواجب، كان غاويا . وإذا اعتصم بالعبادة الشرعية من غير علم بالواجب كان ضالا . والضلال سمة النصاري، والبغي سمة اليهود، مع أن كلا من الأمتين فيها الضلال والبغي . ولهذا تجد من انحرف عن الشريعة في الأمر والنهي من أهل الإرادة والعبادة **والسلوك** والطريق، ينتهون إلى الفناء الذي لا يميزون فيه بين المأمور والمحظور، فيكونون فيه متبعين أهواءهم .
وإنما الفناء الشرعي أن يفني بعبادة الله عن عبادة ما سواه،." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٥٠>

"ص -٢٨٩- أو حسنات ماحية أو غير ذلك .
واعلم أن هذه السبيل هي التي يجب **سلوكها**، فإن ما سواها طريقان خبيثان :
أحدهما : القول بلحوق الوعيد لكل فرد من الأفراد بعينه ودعوى أن هذا عمل بموجب النصوص ، وهذا أقبح من قول الخوارج المكفرين بالذنوب والمعتزلة وغيرهم وفساده معلوم بالاضطرار وأدلته معلومة في غير هذا الموضع .
الثاني : ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظنا أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيما خالفها .
وهذا الترك يجر إلى الضلال واللحوق بأهل الكتابين الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم " ويفضي إلى طاعة المخلوق في معصية الخالق ويفضي إلى قبح العاقبة

وسوء التأويل المفهوم من فحوى قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩] .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٦٠>

"ص -٩٦- إما علي فواحش، أو محبة شيطانية، كمحبة المردان ونحوهم، وإن أظهروا خلاف ذلك من اشتراك في الصنائع ونحوها، وإما تعاون علي ظلم الغير، وأكل مال الناس بالباطل؛ فإن هذا من جنس مؤاخاة بعض من ينتسب إلي المشيخة **والسلوك** للنساء، فيؤاخي أحدهم المرأة الأجنبية، ويخلو بها . وقد أقر طوائف من هؤلاء بما يجري بينهم من الفواحش . فمثل هذه المؤاخاة وأمثالها مما يكون فيه تعاون علي ما نهي الله عنه كائنا ما كان حرام باتفاق المسلمين .

وإنما النزاع في مؤاخاة يكون مقصودهما بها التعاون علي البر والتقوي، بحيث تجمعهما طاعة الله، وتفرق بينهما معصية الله، كما يقولون : تجمعنا السنة وتفرقنا البدعة فهذه التي فيها النزاع فأكثر العلماء لا يرونها استغناء بالمؤاخاة الإيمانية التي عقدها الله ورسوله؛ فإن تلك كافية محصلة لكل خير، فينبغي أن يجتهد في تحقيق أداء واجباتها، إذ قد أوجب الله للمؤمن علي المؤمن من الحقوق ما هو فوق مطلوب النفوس، ومنهم من سوغها علي الوجه المشروع إذا لم تشتمل علي شيء من مخالفة الشريعة .

وأما أن تقال علي المشاركة في الحسنات والسيئات، فمن دخل منهما الجنة أدخل صاحبه، ونحو ذلك مما قد يشرطه بعضهم علي بعض، فهذه الشروط وأمثالها لا تصح ولا يمكن الوفاء بها؛ فإن الشفاعة لا تكون." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٩٤>

"ص -٣٩٠- والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت " .

فهذا الذكر تضمن الأنواع الثلاثة . فقدم ما هو خبر عن الله واليوم الآخر ورسوله، ثم ذكر ما هو خبر عن توحيد العبد وإيمانه، ثم ختم بالسؤال . وهذا لأن خبر الإنسان عن نفسه **سلوك** يشهد فيه نفسه، وتحقيق عبادة الله عز وجل . وأما الثناء المحض، فهو لا يشهد فيه إلا الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وما جرد فيه ذكر الله تعالي أفضل مما جرد فيه الخلق أيضا . ولهذا فضلت سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، وجعلت تعدل ثلث القرآن؛ لأنها صفة الرحمن وذكره محضا لم تشب بذكر غيره، لكن في ابتداء **السلوك** لابد من ذكر الإنشاء . ولهذا كان مبتدأ الدخول في الإسلام : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

بخلاف حال العبادة المحضة، فإنه يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . فإن الشهادة بها يصير مسلما، وهو الأصل والأساس، ولهذا جعلت ركنا في الخطب في خطب الصلاة وهي التشهد يختم بقوله : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . وفي الخطب خارج -كخطبة." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٣٤>

"ص -٥٦- وعمل، فابتدأ بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد، حتى طلع على كنه مقاصدهم العلمية .

ثم إنه علم يقينا أنهم أصحاب أحوال، لا أصحاب أقوال، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصله، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالتعلم والسماع، بل بالذوق **والسلوك** .

قال : وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها،والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية، والعقلية إيمان يقيني بالله، وبالنبوة وباليوم الآخر .

وهذه الأصول الثلاثة – من الإيمان – كانت قد رسخت في نفسي بالله لا بدليل معين مجرد، بل بأسباب وقرائن وتجارب، لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها، وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى . وذكر أنه تخلى عشر سنين . إلى أن قال : انكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به : أني علمت يقينا، أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم، وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٠>

"ص -٦٩- وذلك نظير من وصف له ملك مدينة، بأنواع من الصفات، فقدم حتى رأى بعض شؤونه التي دلته على صدق المخبر فيما لم يشهد . ولست أجعل مجرد هذه الشهادة مصدقة، فإن المخبر قد يصدق في بعض، ويخطئ في بعض،وإنما ذلك بواسطة إخبار المخبر – أي رسول الله – وشهوده منه ما يوجب له امتناع الكذب عليه، كما يذكر في غير هذا الموضع .

فإن قلت : فمن أين له ابتداء صحة الإيمان بالله ورسوله، حتى يصير ذلك أصلا يبني عليه، وينتقل معه إلى ما بعده ؟ فأهل القياس والوجد إنما تعبوا التعب الطويل في تقرير هذا الأصل في نفوسهم، ولهذا يسمي المتكلمون كل ما يقرر الربوبية والنبوة : العقليات والنظريات، ويسميها أولئك : الذوقيات، والوجديات، ورأوا

أن ما لا يتم معرفة الله ورسوله إلا به فمعرفته متقدمة على ذلك، وإلا لزم الدور . فسموا تلك عقليات، والعقليات لا تنال إلا بالقياس العقلي المنطقي .

قلت : جواب هذا من وجوه :

أحدها : المعارضة بالمثل، فإن سالك سبيل النظر القياسي، أو الإرادة الذوقية، من أين له ابتداء أن **سلوك** هذا الطريق يحصل له علما، ومعرفة، ليس معه ابتداء إلا مجرد إخبار مخبر بأنه سلك هذا الطريق فوصل، أو خاطر يقع في قلبه **سلوك** هذا الطريق، إما مجوزا للوصول أو متحريا أو غير ذلك، أو **سلوكا** ابتداء بلا انتهاء، وليس ذلك مختصا بالعلم الإلهي، بل كل العلوم لابد للسالك فيها ابتداء من مصادرات يأخذها مسلمة إلى أن تتبرهن فيما بعد .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/١٦>

"ص -٧٠- إذا لو كان كل طالب العلم حين يطلبه قد نال ذلك العلم، لم يكن طالبا له، والطريق التي يسلكها قد يعلم أنها تفضي به إلى العلم .

لكن الكلام في أول الأوائل، ودليل الأدلة، وأصل الأصول . فإنه لو كان حين ينظر فيه يعلم أنه دليل مفض لم يمكن ذلك حتى يعلم ارتباطه بالمدلول، فإن الدليل إن لم يستلزم المدلول لم يكن دليلا .

والعلم بالاستلزام موقوف على العلم بالملزوم واللازم، فلا يعلم أنه دليل على المدلول المعين،حتى يعلم ثبوت المدلول المعين، ويعلم أنه ملزوم له، وإذا علم ذلك استغنى عن الاستدلال به على ثبوته، وإنما يفيده التذكير به، لا ابتداء العلم به، وإنما يقع الاشتباه هنا؛ لأنه كثيرا ما يعرف الإنسان ثبوت شيء، ثم يطلب الطريق إلى معرفة صفاته، ومشاهدة ذاته، إما بالحس، وإما بالقلب، فيسلك طريقا يعلم أنها موصلة إلى ذلك المطلوب؛ لأنه قد علم أن تلك الطريق مستلزم لذلك المطلوب الذي علم ثبوته قبل ذلك .

كمن طلب أن يحج إلى الكعبة، التي قد علم وجودها، فيسلك الطريق التي يعلم أنها تفضي إلى الكعبة، لإخبار الناس له بذلك، أو يستدل بمن يعلم أنه عارف بتلك الطريق، **فسلوكه** للطريق بنفسه بعد علمه أنها طريق المقصود بإخبار الواصلين، أو **سلوكه** بدليل خريت يهديه في كل منزلة لا يكون إلا بعد العلم بثبوت المطلوب، وثبوت أن هذا طريق ودليل . وهكذا حال الطالبين لمعرفة الله، والمريدين له، والسائرين إليه، قد عرفوا." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠/١٧>

"ص -٧١- وجوده أولا وهم يطلبون معرفة صفاته، أو مشاهدة قلوبهم له في الدنيا . فيسلكون الطريق الموصلة إلى ذلك بالإيمان والقرآن .

فالإيمان : نظير **سلوك** الرجل الطريق التي وصفها له السالكون، فإنهم متفقون على ذلك .

والقرآن : تصديق الرسل فيما تخبر به، وهو نظير اتباع الدليل منزلة منزلة، ولابد في طريق الله منهما .
وأما الشيء الذي لم يعلم العقل ثبوته أولا، إذا سلك طريقا يفضي إلى العلم به – فلا يسلكها ابتداء إلا بطريق التقليد والمصادرة – كسائر مبادئ العلوم – فإذا كان لابد في الطريقة القياسية، والعملية، من تقليد في الأول في **سلوكه** فيما لم يعلم أنه طريق، وأنه مفض إلى المطلوب أو أن المطلوب موجود، فالطريقة الإيمانية إذا فرض أنها كذلك لم يقدح ذلك فيها، بل تكون هي أحق، لوجوه كثيرة .
ونذكر بعضها إن شاء الله .
بل لا طريق إلا هي أو ما يفضي إليها، أو يقترن بها فهي شرط قطعا في درك المطلوب، وما سواها ليس بشرط، بل يحصل المطلوب دونه وقد يضر بحصول المطلوب فلا يحصل، أو يحصل نقيضه وهو الشقاء الأعظم على التقديرين، فتلك الطريق مفضية قطعا ولا فساد فيها، وما سواها يعتريه الفساد كثيرا، وهو لا يوصل وحده، بل لابد من الطريقة الإيمانية .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/٢٠>
"ص -١١٣- ولهذا قال : ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف، وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] أي : وإن كان الكل أربابا بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم، بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه، وأقروا له بذلك . فقالوا له : ﴿ فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ [طه : ٧٢] ، والدولة لك، فصح قول فرعون : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ . وإن كان عين الحق .
قال : ومن أسمائه الحسنى العلي؛ على من : وما ثم إلا هو ؟ وعن ماذا؛ وما هو إلا هو ؟ إلى قوله : ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، فالآمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة .
وقال : ألا ترى أن الحق يظهر بصفات الخلق ؟ فكل صفات الحق حق له، كما أن صفات المحدثات حق للخالق ونحو ذلك، مما يكثر في كلامه، وهذا الرجل له ترتيب في **سلوكه**، من جنس ترتيب الملاحدة، القرامطة . فأول ما يظهر اعتقاد معتزلة الكلابية، الذين ينفون الصفات الخبرية، ويثبتون الصفات السبعة أو الثمانية، ثم بعد ذلك اعتقاد الفلاسفة، الذين ينفون الصفات ويثبتون وجودا واجبا مجردا، صدرت عنه الممكنات .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/٢٢>
"ص -١١٥- إن قلت عبد فذاك نفي
لأن العبد ليس له عنده وجود مخلوق، بل وجوده هو الوجود الواجب القديم عنده، وهذا مبسوط في غير

هذا الموضع .

فإن كلام الرجل يفسر بعضه بعضا، وهذا الأصل وهو القول بوحدة الوجود قوله وقول ابن سبعين، وصاحبه الششتري، والتلمساني، والصدر القونوي، وسعيد الفرغاني، وعبد الله البلياني، وابن الفارض صاحب نظم **السلوك**، وغير هؤلاء من أهل الإلحاد، القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد .

وأما مدلول هذا الشعر : فإن قوله :

ياليت شعري من المكلف

استفهام إنكار للمكلف . ثم قال :

إن قلت عبد فذاك ميت

وفي موضع آخر قال : فذاك نفى . وكلاهما باطل، فإن العبد موجود وثابت ليس بمعدوم منتف، ولكن الله هو الذي جعله موجودا ثابتا، وهذا هو دين المسلمين، أن كل ما سوى الله مخلوق لله موجود، يجعل الله له وجودا، فليس لشيء من الأشياء وجود إلا بإيجاد الله له، وهو باعتبار نفسه لا يستحق إلا العدم . . . موجودا حيا ناطقا فاعلا مريدا قادرا، بل هذا كله . . . لا يمنع ثبوت ذواتها، وصفاتها، وأفعالها .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/٢٢>

"ص -٢٤٣- وكما قال ابن الفارض في قصيدته التي نظمها على مذهبهم، وسماها نظم **السلوك** :

إلى رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي على استدلت

ومضمونها : هو القول بوحدة الوجود، وهو مذهب ابن عربي، وابن سبعين، وأمثالهم، كما قال :

لها صلاتي، بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل، عابد ساجد إلى حقيقة الجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي، فلم تكن صلاتي لغيري، في أدا كل ركعة

إلى قوله :

وما زلت إياها، وإياي لم تزل ولا فرق، بل ذاتي لذاتي أحبت

ومثل هذا كثير، والله أعلم .

وحدثني صاحبنا الفقيه الصوفي، أبو الحسن على بن قرباص : أنه دخل على الشيخ قطب الدين بن القسطلاني، فوجده يصنف كتابا . فقال : ما هذا ؟ فقال : هذا في الرد على ابن سبعين، وابن الفارض، وأبي الحسن الجزلي، والعفيف التلمساني .

وحدثني عن جمال الدين بن واصل، وشمس الدين الأصبهاني : أنهما كانا." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١١/٢٤>

"ص -٢٨٩- وتعالى اشتاق بأن يرى ذاته المقدسة، فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر إلى ذاته المقدسة فيها، وإني أنا ذلك النور، وآدم المرآة . قال ابن الفارض في قصيدته **السلوك** :

وشاهد إذا استجليت نفسك من ترى بغير مراء في المرآة الصقيلة

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر إليك بها عند انعكاس الأشعة

قال : وقال ابن إسرائيل : الأمر أمران : أمر بواسطة، وأمر بغير واسطة، فالأمر الذي بالوسائط رده من شاء الله وقبله من شاء الله، والأمر الذي بغير واسطة لا يمكن رده، وهو قوله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ [النحل : ٤٠] .

فقال له فقير : إن الله قال لآدم بلا واسطة : لا تقرب الشجرة، فقرب وأكل . فقال : صدقت، وذلك أن آدم إنسان كامل، ولذلك قال شيخنا علي الحريري : آدم صفي الله تعالى، كان توحيده ظاهرا وباطنا، فكان قوله لآدم : " لا تقرب الشجرة " ظاهرا، وكان أمره [كل] باطنا، فأكل فكذلك قوله تعالى . وإبليس كان توحيده ظاهرا، فأمر بالسجود لآدم، فرآه غيرا فلم يسجد، فغير الله عليه وقال : ﴿ اخرج منها ﴾ [الأعراف : ١٨]

وقال شخص لسيدي : يا سيدي حسن، إذا كان الله يقول لنبيه : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، إيش نكون نحن ؟ فقال سيدي له : ليس الأمر كما تقول أو تظن، فقوله له : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ عين الإثبات للنبي." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢٥>

"ص -٢٩٤- فأجاب رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين، هذه الأقوال المذكورة تشتمل على أصلين باطلين، مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى، مع مخالفتهما للمنقول والمعقول .

أحدهما : الحلول والاتحاد، وما يقارب ذلك، كالقول بوحدة الوجود، كالذين يقولون : إن الوجود واحد، فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق، كما يقول ذلك أهل الوحدة، كابن عربي، وصاحبه القونوي، وابن سبعين، وابن الفارض صاحب القصيدة التائية نظم **السلوك** وعامر البصري السيواسي، الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض . والتلمساني الذي شرح [مواقف النفري] وله شرح الأسماء الحسنى، على طريقة هؤلاء، وسعيد الفرغاني، الذي شرح قصيدة ابن الفارض، والششتري صاحب الأزجال، الذي

هو تلميذ ابن سبعين، وعبد الله البلياني، وابن أبي المنصور المتصوف المصري، صاحب [فك الأزرار عن أعناق الأسرار] وأمثالهم .

ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعمض." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/١٠>

"ص -٢٩٧- وصاحبه الششتري، وقصيدة ابن الفارض نظم **السلوك** وقصيدة عامر البصري، وكلام العفيف التلمساني، وعبد الله البلياني، والصدر القونوي وكثير من شعر ابن إسرائيل، وما ينقل من ذلك عن شيخه الحريري، وكذلك نحو منه يوجد في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود .

وكثير من أهل **السلوك**، الذين لا يعتقدون هذا المذهب، يسمعون شعر ابن الفارض وغيره، فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب، فإن هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال، ما حير كثيرا من الرجال .

وأصل ضلال هؤلاء : أنهم لم يعرفوا مباينة الله لمخلوقاته، وعلوه عليها، وعلموا أنه موجود، فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها .

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال : فالسلف والأئمة يقولون : إن الله فوق سمواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح، الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه، من إقرارهم به، وقصدهم إياه سبحانه وتعالى .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/١٣>

"ص -٣١٤- رجلا كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه فقال : أنا وقعت فلم وقعت أنت ؟ فقال : غبت بك عني، فظننت أنك أني . فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات إذا شهد قلبه وجود الخالق، وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين .

ومن الناس من يجعل هذا من **السلوك**، ومنهم من يجعله غاية **السلوك**، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه .

وهذا غلط عظيم، غلطوا فيه بشهود القدر وأحكام الربوبية عن شهود الشرع والأمر والنهي، وعبادة الله وحده وطاعة رسوله، فمن طلب رفع إنيته بهذا الاعتبار، لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا .

وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى : فهذا حال النبيين وأتباعهم، وهو أن يفنى بعبادة الله عن

عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له، وهو الحنيفية ملة إبراهيم .

ويدخل في هذا : أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله، فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، فهذا هو الفناء الديني الشرعي، الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/٣٠>

"ص -٣١٥- ومن قال :

فارفع بحقك إنيي من البين

بمعنى أن يرفع هو نفسه فلا يتبع هواه، ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته، بل يكون عمله لله لا لهواه، وعمله بالله وبقوته لا بحوله وقوته، كما قال تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] فهذا حق محمود .

وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال : رأيت رب العزة في المنام فقلت : خدايي كيف الطريق إليك ؟ قال : اترك نفسك وتعال أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك فيكون عملك لله واستعانتك بالله، كما قال تعالى : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣]

والقول المحكي عن ابن عربي :

وبي حلفت وإن المقسم الله

هو أيضا من إلحادهم وإفكهم جعل نفسه حالفة بنفسه، وجعل الحالف هو الله، فهو الحالف والمحلوف به، كما يقولون : أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا بنفسه، فهو المرسل والمرسل إليه والرسول . وكما قال ابن الفارض في قصيدته نظم السلوك :

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/٣١>

"ص -٣٦٥- ويقولون : إن وجود الأصنام هو وجود الله، وإن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله .

ويقولون : إن الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم .

ويقولون : إن عباد العجل ما عبدوا إلا الله، وإن موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل، وإن موسى كان بزعمهم من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء، بل يرونه عين كل شيء، وأن

فرعون كان صادقا في قوله : ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] ، بل هو عين الحق، ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص .

ويقول أعظم محققيهم : إن القرآن كله شرك؛ لأنه فرق بين الرب والعبد، وليس التوحيد إلا في كلامنا .

فقيل له : فإذا كان الوجود واحدا، فلم كانت الزوجة حلالا والأم حراما ؟ فقال : الكل عندنا واحد، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام . فقلنا : حرام عليكم .

وكذلك ما في شعر ابن الفارض في قصيدته التي سماها نظم **السلوك** كقوله :

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢٦>

"ص -٤٥٧- وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في **سلوكه** الربوبية، والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق، من الأعيان والصفات .

وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية، التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بها فيقول : " أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن " .

فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضا ومطلوب منه، وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الإلهي، الذي هو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، والأمر بما أمر به، والنهي عما نهى عنه، والحب فيه، والبغض فيه، ومن أعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالأول، فهو يشبه القدرية المشركية الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

ومن أخذ بالثاني دون الأول، فهو من القدرية المجوسية الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد، ولا شاء جميع الكائنات، كما تقول المعتزلة والرافضة، ويقع في كلام كثير من المتكلمة والمتفقهة .

والأول ذهب إليه طوائف من الإباحية المنحلين عن الأوامر والنواهي، وإنما يستعملون ذلك عند أهوائهم وإلا فهو لا يستمر، وهو كثير في المتألهة." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/٢٧>

"ص -٤٧١- والمظاهر، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر **بالسلوك** بكثير مما أمر به المشائخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه **سلوكهم**، فينتفعون بذلك

وإن كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله .

وأما صاحبه الصدر الرومي فإنه كان متفلسفا، فهو أبعد عن الشريعة والإسلام؛ ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول : كان شيخي القديم متروحنا متفلسفا، والآخر فيلسوفا متروحنا يعني الصدر الرومي فإنه كان قد أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود، وغيره يقول : إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لا يوجد إلا في الخارج مطلقا، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة .

فحقيقة قوله : إنه ليس لله سبحانه وجود أصلا، ولا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات؛ ولهذا يقول هو وشيخه : إن الله تعالى لا يرى أصلا، وأنه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير، والبول والعذرة، عين وجوده تعالى الله عما يقولون .

وأما الفاجر التلمساني، فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر، فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين

ر." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٢٧>

"ص -٤٧٢- كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وإن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبا، فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثم غير يبين له الأمر .

ولهذا كان يستحل جميع المحرمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول : البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علنا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام، فقلنا : حرام عليكم .

وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا .

وكان يقول : أنا ما أمسك شريعة واحدة، وإذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له .

وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره في صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل : " لحم خنزير في طبق صيني " وصنف للنصيرية عقيدة، وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه .

وأما ابن سبعين، فإنه في البدو والإحاطة يقول أيضا بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم **السلوك**، لكن لم يصرح : هل يقول بمثل قول التلمساني، أو قول الرومي، أو قول ابن عربي ؟ وهو إلى كلام التلمساني أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/٢٧>

"ص -٣٠- من عارفيهم ومحققيهم وموحديهم : رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحظورات وقد يدخل في المنتسبين إلى التصوف **والسلوك** من يدخل في بعض هذه المذاهب وهؤلاء الباطنية : هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى وما يحتج به على الملاحدة أهل الإيمان والإثبات : يحتج به كل من كان من أهل الإيمان والإثبات على من يشرك هؤلاء في بعض إلحادهم فإذا أثبت لله تعالى الصفات ونفي عنه مماثلة المخلوقات كما دل على ذلك الآيات البينات كان ذلك هو الحق الذي يوافق المعقول والمنقول ويهدم أساس الإلحاد والضلالات

والله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه فإن الله لا مثيل له، بل له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يشرك هو والمخلوقات في قياس تمثيل، ولا في قياس شمول تستوي أفراده؛ ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه، فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم: فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسم

وهكذا القول في المثل الثاني :." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٥/٣٢>

"ص -٧٩- فصل

وأفسد من ذلك ما يسلكه نفاة الصفات، أو بعضها إذا أرادوا أن ينزهوه عما يجب تنزيهه عنه، مما هو من أعظم الكفر، مثل أن يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكاء ونحو ذلك، ويريدون الرد على اليهود، الذين يقولون : إنه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، والذين يقولون بإلهية بعض البشر وأنه الله .

فإن كثيرا من الناس يحتج على هؤلاء بنفي التجسيم والتحيز ونحو ذلك، ويقولون : لو اتصف بهذه النقائص والآفات لكان جسما أو متحيزا، وذلك ممتنع، **وبسلوكهم** مثل هذه الطريق استظهر عليهم هؤلاء الملاحدة، نفاة الأسماء والصفات، فإن هذه الطريقة لا يحصل بها المقصود لوجوه :

أحدها : أن وصف الله تعالى بهذه النقائص والآفات أظهر فسادا في العقل والدين من نفي التحيز والتجسيم؛ فإن هذا فيه من الاشتباه والنزاع والخفاء ما ليس في ذلك، وكفر صاحب ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، والدليل معروف للمدلول ومبين له، فلا يجوز أن يستدل على الأظهر الأبين بالأخفي، كما لا يفعل مثل ذلك في الحدود .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٤/٣٢>

"ص -٣١٧- وقال تعالى في نعت المنافقين : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم

ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ﴾ [النساء : ٦٠ : ٦٣] .

وفي هذه الآيات أنواع من العبر من الدلالة على ضلال من يحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وعلى نفاقه، وإن زعم أنه يريد التوفيق بيد الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو [عقليات] من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب وغير ذلك من أنواع الاعتبار .

فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا، أو لتعديه حدود الله **بسلوك** السبل التي نهى عنها، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله، فهوالظالم لنفسه، وهو من أهل الوعيد؛ بخلاف المجتهد في طاعة الله، ورسوله باطنا وظاهرا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله؛ فهذا مغفور له خطؤه .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣١/٤٠>

"ص -٣٦٣- وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه : لوصية الكبرى وهي رسالته إلى عدي بن مسافر

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأموي " هو أبو البركات عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان . تنسب إليه طائفة العدوية سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير، توفى سنة سبع، وقيل : خمس وخمسين وخمسمائة " رحمه الله ومن نحا نحوهم، وفقهم الله **لسلوك** سبيله، وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج ؛ الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج، حتى يكونوا ممن أعظم الله عليهم المنة بمتابعة الكتاب والسنة .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/٤٥>

"ص -٣- بعضا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم وبينوا لنا سبيلهم ومذهبهم ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه؛ **وسلوك**

الطريق الذي سلكوه . والدليل على أن مذهبهم ما ذكرناه : أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل مصدق لها مؤمن بها قابل لها؛ غير مرتاب فيها؛ ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية . إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل . بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا : أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف؛ وتارة بالضرب وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته . ولذلك لما بلغ عمر – رضي الله عنه – أن صبيغا يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل فبينما عمر يخطب قام فسأله عن : ﴿والذاريات ذروا ﴾ [الذريات : ١] ﴿فالحاملات وقرا ﴾ [الذريات : ٢] وما بعدها . فنزل عمر فقال : [لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف [ثم أمر به فضرب ضربا شديدا وبعث به إلى البصرة وأمرهم أن لا يجالسوه فكان بها كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسا إلا قالوا : [عزمة أمير المؤمنين] فتفرقوا عنه حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئا فأذن عمر في مجالسته." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، <٤/٤٧

"ص –٦٥– ولهذا صار طائفة ممن يرى فضيلته وديانته يدفعون وجود هذه الكتب عنه، حتى كان الفقيه أبو محمد بن عبد السلام . فيما علقه عنه . ينكر أن يكون [بداية الهداية] من تصنيفه، ويقول : إنما هو تقول عليه، مع أن هذه الكتب مقبولها أضعاف مردودها، والمردود منها أمور مجملة، وليس فيها عقائد، ولا أصول الدين .

وأما المضنون به على غير أهله، فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه، وأما أهل الخبرة به وبحاله، فيعلمون أن هذا كله كلامه، لعلمهم بمواد كلامه ومشابهة بعضه بعضا، ولكن كان هو وأمثاله . كما قدمت . مضطربين لا يثبتون على قول ثابت؛ لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقة خاصة الخلق، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة، الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والإيمان، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن . كما قدمناه . وأهل الفهم لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك، كما جاءت به الرسالة .

ولهذا كان الشيخ أبو عمرو بن الصلاح –[هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى

الكردي الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، الفقيه الشافعي، ولد سنة ٥٧٧هـ، صنف في علوم الحديث، وتوفي في سنة ٦٤٣هـ بدمشق .] - يقول . فيما رأيته بخطه . : أبو حامد كثر القول فيه ومنه .

فأما هذه الكتب . يعني المخالفة للحق . فلا يلتفت إليها، وأما الرجل فيسكت عنه، ويفوض أمره إلى الله .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٦/٤٧>

"ص -٧٢- عند أهل العلم بالحديث، وبين الحديث المفترى المكذوب، وكتبهم أصدق شاهد بذلك ففيها عجائب .

وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك، إما عند الموت وإما قبل الموت، والحكايات في هذا كثيرة معروفة .

هذا أبو الحسن الأشعري، نشأ في الاعتزال أربعين عاما يناظر عليه، ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم .

وهذا أبو حامد الغزالي . مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة، **وسلوكه** طريق الزهد والرياضة والتصوف . ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، وصنف [إلجام العوام عن علم الكلام] .

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات : ﴿الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر : ١٠] ، واقرأ في النفي : ﴿ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] ،." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٣/٤٧>

"ص -٧٣- ﴿ولا يحيطون به علما ﴾ [طه : ١١٠] ، ﴿هل تعلم له سميا ﴾ [مريم : ٦٥] ،

ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، وكان يتمثل كثيرا :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهذا إمام الحرمين، ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف . وكان يقول : يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام ! فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته : لقد خضت البحر

الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه . والآن : إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنذا أموت على عقيدة أمي أو قال : عقيدة عجائز نيسابور .

وكذلك قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني [-هو شيخ أهل الكلام والحكمة، برع في الفقه، وكان قوي الفهم، مليح الوعظ، صنف كتاب، نهاية الإقدام و كتاب الملل والنحل، وتوفي سنة ٦٤٥-] : أخبر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وكان ينشد :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن، أو قارعا سن نادم

وابن الفارض من متأخري الاتحادية، صاحب القصيدة التائية المعروفة ب [نظم **السلوك]** ، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ، فهو أخبث من لحم." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧/٧٤>

"ص –١٨٠– قال : ثم أردت ووافق مرادي سؤال بعض الإخوان أن أذكر خلاصة مناصيصهم متضمنة بعض ألفاظهم، فإنها أقرب إلى الحفظ، وهي اللباب لما ينطوي عليه الكتاب، فاستعنت بمن عليه التكلان، وقلت : إن الذي آثرناه من مناصيصهم يجمعه فصلان : أحدهما : في بيان السنة وفضلها . والثاني : في هجران البدعة وأهلها .

أما الفصل الأول : فاعلم أن [السنة] طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتسنن **بسلوكها** وإصابتها . وهي أقسام ثلاثة : أقوال، وأعمال، وعقائد . فالأقوال : نحو الأذكار والتسبيحات المأثورة . والأفعال : مثل سنن الصلاة والصيام والصدقات المذكورة، ونحو السير المرضية، والآداب المحكية، فهذان القسمان في عداد التأكيد والاستحباب، واكتساب الأجر والثواب . والقسم الثالث : سنة العقائد، وهي من الإيمان إحدى القواعد .

قال : وها أنذا أذكر بعون الله خلاصة ما نقلته عنهم مفرقا، وأضيف إليه ما دون في كتب الأصول مما لم يبلغني عنهم مطلقا، وأرتبها مرشحة، وببعض مناصيصهم موشحة، بأوجز لفظ على قدر وسعي، ليسهل حفظه على من يريد أن يعي، فأقول :

ليعلم المستن أن سنة العقائد على ثلاثة أضرب : ضرب يتعلق بأسماء الله، وذاته، وصفاته، وضرب يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ومعجزاته، وضرب يتعلق بأهل الإسلام في أولاهم وأخراهم .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧/١٨٦>

"ص –٥٨– فهو ـ تبارك وتعالى ـ نور السموات والأرض، كما أخبرعن نفسه، وله وجه، ونفس، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع، ويرى، ويتكلم، هو الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده، والظاهر العالى فوق كل شيء، والباطن، بطن علمه بخلقه فقال : ﴿ وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد : ٣] قيوم حي لا تأخذه سنة ولا نوم .

وذكر [أحاديث الصفات] ثم قال : فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه، ولا تقدير : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] . لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان ا . هـ .

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم، مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في [الغنية عن الكلام وأهله] قال : [فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في **سلوك** الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله ـ تعالى ـ بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٨/٧١>

"ص –٥٠– فلو وصفناه بالصفات أو بالأفعال القائمة به لجاز أن تقوم الأفعال والصفات بالقديم، وحينئذ فلا يكون دليلا على حدوث الأجسام، فيبطل دليل إثبات الصفات .

فيقال لهم : الجواب من وجوه :

أحدها : أن بطلان هذا الدليل المعين لا يستلزم بطلان جميع الأدلة، وإثبات الصانع له طرق كثيرة لا يمكن ضبط تفاصيلها، وإن أمكن ضبط جملها .

الثاني : أن هذا الدليل لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الرب عز وجل والإيمان به موقوفة عليه، للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين .

الثالث : أن الأنبياء والمرسلين لم يأمروا أحدا **بسلوك** هذا السبيل، فلو كانت المعرفة موقوفة عليه وهي واجبة لكان واجبا، وإن كانت مستحبة كان مستحبا، ولو كان واجبا أو مستحبا لشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان مشروعا لنقلته الصحابة .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩/٨٤>

"ص -٤٦٢- وقد قالت عائشة رضي الله عنها : كراهية الموت، وكلنا نكره الموت . فرد صلى الله عليه وسلم قولها بما تضمنه الحديث : " من رؤية المؤمن ما له عند الله من النعيم، فأحب الله لقاءه " الحديث .

وقد يعترض على هذا سؤال، وهو أنه إذا كان حبه اللقاء لما رآه من النعيم، فالمحبة حينئذ للنعيم العائد إليه، لا لمجرد لقاء الله تعالى فكيف يجازي عليه بحب الله تعالى لقاءه ومحبته غير خالصة، وإنما يتقبل الله من الأعمال ما كان خالصا ؟

بينوا لنا هذه الأمور البيان الشافي، بالجواب الصحيح الكافي، طلبا للأجر الوافي إن شاء الله تعالى ؟

فأجاب رضي الله عنه وأرضاه :

الحمد لله، [أما اللقاء] فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد **السلوك** والمسير، وقالوا : إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى واحتجوا بآيات [اللقاء] على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية، كالمعتزلة وغيرهم .

وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال في قوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴾ [الكهف : ١١٠] : ولايرائي، أوقال : ولا يخبر به أحدا، وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين :

أحدهما : السير إلى الملك، والثاني : معاينته، كما قال : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ [الانشقاق : ٦] ،." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/١٠٢>

"ص -٤٦٣- فذكر أنه يكدح إلى الله فيلاقيه والكدح إليه يتضمن **السلوك** والسير إليه، واللقاء يعقبهما .

وأما المعاينة من غير مسير إليه كمعاينة الشمس والقمر فلا يسمى لقاء . وقد يراد باللقاء الوصول إلى الشيء والوصول إلى الشيء بحسبه .

ومن دليل ذلك أن الله تعالى قد قال : ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [الأنفال : ٤٥] ،و ﴿ إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ﴾ [الأنفال : ١٥] ، وقال : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾ الآية [البقرة : ١٤] ،وقال : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ [البقرة : ٧٦] ، وقال : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ﴾ [الأنفال : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ [آل عمران : ١٣] .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا " ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه لقى النبي صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة وهو جنب، فانفتل فذهب فاغتسل، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاء قال : " أين كنت ؟ " قال : يا رسول الله، لقيتني وأنا جنب، فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله ! إن المؤمن لا ينجس " وفي لفظ :." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/١٠٢<

"ص -٥٩٠- مبدع ابدعه هو واجب الوجود بنفسه، بل يقولون العالم نفسه واجب الوجود بنفسه، فحقيقة قول هؤلاء شر من قول الدهرية الالهيين، وهو يعود عند التحقق إلى قول الدهرية الطبيعيين .

وقد حدثونا أن ابن عربي تنازع هو والشيخ أبو حفص السهروردي، هل يمكن وقت تجلي الحق لعبد مخاطبة له أم لا ؟ فقال الشيخ أبو حفص السهروردي : نعم يمكن ذلك . فقال ابن عربي : لا يمكن ذلك . وأظن الكلام كان في غيبة كل منهما عن صاحبه، فقيل لابن عربي : أن السهروردي يقول : كذا وكذا . فقال : مسكين ! نحن تكلمنا في مشاهدة الذات، وهو يتكلم في مشاهدة الصفات .

وكان كثير من أهل التصوف، **والسلوك**، والطالبين لطريق التحقيق والعرفان؛ مع أنهم يظنون أنهم متابعون للرسل، وأنهم متقون للبدع المخالفة له، يقولون هذا الكلام ويعظمونه ويعظمون ابن عربي لقوله مثل هذا، ولا يعلمون أن هذا الكلام بناه على أصله الفاسد في الإلحاد، الذي يجمع بين التعطيل والاتحاد، فإن حقيقة الرب عنده وجود مجرد لا اسم له، ولا صفة، ولا يمكن أن يرى في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا له كلام قائم به، ولا علم ولا غير ذلك، ولكن يرى ظاهرا في المخلوقات متجليا في المصنوعات، وهو عنده غير وجود الموجودات، وشبهه تارة بظهور الكلي في جزئياته، كظهور الجنس في أنواعه والنوع في الخاصة، كما تظهر الحيوانية في كل حيوان، والانسانية في كل إنسان.

وهذا بناه على غلط أسلافه المنطقيين اليونانيين حيث ظنوا أن." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣٨/١١٣<

"ص -٥٩٦- الموجودات فلا إله إلا هو، كما قال تعالى : ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ [الشعراء : ٢١٣] وكما قال تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ [الزمر : ٦٤] وقال : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض ﴾ [الأنعام : ١٤] وهؤلاء الملاحدة ما عندهم غير يمكن أن يعبد، ولا غير يمكن أن يتخذ وليا، ولا إلها بل هو العابد والمعبود والمصلي

والمصلى له .

كما قال شاعرهم ابن الفارض في قصيدته : [نظم السلوك]

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلتي

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

إلى قوله :

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلي رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي إستدلت

وقوله :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهؤلاء [الجهمية] من المتكلمة والصوفية في قولهم : أن الايمان هو مجرد المعرفة والتصديق، يقولون : المعروف هو الموجود الموصوف بالسلب والنفي، كقولهم لا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين العالم، ولا محايث، ثم." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٤/١١٣>

"ص -٦٣٩- فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له، فالنفاق يقع كثيرا في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته . والكفر هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب، أو استكبار أو إباء أو إعراض، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر .

ثم هنا نفاقان : نفاق لأهل العلم والكلام، ونفاق لأهل العمل والعبادة؛ فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه، فألا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علما وعملا وأنه يجوز تصديقه وطاعته، لكنه يقول : إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا، ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته، إما بطريق الفلسفة والصبو، أو بطريق التهود والتنصر، كما هو قول الصابئة الفلاسفة، في هذه المسألة وفي غيرها، فإنهم وإن صدقوه وأطاعوه فإنهم لا يعتقدون وجوب ذلك على جميع أهل الأرض، بحيث يكون التارك لتصديقه وطاعته معذبا، بل يرون ذلك مثل التمسك بمذهب إمام أو طريقة شيخ أوطاعة ملك، وهذا دين التتار ومن دخل معهم .

أما النفاق الذي هو دون هذا، فأن يطلب العلم بالله من غير خبره، أو العمل لله من غير أمره، كما يبتلى

بالأول كثير من المتكلمة، وبالثاني كثير من المتصوفة، فهم يعتقدون أنه يجب تصديقه أو تجب طاعته، لكنهم في سلوكهم العلمي." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩٢/١١٣>

"ص -٥٩- فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية، فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله، مدبرة بمشيئته، مقهورة بحكمته، فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس،لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، ورأى أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه، له الخلق والأمر، وكل ما سواه مربوبا له، مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات، والله غني عنه، كما أنه الغني عن جميع المخلوقات، وهذا الشهود في نفسه حق، لكن طائفة قصرت عنه، وهم القدرية المجوسية، وطائفة وقفت عنده وهم القدرية المشركية .

أما الأولون، فهم الذين زعموا أن في المخلوقات ما لا تتعلق به قدرة الله ومشيئته وخلقه، كأفعال العباد، وغلاتهم أنكروا علمه القديم، وكتابه السابق، وهؤلاء هم أول من حدث من القدرية في هذه الأمة، فرد عليهم الصحابة وسلف الأمة، و تبرؤوا منهم .

وأما الطائفة الثانية، فهم شر منهم، وهم طوائف من أهل السلوك والإرادة والتأله والتصوف والفقر ونحوهم،يشهدون هذه الحقيقة ورأوا أن الله خالق المخلوقات كلها، فهو خالق أفعال العباد ومريد جميع الكائنات، ولم يميزوا بعد ذلك بين إيمان وكفر، ولا عرفان ولا نكر، ولا حق ولا باطل، ولا مهتد ولا ضال، ولا راشد ولا غوي، ولا نبي ولا متنبئ، ولا ولي لله ولا عدو." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢١/٣>

"ص -٣٣٧- فصل

وكلا الطائفتين ، الذين يسلكون إلى الله محض الإرادة والمحبة والدنو والقرب منه من غير اعتبار بالأمر والنهي المنزلين من عند الله، الذين ينتهون إلى الفناء في توحيد الربوبية، يقولون بالجمع والاصطلام في توحيد الربوبية، ولا يصلون إلى الفرق الثاني، ويقولون : إن صاحب الفناء لا يستحسن حسنة، ولا يستقبح سيئة، ويجعلون هذا غاية السلوك .

والذين يفرقون بين ما يستحسنونه، ويستقبحونه ويحبونه ويكرهونه، ويأمرون به وينهون عنه، لكن بإرادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله، كلا الطائفتين متبع لهواه بغير هدى من الله، وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله، فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي ألا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما

أبغضه، ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، وإنك لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا تسأل إلا الله، هذا ملة إبراهيم، وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٦/١٣٣>

"ص -٣٤٥- العباد يتلذذون بالنظر إليه فمعناه أنهم عند النظر يخلق لهم من اللذات بالمخلوقات ما يتلذذون به، لا أن نفس النظر إلى الله يوجب لذة، وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية . وجعل هذا من أسرار التوحيد وهو من إشراك التوحيد، الذي يسميه هؤلاء النفاة توحيدا، لا من أسرار التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، فإن المحبة لا تكون إلا لمعنى في المحبوب يحبه المحب، وليس عندهم في الموجودات شيء يحبه الرب إلا بمعنى يريده، وهو مريد لكل الحوادث، ولا في الرب عندهم معني يحبه العبد، وإنما يحب العبد ما يشتهيه، وإنما يشتهي الأمور الطبعية الموافقة لطبعه، ولا يوافق طبعه عندهم إلا اللذات البدنية كالأكل والشرب والنكاح .

والحزب الثاني : من الصوفية الذي كان هذا المشهد هو منتهي **سلوكهم**، عرفوا الفرق الطبيعي، وهم قد سلكوا على ترك هذا الفرق الطبيعي، وإنهم يزهدون في حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئا لأنفسهم، وعندهم أن من طلب شيئا للأكل والشرب في الجنة، فإنما طلب هواه وحظه، وهذا كله نقص عندهم ينافي حقيقة الفناء في توحيد الربوبية وهو بقاء مع النفس وحظوظها .

والمقامات كلها عندهم التوكل والمحبة، وغير ذلك إنما هي منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة، فإذا شهدوا توحيد الربوبية كان ذلك عندهم عللا في الحقيقة، إما لنقص المعرفة والشهود، وإما لأنه ذب عن." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٤/١٣٣>

"ص -٣٦٩- طوائف من مثبتة الصفات، تكلموا في القدر بما يوافق رأي جهم والأشعرية، فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات، كحال صحاب [منازل السائرين] وغيره .

وأما أئمة الصوفية، والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه، ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله، فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للأمر والنهي، وتوصية باتباع ذلك، وتحذيرا من المشي مع القدر، كما مشى أصحابهم أولئك، وهذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه، والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور، ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين، ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الأمر والنهي، كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية، وغابوا عن الفرق الإلهي الديني

الشرعي المحمدي، الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه، ويثبت أنه لا إله إلا هو .

وهذا من أعظم ما تجب رعايته على أهل الإرادة **والسلوك**، فإن كثيرا من المتأخرين زاغ عنه فضل سواء السبيل، وإنما يعرف هذا من توجه بقلبه وانكشفت له حقائق الأمور، وصار يشهد الربوبية العامة والقيومية الشاملة، فإن لم يكن معه نور الإيمان والقرآن الذي يحصل به الفرقان، حتى يشهد الإلهية التي تميز بين أهل التوحيد والشرك، وبين ما يحبه الله وما يبغضه، وبين." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٨/١٣٣>

"ص -٣٨٦- ما قول أهل الإسلام الراسخين في جذر الكلام، الباسقين في فن الأحكام، حياكم العلام في صدور دار السلام وحباكم القيام بتوضيح ما استبهم على الأفهام في معتقد أهل السنة والجماعة. نضر الله أرواح السلف، وكثر أعداد الخلف وأمدهم بأنواع اللطف، بأن الأفعال الاختيارية من العباد تحصل بخلق الله تعالى وبخلق العبد، فحقيقة كسب العبد ما هي ؟ وبعد هذا هل هو مؤثر في وجود الفعل ؟ أم غير مؤثر ؟ فإن كان فيصير العبد مشاركا للخالق في خلق الفعل، فلا يكون العبد كاسبا بل شريكا خالقا وأهل السنة برءة برآء من هذا القول وإن لم يكن مؤثرا في وجود الفعل فقد وجد الفعل بكماله بالحق سبحانه وتعالى، وليس للعبد في ذلك شيء، فلزم الجبر الذي يطوي بساط الشرع، وأهل السنة الغراء والمحجة البيضاء فارون من هذه الكلمة الشنعاء والعقيدة العوراء، ولم ينسب إلى العبد الطاعة والعصيان والكفر والإيمان، حتى يستحق الغضب والرضوان، فكيف **السلوك** أيها الهداة الأدلاء على اللحب المستقيم والمنهج القويم ؟ وطرفي قصد الأمور ذميم .

فبينوا بيانا يطلق العقول من هذا العقال، ويشفى القلوب من هذا الداء العضال . أيدكم بروح القدس من له صفات الكمال .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/١٣٦>

"ص -٥٤٩- والمقصود من ذلك أن كثيرا من أهل **السلوك** والإرادة يشهدون ربوبية الرب، وما قدره من الأمور التي ينهى عنها فيقفون عند شهود هذه الحقيقة الكونية، ويظنون أن هذا من باب الرضا بالقضاء والتسليم، وهذا جهل وضلال قد يؤدي إلى الكفر، والانسلاخ من الدين . فإن الله لم يأمرنا أن نرضى بما يقع من الكفر والفسوق والعصيان، بل أمرنا أن نكره ذلك وندفعه بحسب الإمكان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

والله تعالى قد قال : ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر : ٧] وقال : ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة

: ٢٠٥] فكيف يأمرنا أن نرضى لأنفسنا مالا يرضاه لنا، وهو جعل ما يكون من الشر محنة لنا وابتلاء كما قال تعالى : ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ [الفرقان : ٢٠] ، وقال تعالى بعد أمره بالقتال : ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ [محمد : ٤] ، وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " .

فالمؤمن إذا كان صبورا شكورا، يكون ما يقضي عليه من المصائب خيرا." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/١٤٤>

"ص -١٨٤- يضر ولا ينفع، لما فيه من الجهل أو التطويل الكثير .

ولهذا لما كان الاستدلال تارة يقف على مقدمة وتارة على مقدمتين وتارة على مقدمات، كانت طريقة نظار المسلمين أن يذكروا من الأدلة على المقدمات ما يحتاجون إليه، ولا يلتزمون في كل استدلال أن يذكروا مقدمتين، كما يفعله من يسلك سبيل المنطقيين، بل كتب نظار المسلمين وخطبائهم، **وسلوكهم** في نظرهم لأنفسهم، ومناظرتهم لغيرهم تعليما وإرشادا ومجادلة على ما ذكرت، وكذلك سائر أصناف العقلاء من أهل الملل وغيرهم إلا من سلك طريق هؤلاء .

وما زال نظار المسلمين يعيبون طريق أهل المنطق، ويبينون ما فيها من العي واللكنة وقصور العقل وعجز النطق، ويبينون أنها إلى إفساد المنطق العقلي واللساني أقرب منها إلى تقويم ذلك . ولا يرضون أن **يسلوكها** في نظرهم ومناظرتهم، لا مع من يوالونه ولا مع من يعادونه .

وإنما كثر استعمالها من زمن أبي حامد . فإنه أدخل مقدمة من المنطق اليوناني في أول كتابه المستصفى وزعم أنه لا يثق بعلمه إلا من عرف هذا المنطق، وصنف فيه معيار العلم ومحك النظر، وصنف كتابا سماه القسطاس المستقيم ذكر فيه خمس موازين : الثلاث الحمليات، والشرطي المتصل والشرطي المنفصل، وغير عباراتها إلى أمثلة أخذها من كلام المسلمين." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٨/١٠٤>

"ص -١٦٩- وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة . وطريق الحقيقة عندهم هو **السلوك** الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه ويذوقه ويجده، ونحو ذلك . وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا، بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم، وجعلهم لما

يرونه ويهوونه حقيقة، وأمرهم باتباعها، دون اتباع أمر الله ورسوله، نظير بدع أهل الكلام من الجهمية، وغيرهم، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها، دون ما دلت عليه السمعيات . ثم الكتاب والسنة، إما أن يحرفوه عن مواضعه، وإما أن يعرضوا عنه بالكلية، فلا يتدبرون ولا يعقلونه، بل يقولون : نفوض معناه إلى الله، مع اعتقادهم نقيض مدلوله . وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة، وجدت جهليات واعتقادات فاسدة .

وكذلك أولئك إذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله، المخالفة للكتاب والسنة، وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أولياؤه .

وأصل ضلال من ضل، هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله، واختياره الهوي على اتباع أمر الله، فإن الذوق والوجد ونحو ذلك، هو بحسب ما يحبه العبد، فكل محب له ذوق، ووجد بحسب محبته . فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/١٥٨>

"ص -١٧٢- فما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى : ﴿فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣] ، وفي قوله : ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ [الرعد : ٣٠] ، وقول شعيب عليه السلام : ﴿عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨] .

ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات، فتنقص بقدر ذلك .

ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة، أو استجابة دعوة مخالفة العادة العامة، ونحو ذلك، فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادة، والشكر، ونحو ذلك .

فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل **السلوك** والتوجه، وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت . كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخرف عنها غرق .

والعبادة، والطاعة، والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان :." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٨/١٥٨>

"ص -٣٦٤- وكذلك في الزهد والرقاق والأحوال، فإنه اعتمد في كتاب [الزهد] على المأثور عن الأنبياء، صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد، ثم على طريق الصحابة والتابعين، ولم يذكر من بعدهم، وكذلك وصفه لآخذ العلم أن يكتب ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عن الصحابة، ثم عن التابعين . وفي رواية أخرى ثم أنت في التابعين مخير .

وله كلام في الكلام الكلامي . والرأي الفقهي وفي الكتب الصوفية، والسماع الصوفي ليس هذا موضعه . يحتاج تحريره إلى تفصيل، وتبيين كيفية استعماله في حال دون حال .

فإنه ينبني على الأصل، الذي قدمناه من أنه قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة، أو غير مغفورة، وقد يتعذر أو يتعسر على السالك **سلوك** الطريق المشروعة المحضة، إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا . فإذا لم يحصل النور الصافي، بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف . وإلا بقى الإنسان في الظلمة، فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة . إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية، إذا خرج غيره عن ذلك؛ لما رآه في طرق الناس من الظلمة .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/١٦١>

"ص -٤٠٠- وقال تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر : ٤٢] ، والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئا، وإنما يعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين .

وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية بالأحوال الشيطانية، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة، وظنوا أن ذلك من كرامات أولياء الله المتقين، كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

السادس : أن هذه الطريقة لو كانت حقا، فإنما تكون في حق من لم يأته رسول، فأما من أتاه رسول وأمر **بسلوك** طريق، فمن خالفه ضل، وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة، وذكر، ودعاء، وقراءة، لم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل خاطر، وانتظار ما ينزل .

فهذه الطريقة لو قدر أنها طريق لبعض الأنبياء، لكانت منسوخة بشرع محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف وهي طريقة جاهلية لا توجب الوصول إلى المطلوب إلا بطريق الاتفاق، بأن يقذف الله تعالى في قلب." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/١٦٢>

"ص -٤١٢- الله التستري : يا معشر الصوفية، لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق . وقال الجنيد : علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن .

وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع، أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب، وذلك؛ لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم، فصارت شياطينهم تهربهم من هذا، كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه، وقال الله تعالى عن المشركين : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة ﴾ [المدثر : ٤٩ - ٥١] . وهم من أرغب الناس في السماع البدعي، سماع المعازف . ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى :

وكان مما زين لهم طريقهم، أن وجدوا كثيرا من المشتغلين بالعلم والكتب معرضين عن عبادة الله تعالى وسلوك سبيله، إما اشتغالا بالدنيا، وإما بالمعاصي وإما جهلا وتكذيبا بما يحصل لأهل التأله والعبادة، فصار وجود هؤلاء مما ينفرهم، وصار بين الفريقين نوع تباغض يشبه." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٦/١٦٢>

"ص -٤٦٣- بنفس عقد النكاح إذا احتاج إليه وقدر عليه، فقول النبي صلى الله عليه وسلم : "في بضع أحدكم صدقة " فإن المباضعة مأمور بها لحاجته ولحاجة المرأة إلى ذلك، فإن قضاء حاجتها التي لا تنقضي إلا به بالوجه المباح صدقة .

والسلوك سلوكان :

سلوك الأبرار أهل اليمين، وهو أداء الواجبات وترك المحرمات باطنا وظاهرا .

والثاني : سلوك المقربين السابقين، وهو فعل الواجب والمستحب بحسب الإمكان، وترك المكروه والمحرم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " .

وكلام الشيوخ الكبار كالشيخ عبد القادر وغيره يشير إلى هذا السلوك؛ ولهذا يأمرون بما هو مستحب غير واجب وينهون عما هو مكروه غير محرم، فإنهم يسلكون بالخاصة مسلك الخاصة، وبالعامة مسلك العامة،

وطريق الخاصة طريق المقربين ألا يفعل العبد إلا ما أمر به، ولا يريد إلا ما أمر الله ورسوله بإرادته، وهو ما يحبه." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/١٦٥>

"ص -٤٩٨- ومنهم من لم يفهمه .

ومنهم من ادعي أن المتكلم فيه لم يصل إليه .

ثم إنك تجد كثيرا من الشيوخ إنما ينتهي إلى ذلك الجمع، وهو : توحيد الربوبية، والفناء فيه . كما في كلام صاحب [منازل السائرين] مع جلالة قدره، مع أنه قطعا كان قائما بالأمر والنهي المعروفين، لكن قد يدعون أن هذا لأجل العامة . ومنهم من يتناقض .

ومنهم من يقول : الوقوف مع الأمر لأجل مصلحة العامة، وقد يعبر عنهم بأهل المارستان .

ومنهم من يسمى ذلك مقام التلبيس .

ومنهم من يقول : التحقيق أن يكون الجمع في قلبك مشهودا، والفرق على لسانك موجودا، فيشهد بقلبه استواء المأمور والمحظور مع تفريقه بينهما .

ومنهم من يرى أن هذه هي الحقيقة التي هي منتهى **سلوك**." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٦/١٦٥>

"ص -٤٩٩- العارفين، وغاية منازل الأولياء الصديقين .

و منهم من يظن أن الوقوف مع إرادة الأمر والنهي يكون في **السلوك** والبداية، وأما في النهاية فلاتبقى إلا إرادة القدر . وهو في الحقيقة قول بسقوط العبادة والطاعة، فإن العبادة لله والطاعة له ولرسوله إنما تكون في امتثال الأمر الشرعي لا في الجري مع المقدور، وإن كان كفرا أو فسوقا أو عصيانا، ومن هنا صار كثير من السالكين من أعوان الكفار والفجار وخفرائهم، حيث شهدوا القدر معهم؛ ولم يشهدوا الأمر والنهي الشرعيين .

ومن هؤلاء من يقول : من شهد القدر سقط عنه الملام، ويقولون إن الخضر إنما سقط عنه الملام لما شهد القدر .

وأصحاب شهود القدر قد يؤتي أحدهم ملكا من جهة خرق العادة بالكشف والتصرف، فيظن ذلك كمالا في الولاية، وتكون تلك الخوارق إنما حصلت بأسباب شيطانية، وأهواء نفسانية، وإنما الكمال في الولاية أن يستعمل خرق العادات في إقامة الأمر والنهي الشرعيين مع حصولهما بفعل المأمور وترك المحظور، فإذاحصلت بغير الأسباب الشرعية فهي مذمومة، وإن حصلت بالأسباب الشرعية لكن استعملت ليتوصل

بها إلى محرم كانت مذمومة، وإن توصل بها إلى مباح." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧/١٦٥>

"ص -٥١٦- وكلا الطائفتين تاركة ما أمر الله ورسوله به من الإرادات، والأعمال الصالحة، مرتكبة لما نهى الله ورسوله عنه من الإرادات والأعمال الفاسدة .

فصل

فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشائخ أهل الاستقامة رضي الله عنهم : بأنه لا يريد السالك مرادا قط، وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها، بل يجرى فعله فيه، فيكون هو مراد الحق، إنما قصدوا به فيما لم يعلم العبد أمر الله ورسوله فيه، فأما ما علم أن الله أمر به فعليه أن يريده ويعمل به، وقد صرحوا بذلك في غير موضع . وإن كان غيرهم من الغالطين يري القيام بالإرادة الخلقية هو الكمال، وهو الفناء في توحيد الربوبية، وأن **السلوك** إذا انتهى إلى هذا الحد، فصاحبه إذا قام بالأمر فلأجل غيره، أو أنه لا يحتاج أن يقوم بالأمر، فتلك أقوال وطرائق فاسدة قد تكلم عليها في غير هذا الموضع .

فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشائخ السلف، مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني ومعروف." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٥/١٦٥>

"ص -٥٨٠- إلى أن يهدي، فيقصد الحق ويعمل به دون الباطل . وهو سنن الأنبياء والصالحين . ثم لابد له بعد ذلك من الذنوب، فيريد أن يتطهر منها بالتوبة فهو محتاج إلى العلم والعمل به . وإلى التوبة مع ذلك . فلابد له من التقصير، أو الغفلة في **سلوك** تلك السنن التي هداه الله إليها . فيتوب منها بما وقع من تفريط في كل سنة من تلك السنن . وهذه السنن : تدخل فيها الواجبات والمستحبات، فلابد للسالك فيها من تقصير وغفلة، فيستغفر الله، ويتوب إليه . فإن العبد لو اجتهد مهما اجتهد لا يستطيع أن يقوم لله بالحق الذي أوجبه عليه، فما يسعه إلا الاستغفار والتوبة عقيب كل طاعة .

وقد يقال : الهداية، هنا البيان والتعريف، أي : يعرفكم سنن الذين من قبلكم، من أهل السعادة والشقاوة؛ لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه، كما قال تعالى : ﴿وهديناه النجدين ﴾ [البلد : ١٠] ، قال علي وابن مسعود : سبيل الخير والشر . وعن ابن عباس : سبيل الهدى والضلال . وقال مجاهد : سبيل السعادة والشقاوة، أي فطرناه على ذلك، وعرفناه إياه، والجميع واحد . والنجدان الطريقان الواضحان، والنجد المرتفع من الأرض، فالمعنى ألم نعرفه طريق الخير والشر ونبينه له، كتبيين الطريقين العاليين، لكن الهدى والتبيين والتعريف في هذه الآية يشترك." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/١٦٧>

"ص -٦١١- يكرهه منهم فكان يعطي لله ويمنع لله . وقد قال : "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان " ، وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إني والله إنما أنا قاسم لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا، ولكن أضع حيث أمرت " .

وصورة المحبوب المتمثلة في النفس يتحرك لها المحب، ويريد لها، ويحب ويبغض ويبتهج وينشرح عند ذكرها، من أي جنس كانت، فتبقى هي كالآمر الناهي له؛ ولهذا يجد في نفسه كأنها تخاطبه بأمر ونهي وغير ذلك، كما يرى كثير من الناس من يحبه، ويعظمه في منامه، وهو يأمره، وينهاه، ويخبره بأمور .

والمشركون تتمثل لهم الشياطين في صور من يعبدونه، تأمرهم وتنهاهم .

والقائلون بالشاهد والمنتسبون إلى **السلوك** يقول أحدهم : إنه يخاطب في باطنه على لسان الشاهد، فمنهم من يصلي بالليل وذاك بإزائه ليشاهده في الضوء، ومنهم من يشاهده في حال السماع في غيره، ويظنون أنهم يخاطبون ويجدون المريد في قلوبهم بذلك، وذلك لأنهم يتمثلونه في أنفسهم، وربما كان الشيطان يتمثل في صورته، فيجدون في نفوسهم خطابا من تلك الصورة، فيقولون : خوطبنا من جهته . وهذا وإن كان موجودا في." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٥/١٦٧>

"ص -١٩٥- وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم [القراء] فيدخل فيهم العلماء والنساك، ثم حدث بعد ذلك اسم [الصوفية والفقراء] . واسم [الصوفية] هو نسبة إلى لباس الصوف؛ هذا هو الصحيح . وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء . وقيل : إلى صوفة بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك . وقيل : إلى أهل الصفة . وقيل : إلى الصفا . وقيل : إلى الصفوة . وقيل : إلى الصف المقدم بين يدى الله تعالى . وهذه أقوال ضعيفة؛ فإنه لوكان كذلك لقيل : صفي أو صفائى أو صفوى أو صفي، ولم يقل : صوفي .

وصار أيضا اسم [الفقراء] يعنى به : أهل **السلوك** . وهذا عرف حادث . وقد تنازع الناس : أيما أفضل : مسمى [الصوفي] أو مسمى [الفقير] ؟ ويتنازعون أيضا : أيما أفضل : الغنى الشاكر أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد وبين أبي العباس بن عطاء . وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روأيتان، والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى حيث قال : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٥/١٨٥>

"ص -٢٤٧- ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ [الشعراء : ٥٧-٧٧] وقال تعالى : ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : ٢٢] . وهؤلاء قد صنف بعضهم كتبا وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة ب [نظم السلوك] يقول فيها :

لها صلاتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سوائي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلى أن قال :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

إلى رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي على استدلت

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادي أجابت من دعاني ولبت

إلى أمثال هذا الكلام، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨٥/١٠٠>

"ص -٣٢٠- بحيث يعذرون، والناقصين نقصا لا يلامون عليه كانوا برحية . وقد بينت في غير هذا الموضع ما يعذرون فيه وما لا يعذرون فيه . وإن كانوا عالمين قادرين كانوا بلعامية، فإن من أتى بخارق على وجه منهي عنه أو لمقصود منهي عنه، فإما أن يكون معذورا معفوا عنه كبرح، أو يكون متعمدا للكذب كبلعام .

فتلخص أن الخارق [ثلاثة أقسام] : محمود في الدين، ومذموم في الدين، ومباح لا محمود ولا مذموم في الدين؛ فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإن لم يكن فيه منفعة كان كسائر المباحات التي لامنفعة فيها كاللعب والعبث .

قال أبو علي الجوزجاني : كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة . فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة . قال الشيخ السهروردي في عوارفه : وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب، وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدا نفوسهم لا تزال تتطلع

إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئا من ذلك، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨٥/١٨٠>

"ص -٣٣٤- القال، ونبينا صلى الله عليه وسلم صاحب القال والحال، وصاحب القرآن والإيمان . ثم بعده الخارق المؤيد للدين المعين له، لأن الخارق في مرتبة ﴿وإياك نستعين﴾ ، والدين في مرتبة ﴿إياك نعبد﴾ ، فأما الخارق الذي لم يعن الدين فإما متاع دنيا، أو مبعد صاحبه عن الله تعالى .

فظهر بذلك أن الخوارق النافعة تابعة للدين حادثة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال بيد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل فهو يشبه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك مأمور به،وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة .

والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع وارتقى عن أن يكون دينه خوفا من النار أو طلبا للجنة، يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا، ولعله يجتهد اجتهادا عظيما في مثله وهذا خطأ، ولكن منهم من يكون قصده بهذا تثبيت قلبه وطمأنينته وإيقانه بصحة طريقه وسلوكه، فهو يطلب الآية علامة وبرهانا على صحة دينه، كما." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨٥/١٩٤>

"ص -٣٢٠- بحيث يعذرون، والناقصين نقصا لا يلامون عليه كانوا برحية . وقد بينت في غير هذا الموضع ما يعذرون فيه وما لا يعذرون فيه . وإن كانوا عالمين قادرين كانوا بلعامية، فإن من أتى بخارق على وجه منهي عنه أو لمقصود منهي عنه، فإما أن يكون معذورا معفوا عنه كبرح، أو يكون متعمدا للكذب كبلعام .

فتلخص أن الخارق [ثلاثة أقسام] : محمود في الدين، ومذموم في الدين، ومباح لا محمود ولا مذموم في الدين؛ فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإن لم يكن فيه منفعة كان كسائر المباحات التي لامنفعة فيها كاللعب والعبث .

قال أبو علي الجوزجاني : كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة . فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة . قال الشيخ السهروردي في عوارفه : وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب، وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا

عن سلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدا نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئا من ذلك، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله."
<مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/١٨٦>

"ص -٣٣٤- القال، ونبينا صلى الله عليه وسلم صاحب القال والحال، وصاحب القرآن والإيمان .
ثم بعده الخارق المؤيد للدين المعين له، لأن الخارق في مرتبة ﴿وإياك نستعين﴾ ، والدين في مرتبة ﴿إياك نعبد﴾ ، فأما الخارق الذي لم يعن الدين فإما متاع دنيا، أو مبعد صاحبه عن الله تعالى .
فظهر بذلك أن الخوارق النافعة تابعة للدين حادثة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال بيد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل فهو يشبه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك مأمور به،وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة .
والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع وارتقى عن أن يكون دينه خوفا من النار أو طلبا للجنة، يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا، ولعله يجتهد اجتهادا عظيما في مثله وهذا خطأ، ولكن منهم من يكون قصده بهذا تثبيت قلبه وطمأنينته وإيقانه بصحة طريقه **وسلوكه**، فهو يطلب الآية علامة وبرهانا على صحة دينه، كما." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٤/١٨٦>

"ص -٣٨٧- وقوله : والحيرة من معنيين :
أحدهما : كثرة اختلاف الأحوال . والآخر : شدة الشر، وحذر الإياس، إخبار عن **سلوك** معين، فإنه ليس كل سالك يعتريه هذا، ولكن من السالكين من تختلف عليه الأحوال، حتى لا يدري ما يقبل وما يرد وما يفعل وما يترك، والواجب على من كان كذلك دوام الدعاء لله سبحانه وتعالى، والتضرع إليه والاستهداء بالكتاب والسنة .
وكذلك بشدة الشر وحذر الإياس، فإن في السالكين من يبتلى بأمور من المخالفات يخاف معها أن يصير إلى اليأس من رحمة الله، لقوة خوفه وكثرة المخالفة عند نفسه، ومثل هذا ينبغي أن يعلم سعة رحمة الله، وقبول التوبة من عباده وفرحه بذلك .
وقول الآخر : نازلة تنزل بقلوب العارفين بين اليأس والطمع، فلا تطمعهم في الوصول فيستريحوا، ولا تؤيسهم

عن الطلب فيستريحوا، فيقال : هذا أيضا حال عارض لبعض السالكين، ليس هذا أمرا لازما لكل من سلك طريق الله، ولا هو أيضا غاية محمودة ولكن بعض السالكين يعرض له هذا . كما يذكر عن الشبلي أنه كان ينشد في هذا المعنى :." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/١٨٩>

"ص -٤٤٦- ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويره لانتشار هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بها من عز الدين، وظهور كلمته العليا، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة، والأحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين .

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء [البطائحية] ، وطريقهم وطريق [الشيخ أحمد بن الرفاعي] وحاله، وما وافقوا فيه المسلمين وما خالفوهم، ليتبين ما دخلوا فيه من دين الإسلام وما خرجوا فيه عن دين الإسلام، فإن ذلك يطول وصفه في هذا الموضع، وإنما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم .

وذلك أني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضع وهو أنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر **والسلوك** ويوجد في بعضهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك ما يوجد فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر، ومن الغلو والبدع في الإسلام والإعراض عن كثير مما جاء به الرسول، والاستخفاف بشريعة الإسلام، والكذب والتلبيس،." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/١٩٣>

"ص -٥٠٨- وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا اجتهد الحاكم : فإن أصاب فله أجران،وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر " . وقال : " القضاة ثلاثة : قاضيان في النار، وقاض في الجنة . رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس بجهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار "
.

ومن خرج عن الشرع الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ظانا أنه متبع للحقيقة . فإنه مضاه للمشركين المكذبين للرسل، ولفظ [الحقيقة] يقال : على [حقيقة كونية] و [حقيقة بدعية] و [حقيقة شرعية] .

ف [الحقيقة الكونية] مضمونها الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه . وهذا مما يجب أن يؤمن به، ولا يجوز أن يحتج به، بل لله علينا الحجة البالغة . فمن احتج بالقدر فحجته

داحضة، ومن اعتذر بالقدر عن المعاصي فعذره غير مقبول .

وأما [الحقيقة البدعية] فهي سلوك طريق الله سبحانه وتعالى، مما يقع في قلب العبد من الذوق والوجد، والمحبة والهوى، من غير اتباع الكتاب والسنة، كطريق النصارى، فهم تارة يعبدون غير الله، وتارة يعبدون بغير أمر الله . كالنصارى المشركين الذين اتخذوا أحبارهم." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧/١٩٥>

"ص -٥١٤- ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] . لكن قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا . وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين فلا حاجة به إلى ذلك، ولا يستحب له ذلك، بل يكره له .

وأما إن كان لايمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك، مثل أن يكون في مكان يضعف فيه الهدى والعلم والإيمان والدين، يعلمونه ويؤدبونه لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه، فإنه يفعل الأصلح لدينه،وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه، وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده .

فأما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة، وسلوك طريق الابتداع، ومفارقة السنة والاتباع، فهذا مما ينهى عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣/١٩٥>

"ص -٥٣٩- وسئل عن جماعة اجتمعوا على أمور متنوعة من الفساد ومنهم من يقول : إن غاية التحقيق وكمال سلوك الطريق ترك التكليف . بحيث أنه إذا ألزم بالصلاة يقوم ويقول : خرجنا من الحضرة ووقفنا بالباب . فأجاب : أما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف . فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية ومن شابههم من الملاحدة المنتسبين إلى علم أو زهد أو تصوف أو تزهد يقول : أحدهم إن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة فإذا حصلت زال عنه التكليف ومن قال : هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جار على كل بالغ عاقل إلى أن يموت قال تعالى : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] . قال الحسن البصري : لم يجعل الله لعمل المؤمن غاية دون الموت؛ وقرأ هذه الآية . و [اليقين] هنا ما بعد الموت . كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿وكنا نكذب

بيوم الدين حتى أتان ا اليقين ﴾ [المدثر : ٤٦، ٤٧] ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/١٩٦>

"ص -٢٥- وأما المتأخرون، الذين لم يتحروا متابعتهم **وسلوك** سبيلهم، ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم، بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به، لا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك، من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف، فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الأمور المهمة في الدين إنما هو عما يظنونه من الإجماع، وهم لا يعرفون في ذلك أقوال السلف البتة، أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها، فتارة يحلون الإجماع ولا يعلمون إلا قولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين؛ طائفة أو طائفتين أو ثلاث، وتارة عرفوا أقوال بعض السلف، والأول كثير في [مسائل أصول الدين وفروعه] كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك، يحكون إجماعا ونزاعا، ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم، كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته، مثل مسألة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك .

وهم إذا ذكروا إجماع المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الإجماع؛ فإنه لو أمكن العلم بإجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به؛ لعدم علمهم بأقوال السلف، فكيف إذا كان المسلمون يتعذر القطع." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/٢٢١>

"ص -١٠٠- وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر مما يبالغون في ذم اليهود، وهم إلى اليهود أقرب، كما أن الصوفية ونحوهم إلى النصارى أقرب؛ فإن النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون، واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة، فهم مغضوب عليهم، والنصارى ضالون .

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم : ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين، وروى بإسناده عن أبي روق، عن ابن عباس : وغير طريق الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه، يقول : فألهمنا دينك الحق وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود، ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا كما تعذبهم، يقول : امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك . قال ابن أبي حاتم : ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين، وقد قال سفيان بن عيينة : كانوا يقولون : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى .

فأهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله، فيعظمون العلم وطريقه، وهو الدليل، **والسلوك** في

طريقه، وهو النظر .

وأهل الزهد يعظمون الإرادة والمريد، وطريق أهل الإرادة .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠٢/٢٢١<

"ص -٣٦٥- وصرح بعضهم بأنه يعلم كل ما يعلمه الله، ويقدر على كل ما يقدر الله عليه .

وادعوا أن هذا كان للنبى، ثم انتقل إلى الحسن بن علي، ثم من الحسن إلى ذريته واحدا بعد واحد، حتى انتهى ذلك إلى أبي الحسن الشاذلي، ثم إلى ابنه .

خاطبني بذلك من هو من أكابر أصحابهم .

وحدثنى الثقة من أعيانهم، أنهم يقولون : إن محمدا هو الله .

وحدثني بعض الشيوخ، الذين لهم سلوك وخبرة : أنه كان هو وابن هود في مكة، فدخلا الكعبة، فقال له ابن هود ـ وأشار إلى وسط الكعبة ـ : هذا مهبط النور الأول، وقال له : لو قال لك صاحب هذا البيت : أريد أن أجعلك إلها ماذا كنت تقول له ؟ قال : فقف شعري [أى : قمت فزعا . انظر : القاموس، مادة : قفف] من هذا الكلام وانخنست [أى : انقبضت . انظر : القاموس، مادة : خنس] ـ أو كما قال .

ومن الناس من يحكي عن سهل بن عبد الله : أنه لما دخل الزنج البصرة، قيل له فى ذلك، فقال : هاه إن ببلدكم هذا من لو سألوا الله أن يزيل الجبال عن أماكنها لأزالها، ولو سألوه." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٠٤/٢٣٤<

"ص -٤٦١- الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله " ، لكن المسلم المتبع لشريعة الإسلام هو المحرم ما حرمه الله ورسوله، فلا يحرم الحلال ولا يسرف فى تناوله، بل يتناول ما يحتاج إليه من طعام أو لباس أو نكاح، ويقتصد فى ذلك، ويقتصد فى العبادة، فلا يحمل نفسه ما لا تطيق .

فهذا تجده يحصل له من مجاهدات النفس وقهر الهوى ما هو أنفع له من تلك الطريق المبتدعة الوعرة القليلة المنفعة، التى غالب من سلكها ارتد على حافره، ونقض عهده، ولم يرعها حق رعايتها . وهذا يثاب على ذلك ما لا يثاب على سلوك تلك الطريق، وتزكو به نفسه، وتسير به إلى ربه، ويجد بذلك من المزيد فى إيمانه ما لا يجده أصحاب تلك الطريق؛ فإنهم لابد أن تدعوهم أنفسهم إلى الشهوات المحرمة؛ فإنه ما من بنى آدم إلا من أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا، وقد قال تعالى : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [النساء : ٢٨] .

قال طاوس فى أمر النساء وقلة صبره عنهن كما تقدم . فميل النفس إلى النساء عام فى طبع جميع بنى آدم،

وقد يبتلى كثير منهم بالميل إلى الذكران، كما هو المذكور عنهم، فيبتلى بالميل إلى المردان، وإن لم يفعل الفاحشة الكبرى ابتلى بما هو دون ذلك من المباشرة والمشاهدة، ولا يكاد أن يسلم أحدهم من الفاحشة، إما في سره وإما." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٢٣٥>

"ص -٤٦٨- وهؤلاء قد يظن أحدهم أنه لا يمكنه **السلوك** إلى الله تعالى إلا ببدعة .

وكذلك أهل الفجور المترفين، قد يظن أحدهم أنه لا يمكنه فعل الواجبات إلا بما يفعله من الذنوب، ولا يمكنه ترك المحرمات إلا بذلك، وهذا يقع لبشر كثير من الناس .

منهم من يقول : إنه لا يمكن أداء الصلوات واجتناب الكلام المحرم من الغيبة وغيرها إلا بأكل الحشيشة .

ويقول الآخر : إن أكلها يعينه على استنباط العلوم وتصفية الذهن، حتى يسميها بعضهم معدن الفكر والذكر، ومحركة العزم الساكن، وكل هذا من خدع النفس ومكر الشيطان بهؤلاء وغيرهم، وإنها لعمى الذهن، ويصير آكلها أبكم مجنونا لا يعي ما يقول .

وكذلك في هؤلاء من يقول : إن محبته لله ورغبته في العبادة، وحركته ووجده وشوقه وغير ذلك لا يتم إلا بسماع القصائد، ومعاشرة الشاهد من الصبيان وغيرهم، وسماع الأصوات والنغمات، ويزعمون أنهم بسماع هذه الأصوات ورؤية الصور المحركات تتحرك عندهم من دواعي الزهد والعبادة ما لا تتحرك بدون ذلك، وأنهم بدون ذلك قد يتركون." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/٢٣٥>

"ص -٤٨٢- حدود الله، إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين .

الخامس : أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع، من العلم والرفق، والصبر، وحسن القصد، **وسلوك** السبيل القصد؛ فإن ذلك داخل في قوله : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ وفي قوله : ﴿ إذا اهتديتم ﴾ .

فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها المعنى الآخر، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا، وإعراضه عما لا يعنيه، كما قال صاحب الشريعة : " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " ، ولاسيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه، لاسيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة .

وكذلك العمل، فصاحبه إما معتد ظالم، وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان .

فتأمل الآية فى هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء، وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة علمائها وعبادها وأمرائها." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٦/٢٣٥>

"ص -١٤- وأما قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ إن ربي لسميع الدعاء ﴾ [إبراهيم : ٣٩] ، فالمراد بالسمع هاهنا : السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع وإذا كان كذلك، فالدعاء دعاء العبادة ودعاء الطلب وسمع الرب تعالى له إثابته على الثناء، وإجابته للطلب،فهو سميع هذا وهذا

وأما قول زكريا عليه السلام : ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾ [مريم : ٤] ، فقد قيل : إنه دعاء المسألة، والمعنى : أنك عودتنى إجابتك، ولم تشقنى بالرد والحرمان، فهو توسل إليه سبحانه وتعالى بما سلف من إجابته وإحسانه، وهذا ظاهر هاهنا

وأما قوله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية﴾ [الإسراء : ١١٠] ، فهذا الدعاء، المشهور أنه دعاء المسألة، وهو سبب النزول قالوا : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه فيقول مرة : " يا الله " ، ومرة : " يا رحمن " فظن المشركون أنه يدعو إلهين؛ فأنزل الله هذه الآية

وأما قوله: ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ [الطور : ٢٨] ، فهذا دعاء العبادة المتضمن للسلوك رغبة ورهبة، والمعنى : إنا كنا نخلص له العبادة؛ وبهذا استحقوا أن وقاهم الله عذاب السموم، لا بمجرد السؤال المشترك بين الناجى وغيره؛ فإنه سبحانه يسأله من في السموات." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/٢٣٨>

"ص -١١٥- باليوم الآخر والقصص، وسماها [جواهر القرآن] وجمع العمليات وسماها [درر القرآن] . وجعل الشطر الأول من [الفاتحة] من الجواهر، والثاني من الدرر، والآيات التي تجمع المعنيين يذكرها في أغلب النوعين عليها . ومجموع ما ذكره من القسمين ربع آيات القرآن نحو ألف وخمسمائة آية، وجعل معاني القرآن ستة أصناف : ثلاثة أصول، وثلاثة توابع . فذكر أن القرآن هو البحر المحيط، ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين، وقال : سر القرآن ولبابه الأصفي ومقصده الأقصى دعوة العباد إلى الجبار الأعلى رب الآخرة والأولى، وخالق السموات العلى والأرضين السفلى . فالثلاثة المهمة : تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الأصول إليه . وأما الثلاثة المعنية : فأحدها : أحوال المجيبين للدعوة، ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة، وكيفية قمع الله لهم وتنكيله بهم، وسره

ومقصوده الاعتبار والترهيب . وثانيها : حكاية أقوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق، ومقصوده وسره في جنبة الباطل الإفصاح والتحذير والتنفير، وفي جنبة الحق الإيضاح والتثبيت والتقرير . وثالثها : تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والراحلة والأهبة للاستعداد .

قلت : ما ذكره من أن أصول الإيمان ثلاثة، فهو حق كما ذكره." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٤/٢٣٨>

"ص -٩٩- وذاك الهدي المختص، وإن كان قد سماه إلهاما كما سماه هدي، كما في قوله: ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] ، وكذلك قد قيل في قوله: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد : ١٠] أي : بينا له طريق الخير والشر، وهو هدي البيان العام المشترك، وقيل : هدينا المؤمن لطريق الخير، والكافر لطريق الشر؛ فعلى هذا يكون قد جعل الفجور هدي، كما جعل أولئك البيان إلهاما

وكذلك قوله: ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان : ٣] ، قيل : هو الهدي المشترك، وهو أنه بين له الطريق التي يجب **سلوكها**،والطريق التي لا يجب **سلوكها**، وقيل : بل هدي كلا من الطائفتين إلى ما سلكه من السبيل إما شاكرا وإما كفورا

لكن تسمية هذا هدي قد يعتذر عنه بأنه هدي مقيد لا مطلق، كما قال: ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [آل عمران : ٢١] ، وكما قال: ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ [النساء : ٥١] ، ﴿وأنه يقول الحق ﴾ [الأحزاب : ٤] و يأمر بالعدل ﴾ [النحل : ٩٠] فهو موافق لقوله وأمره لعلمه وحكمه، كما أن القرآن وسائر كلامه كذلك، وباعتبار أنه أنعم على العبد بواسطة جنده بالملائكة

ويقال لضد هذا وهو الخطأ : هذا من الشيطان والنفس؛ لأن الله لا يقوله ولا يأمر به؛ ولأنه إنما ينكته في قلب الإنسان." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٠/٢٤٢>

"ص -٢٧٣- كذلك، بل قد يجعله كالمعصوم؛ ولا يتلقى **سلوكه** إلا عنه، ولا يتلقى عن الرسول **سلوكه**، مع أن تلقى **السلوك** عن الرسول أسهل من تلقى الفروع المتنازع فيها؛ فإن **السلوك** هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة، فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لابد للمؤمن منه .

ولهذا كان جميع الصحابة يعلمون **السلوك** بدلالة الكتاب والسنة والتبليغ عن الرسول، لا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة، ولم يحصل بين الصحابة نزاع في ذلك، كما تنازعوا في بعض مسائل الفقه التي

خفيت معرفتها على أكثر الصحابة، وكانوا يتكلمون في الفتيا والأحكام؛ طائفة منهم يستفتون في ذلك .
وأما ما يفعله من يريد التقرب إلى الله من واجب ومستحب فكلهم يأخذه عن الكتاب والسنة؛ فإن القرآن والحديث مملوء من هذا، وإن تكلم أحدهم في ذلك بكلام لم يسنده هو يكون هو أو معناه مسندا عن الله ورسوله، وقد ينطق أحدهم بالكلمة من الحكمة فتجدها مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كما قيل في تفسير قوله : ﴿نور على نور﴾ [النور : ٣٥] ، ولكن كثير من أهل العبادة والزهادة أعرض عن طلب العلم النبوى الذي يعرف به طريق الله ورسوله، فاحتاج لذلك إلى تقليد شيخ .." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٢٥٢>

"ص -٢٧٤- وفي **السلوك** مسائل تنازع فيها الشيوخ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين، فمسائل **السلوك** من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة، وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف، وهكذا طريق العبادة، عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع، فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف .
وهكذا الفقه إنما وقع فيه الاختلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع، ولكن هذا إنما يقع النزاع في الدقيق منه، وأما الجليل فلا يتنازعون فيه . والصحابة أنفسهم تنازعوا في بعض ذلك ولم يتنازعوا في العقائد، ولا في الطريق إلى الله التي يصير بها الرجل من أولياء الله الأبرار المقربين، ولهذا كان عامة المشايخ إذا احتاجوا في مسائل الشرع مثل مسائل النكاح والفرائض والطهارة وسجود السهو ونحو ذلك قلدوا الفقهاء؛ لصعوبة أخذ ذلك عليهم من النصوص . وأما مسائل التوكل والإخلاص والزهد، ونحو ذلك فهم يجتهدون فيها، فمن كان منهم متبعا للرسول أصاب، ومن خالفه أخطأ .
ولا ريب أن البدع كثرت في باب العبادة والإرادة أعظم مما كثرت في باب الاعتقاد والقول؛ لأن الإرادة يشترك الناس فيها أكثر مما." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٢٥٢>

"ص -٢٦٨- **سلوك** سبيل السنة ولم يكن عندهم إلا هذه الطريق .
فاستدلوا بخلق الإنسان، لكن لم يجعلوا خلقه دليلا كما في الآية، بل جعلوه مستدلا عليه . وظنوا أنه يعرف بالبديهة والحس حدوث أعراض النطفة . وأما جواهرها فاعتقدوا أن الأجسام كلها مركبة من الجواهر المنفردة، وأن خلق الإنسان وغيره إنما هو إحداث أعراض في تلك الجواهر بجمعها وتفريقها، ليس هو إحداث عين .

فصاروا يريدون أن يستدلوا على أن الإنسان مخلوق . ثم إذا ثبت أنه مخلوق قالوا : إن له خالقا .
واستدلوا على أنه مخلوق بدليل الأعراض، وأن النطفة والعلقة والمضغة لا تنفك من أعراض حادثة، إذ كان عندهم جواهر تجمع تارة وتفرق أخرى، فلا تخلو عن اجتماع وافتراق، وهما حادثان . فلم يخل الإنسان عن الحوادث، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها .
وهذه هي الطريقة التي سلكها الأشعرى في : " اللمع في الرد على أهل البدع " ، وشرحه أصحابه شروحا كثيرة . وكذلك في : [رسالته إلى أهل الثغر] . وذكر قوله تعالى : ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ [الواقعة : ٥٨، ٥٩] ،." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩/٢٥٤>
"ص -٣٨٥- وسلوكهم أدلة برأيهم ظنوها عقلية وهي جهلية . فغلطوا في الدلائل السمعية والعقلية، فاختلفوا . ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] .
وقد بسط الكلام على هذا في مواضع في مسألة الكلام والأفعال وذكر ما تيسر من كلام السلف والأئمة في هذ الأصل . والمقصود هنا التنبيه على مآخذ الأقوال .
وهذا الموضع مما بينه أئمة السنة كالإمام أحمد وغيره . فتكلم في [الرد على الجهمية] على قوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ [الزخرف : ٣] ، وبين أن [الجعل] من الله قد يكون [خلقا] كقوله : ﴿وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] ، وقد يكون [فعلا ليس بخلق] ، وقوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ ، من هذا الباب .
وذلك أن الخلق ونحوه من الأفعال التي ليست خلقا، مثل تكلمه بالقرآن وغيره، وتكلمه لموسي وغيره، ومثل النزول، والإتيان والمجيء، ونحو ذلك فهذه إنما تكون بـقدرته ومشيئته، وبأفعال أخر تقوم بذاته ليست خلقا .
وبهذا يجيب البخاري وغيره من أئمة السنة للكرامية إذا قالوا : [المحدث لابد له من إحداث ؟] ، فيقول : [نعم، وذلك الإحداث." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣٦/٢٥٤>
"ص -٤٦٢- أمر يعرفونه من أنفسهم . فعلم أنه لا يلزم من عدم سلوك هذه الطريق عدم المعرفة . وقد اعترف كثير منهم بذلك، كما قد بيناه في مواضع .
ومنهم من يقول : إن الطريق النظرية التي يسلكها زادته بصيرة وعلما . كما يقوله ابن حزم وغيره . وهو سلك طريقة الأعراض .
وكثير من الناس يقول : إن هذه الطريق لم تفدهم إلا شكا وريبا وفطرة هؤلاء أصح، فإنها طرق فاسدة .

ومنهم من يقول : لم يحصل لى بها شيء لا علم ولا شك . وذلك أنها لم تحصل له علما ولا سلمها، فلم يتبين له صحتها ولا فسادها .

ومن الناس من لا يفهم مرادهم بها . وأكثر أتباعهم لا يفهمونها، بل يتبعونهم تقليدا وإحسانا للظن بهم .

فصل

ومما ينبغي أن يعرف؛ أنا لا نقول : إن الشيء لا يعرف إلا بإثبات جميع لوازمه . هذا لا يقوله عاقل، بل قد تعرف عامة الأشياء وكثير." <مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١٣/٢٥٤>

"

فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا أو لتعديه حدود الله **بسلوك** السبيل التي نهى عنها أو لإتباع هواه بغير هدى من الله فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنا وظاهرا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهذا مغفور له خطؤه كما قال تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا ﴾ إلى قوله ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ سورة البقرة ٢٨٥ ٢٨٦ وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال قد فعلت وكذلك ثبت فيه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ بحرف من هاتين الآيتين ومن سورة الفاتحة إلا أعطى ذلك فهذا يبين استجابة هذا الدعاء للنبي والمؤمنين وأن الله لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا

وأما قول السائل هل ذلك من باب تكليف مالا يطاق والحال هذه

." <درء تعارض العقل والنقل، ٥٩/١>

"

وابن رشد الحفيد يقول في كتابه الذي صنفه ردا على أبي حامد في كتابه المسمى تهافت الفلاسفة فسماه تهافت التهافت ومن الذي قاله في الإلهيات ما يعتد به وأبو الحسن الآمدي في عامة كتبه هو واقف في المسائل الكبار يزيف حجج الطوائف ويبقى حائرا واقفا والخونجي المصنف في أسرار المنطق الذي سمى كتابه كشف الأسرار يقول لما حضره الموت أموت ولم أعرف شيئا إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع ثم قال الإفتقار وصف سلبي أموت ولم أعرف شيئا حكاه عنه التلمساني وذكر أنه سمعه منه وقت الموت

ولهذا تجد أبا حامد مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة **وسلوكه** طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف ويحيل في آخر آمره على طريقه أهل الكشف وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري

." <درء تعارض العقل والنقل، ١/١٦٢>

"والمطر وغير ذلك وهو إنما سمى ذلك حدوث الصفات متابعة لغيره ممن يثبت الجوهر الفرد ويقول بتماثل الأجسام وإن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث وإنما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها وهؤلاء ينكرون الإستحالة

وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها وإن كان يحيل الجسم الأول إلى جسم آخر فلا يقولون إن جرم النطفة باق في بدن الإنسان ولا جرم النواة باق في النخلة

والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع فإن هذه الجمل هي من جوامع الكلام المحدث الذي كان السلف والأئمة يذمونه وينكرون على أهله

والمقصود هنا أن هذه هي أعظم القواطع العقلية التي يعارضون بها الكتب الإلهية والنصوص النبوية وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها

فيقال لهم أنتم وكل مسلم عالم تعلمون بالإضطرار أن إيمان السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان لم يكن مبنيا على هذه الحجج المبنية على الجسم ولا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحدا أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ولا ذكر الله تعالى في كتابه وفي آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئا من هذه الحجج المبنية على الجسم والعرض وتركيب الجسم وحدوثه وما يتبع ذلك

فمن قال إن الإيمان بالله ورسوله لا يحصل إلا بهذه الطريق كان قول معلوم الفساد بالإضطرار من دين الإسلام ومن قال إن **سلوك** هذه الطريق واجب

." <درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٠٨>

"في معرفة الصانع تعالى كان قوله من البدع الباطلة المخالفة لما علم بالإضطرار من دين الإسلام

ولهذا كان عامة أهل العلم يعترفون بهذا وبأن **سلوك** هذه الطريق ليس بواجب بل قد ذكر أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر أن **سلوك** هذه الطريق بدعة محرمة في دين الرسل لم يدع إليها أحد من الأنبياء ولا من أتباعهم

ثم القائلون بأن هذه الطريق ليست واجبة قد يقولون إنها في نفسها صحيحة بل ينهى عن **سلوكها** لما فيها من الأخطار كما يذكر ذلك طائفة منهم الأشعري والخطابي وغيرهما

وأما السلف والأئمة فينكرون صحتها في نفسها ويعيبونها لاشتمالها على كلام باطل ولهذا تكلموا في ذم مثل هذا الكلام لأنه باطل في نفسه لا يوصل إلى حق بل إلى باطل كقول من قال الكلام الباطل لا يدل إلا على باطل وقول من قال لو أوصى بكتب العلم لم يدخل فيها كتب علم الكلام وقول من قال من طلب الدين بالكلام تزندق ونحو ذلك

ونحن الآن في هذا المقام نذكر ما لا يمكن مسلما أن ينازع فيه وهو أنا نعلم بالضرورة أن هذه الطريق لم يذكرها الله تعالى في كتابه ولا أمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم ولا جعل إيمان المتبعين له موقوفا عليها فلو كان الإيمان بالله لا يحصل إلا بها لكان بيان ذلك من أهم مهمات الدين بل كان ذلك أصل أصول الدين لا سيما وكان يكون فيها أصلان عظيمان إثبات الصانع وتنزيهه

". <درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٠٩>

"ليس له علة اصلا لانه يمكن ان يكون له علة صورية ومادية إلا ان يوضع ان كل ما له صورة ومادة وبالجملة كل مركب فواجب ان يكون له فاعل خارج عنه وهذا يحتاج إلى بيان ولم يتضمنه القول **المسلوك** في شان واجب الوجود مع ما ذكرنا ان فيه من الاختلال ولهذا بعينه لا يفضى دليل الاشعرية وهو ان كل حادث له محدث إلى أول قديم ليس بمركب وانما يفضى إلى أول ليس بحادث)

قال (واما ان يكون العالم والعلم شيئا واحدا فليس ممتنعا بل واجب ان ينتهي الأمر في امثال هذه الاشياء إلى ان يتحد المفهوم فيها وذلك ان العالم ان كان عالما بعلم فالذي به العالم عالم احرى ان يكون عالما وذلك ان كل ما استفاده صفة من غيره فتلك الصفة اولى بذلك المعنى المستفاد مثال ذلك ان هذه الأجسام الحية التي لدينا ليست حية من ذاتها بل من قبل حياة تحلها فواجب ان تكون تلك الحياة التي استفاد منها ما ليس بحي الحياة حية بذاتها او يفضى الأمر فيها إلى غير نهاية وكذلك يعرض في العلم وسائر الصفات)

." <درء تعارض العقل والنقل، ٣/٤٢٦>

"إثبات الصانع عندهم لا يتوقف على هذه الطريق بل قد صرح الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر هو وغيره بأن هذا الطريق ليس هو طريق الأنبياء وأتباع الأنبياء بل هي محرمة في دينهم ولكن الأشعري لا يبطل هذه الطريق بل يقول هي مذمومة في الشرع وإن كانت صحيحه في العقل وسلك هو طريقه مختصر من هذا وهو إثبات حدوث الإنسان بأنه مستلزم للحواذث وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ووافقهم على أن المعلوم حدوثه هو الأعراض كالاجتماع والافتراق وأن ما يخلق من الحيوان والنبات والمعادن إنما تحدث أعراضه لا جواهره

وكذلك الخطابي وطائفة معه ممن يذم هذه الطريقة الكلامية التي ذمها الأشعري يوافقون على صحتها مع ذمهم لها

وأما جمهور الأئمة والعقلاء فهي عندهم باطلة وهذا مما يعلم معناه كل من له نظر واستدلال إذا تأمل حال سلف الأمة وأئمتها وجمهورها فإنهم كلهم مؤمنون بالله ورسوله ولم يكونوا يبنون الإيمان على إثبات حدوث الأجسام بل كل من له أدنى علم بأحوال الرسول والصحابة يعلم أنهم لم يجعلوا العلم بتصديقه مبنيا على القول بحدوث الأجسام بل ليس في الكتاب ولا السنة ولا قول أحد من السلف والأئمة ذكر القول بحدوث الأجسام ولا إمكانها فضلا عن أن يكون فيها أن الإيمان بالله ورسوله لا يحصل إلا بذلك وقد بسط الكلام على هذا في مواضع

والمقصود هنا أن القول بأن أول الواجبات هو **سلوك** النظر في

." <درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢٩١>

"إلى التوهمات المناسبة للأمر القدسي منصرفة عن التوهمات المناسبة للأمر السفلي والثالث تلطيف السر للتنبه والأول يعين عليه الزهد الحقيقي والثاني تعين عليه أشياء العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الألحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما يلحن بها من الكلام موقع القبول من الأوهام والثالث نفس الكلام الواعظ من قائل زكى بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد وأما الغرض الثالث فيعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف الذي تأمر فيه شمائل المعشوق ليس سلطان الشهوة

فيقال قد ذكر أن المريد يحتاج في الرياضة التي تسمى **السلوك** إلى ثلاثة أشياء متعلقة بالقصد والعمل والعلم

أما القصد فأن لا يقصد إلا الحق فينحى ما سواه عن طريق القصد فلا يقصد إلا إياه وهذا حق لكن لا يكون إلا على دين المرسلين وأما إرادة الله ومحبته دون ما سواه فليس هو طريق هؤلاء المتفلسفة بل هو ممتنع على أصولهم الفاسدة وليس زهدهم زهد الأنبياء ولكن زهدهم للتوفر على مطلوبهم الذي يرونه كمالا لا على عبادة الله

." <درء تعارض العقل والنقل، ٦/٧٩>
"

وأيضا فعبد الله بن سعيد بن كلاب والحارث المحاسبي وأبو العباس القلانسي وأبو الحسن بن مهدي الطبري وعامة قدماء الأشعرية يقولون إن الله بذاته فوق العرش ويردون على النفاة غاية الرد وكلامهم في ذلك كثير مذكور في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على بطلان ما يعارض به النفاة من الحجج العقلية وأما النفي فلم يكن يعرف إلا عن الجهمية كالمعتزلة ونحوهم ومن وافقهم من الفلاسفة وإلا فالمنقول عن أكثر الفلاسفة هو قول أهل الإثبات كما نقله ابن رشد الحفيد عنهم وهو من أعظم الناس انتصارا لهم **وسلوكا** لطريقتهم لا سيما لأرسطو وأتباعه مع أنه يميل إلى القول بقدم العالم أيضا

الوجه الثاني من أجوبة قوله لو كان بديهيا لامتنع اتفاق الجمع العظيم على إنكاره وهم ما سوى الحنابلة والكرامية

هو أن يقال لم يطبق على ذلك إلا من أخذه بعضهم عن بعض كما أخذ النصارى دينهم بعضهم عن بعض وكذلك اليهود والرافضة وغيرهم

فأما أهل الفطر التي لم تغير فلا ينكرون هذا العلم وإذا كان كذلك فأهل المذاهب الموروثة لا يمتنع إطباقهم على حجد العلوم البديهية فإنه

." <درء تعارض العقل والنقل، ٦/٢٦٧>

"التوراة من الصفات على موسى كانوا يعتقدونها فكذبوها أو كان مقصودهم إضلال اليهود وبث الكذب فيهم لإفساد دينهم

قيل هذا القدر يمكن أن يفعله الواحد والاثنان والطائفة القليلة ولكن هؤلاء إذا حدثوا به عامة اليهود مع معرفتهم واختلافهم فلا بد إذا كان معلوما فساده بصريح العقل أن يرده بعضهم أو يستشكله ويقول إن مثل هذا يقدح في موسى فحيث قبلوه كلهم علم أنهم لم يكونوا يعتقدون أنه فاسد في صريح العقل

ومن المعلوم عند أهل الكتاب أن قدماءهم لم يكونوا ينكرون ما في التوراة من الصفات وإنما حدث فيهم بعد ذلك لما صار فيهم جهمية إما متفلسفة مثل موسى بن ميمون وأمثاله وإما معتزلة مثل أبي يعقوب البصير وأمثاله فإن اليهود لهم بالمعتزلة اتصال وبينهما اشتباه ولهذا كانت اليهود تقرأ الأصول الخمسة التي للمعتزلة ويتكلمون في أصول اليهود بما يشابه كلام المعتزلة كما أن كثيرا من زهاد الصوفية يشبه النصارى ويسلك في زهده وعبادته من الشرك والرهبانية ما يشبه **سلوك** النصارى

ولهذا أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

." <درء تعارض العقل والنقل، ٧/٩٤>
"

وإن قلت أنا وأولئك النفاة متفقون على النفي لما أثبته هؤلاء

قيل لك والطائفة الفلانية والفلانية متفقتان على النفي لما أثبته

واعلم أنه ليس من أهل الأرض إلا من يمكن مخاطبته بهذه الطريق حتى غلاة النفاة من الجهمية والقرامطة والفلاسفة فإنهم لا بد أن يثبتوا شيئا من السمعيات بوجه من الوجوه إذ لا يمكن أحدا من الطوائف أن ينفي جميع ما أثبته السمع من القضايا الخبرية والطلبية

وإذا قال أنا أثبت ما جاء به السمع لكوني علمته بالعقل لا لمجيء السمع به أمكن أن يجاب بمثل ذلك في إثبات العلو والصفات أيضا وأمكن أن يجاب بجواب آخر وهو أن كل من أقر بالنبوات بوجه من الوجوه فلا بد له أن يثبت بأقوال الأنبياء ما تكون الحجة فيه مجرد قولهم ولو أنه من الأمور العلمية السياسية فإن هؤلاء كلهم لا بد له من العمل بالشرائع إما في الظاهر وإما للجمهور وإما في أوائل **سلوكهم**

وإن كان ممن لا يثبت النبوات بوجه فلا بد له من العمل بقول غير الأنبياء كالملوك والفلاسفة ونحوهم

بل لا بد للإنسان أن يفهم كلام بني جنسه إذ الإنسان مدني بالطبع لا يستقل بتحصيل مصالحه فلا بد لهم من الاجتماع للتعاون على المصالح ولا يتم ذلك إلا بطريق يعلم به بعضهم ما يقصده غيره

." <درء تعارض العقل والنقل، ٧/١٣٦>
"

وسبب ذلك تسليمهم لهم صحة تلك الأصول التي ذكر الأشعري أنها مبتدعة في الإسلام مع أنه يمكن بيان أن قول الأشعري وأصحابه أقرب إلى صريح المعقول من قول المعتزلة كما يمكن أن يبين أن قول المعتزلة أقرب إلى صريح المعقول من قول الفلاسفة لكن هذا يفيد أن هذا القول أقرب إلى المعقول وإلى الحق لا يفيد أنه هو الحق في نفس الأمر فهذا ينتفع به من ناظر الطاعن على الأشعرية من المعتزلة والطاعن على المعتزلة من الفلاسفة فتبين له أن قول هؤلاء خير من قول أصحابك فإنه كما أن كل من كان أقرب إلى السنة فقوله أقرب إلى الأدلة الشرعية فكذلك قوله أقرب إلى الأدلة العقلية

ولا ريب أن هذا مما ينبغي **سلوكه** فكل قول أو قائل كان إلى الحق أقرب فإنه يبين رجحانه على ما كان عن الحق أبعد ألا ترى أن الله تعالى لما نصر الروم على الفرس وكان هؤلاء أهل كتاب وهؤلاء أهل أوثان فرح المؤمنون بنصر الله لمن كان إلى الحق أقرب على من كان عنه أبعد وأيضا فيمكن القريب إلى الحق أن ينازع

." <درء تعارض العقل والنقل، ٧/٢٣٨>

"تعالى وحقيقة رحمته وعدله وقالوا ما يقدح في أمره ونهيه ووعده ووعيده وتوقفوا في بعض أمره ونهيه ووعده ووعيده فصار أولئك يكذبون بقدرته وخلقه ومشيئته وهؤلاء يكذبون برحمته وحكمته وببعضه أمره ونهيه ووعده ووعيده كما قد بسط في موضعه

فكان ما دفعوا به أهل البدع من أصول مبتدعة باطلة وافقوهم عليها أو أصول مبتدعة باطلة قاتلوهم فيها ضلة من الرأي وغبنا فيه وخدعة من الشيطان بل الحق أنهم لايوافقون على باطل ولايقابلهم باطلهم بباطل

وهذا كما أصاب كثيرا من الناس من أهل العبادة والزهد والتصوف والفقر أعرضوا عن السماع الشرعي والزهد الشرعي **والسلوك** الشرعي فاحتاجوا أن يعتاضوا عن ذلك بسماع بدعي وزهد بدعي **وسلوك** بدعي يوافق فيه بعضا بعضا في باطل أو يقابل باطلهم بباطل آخر وكما أصاب كثيرا من الناس مع الولاة الذين

أحدثو الظلم فإنهم تارة يوافقونهم على بعض ظلمهم فيعاونونهم على الإثم والعدوان وتارة يقابلون ظلمهم بظلم آخر فيخرجون عليهم

." <درء تعارض العقل والنقل، ٧/٢٩١>

"سلكناها سليمة من هذه الآفات برية من هذه العيوب فقد بان ووضح فساد قول من زعم وادعى من المتكلمين أن من لم يتوصل إلى معرفة الله تعالى وتوحيده من الوجه الذي يصححونه من الاستدلال فإنه غير موحد في الحقيقة لكنه مستسلم مقلد وأن سبيله سبيل الذرية في كونها تبعا للآباء في الإسلام وثبت أن قائل هذا القول مخطىء وبين يدي الله ورسوله متقدم وبعامة الصحابة وجمهور السلف مزر وعن طريق السنة عادل وعن نهجها ناكب

قلت وهذا الذي ذكره الخطابي بين ظاهر بتقدير أن تكون تلك الطريق صحيحة في نفسها موصلة إلى العلم فإن **سلوكها** والحال هذه إما غرر وخطر وإما مشق صعب بل معجوز عنه فإنها تحتاج إلى تصحيح مقدمات كثيرة دقيقة متنازع فيها وقد لا تثبت للإنسان فيضل عنها فكانت بمنزلة من يريد الحج من طريق بعيدة مخوفة يمكن سالكها أن يصل بعد جهد ومشقة ويمكن أن

." <درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣١١>

"وكذلك قال أبو الحسن الآمدي في كتابه الكبير المسمى أبكار الأفكار في مسألة وجوب النظر لما ذكر حجة من ذكر من جهة المنازع إنا لا نسلم أنه لا طريق إلى معرفة الله إلا بالنظر والاستدلال بل أمكن حصولها بطريق آخر إما بأن يخلق الله تعالى العلم للمكلف بذلك من غير واسطة وإما بأن يخبره به من لا يشك في صدقه كالمؤيد بالمعجزات الصادقة وإما بطريق **السلوك** والرياضة وتصفية النفس وتكميل جوهرها حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية مطلعة على ما ظهر وبطن من غير احتياج إلى تعليم وتعلم

وقال في الجواب قولهم لا نسلم توقف المعرفة على النظر قلنا نحن إنما نقول بوجوب النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله

." <درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣٥٦>

"

ونظير هذه التراتيب التي أحدثها أهل الكلام وادعوا أنه لا يحصل العلم إلا بها تراتيب ذكرها طوائف من الصوفية المصنفين في أحوال القلوب وأعمالها لما تكلموا في المقامات والمنازل وترتيبها فهذا يذكر عددا من المنازل والمقامات وترتيبا وهذا يذكر عددا آخر وترتيبا ويقول هذا إن العبد لا ينتقل إلى مقام كذا حتى يحصل له كذا وأنه ينتقل إلى كذا بعد كذا ويقول هذا عدد المنازل مائة ويقول الآخر عددها أكثر وأقل ثم هذا يقسم المنازل أقساما يجعلها الآخر كلها قسما ويذكر هذا أسماء وأحوالا لا يذكرها الآخر

وغاية الواحد من هؤلاء أن يكون ما ذكره وصف حاله وحال أمثاله **وسلوكهم** وترتيب منازلهم فإذا كان ما قالوه حقا فغايته أن يكون وصف **سلوك** طائفة معينة أما كون جميع أولياء الله تعالى لا يسلكون إلا على هذا الوجه المرتب وهذه الانتقالات فهذا باطل

وكذلك أيضا نظير هذا ما يذكره من يذكره من المتفلسفة وأهل المنطق في ترتيب العلم وأسباب حصوله وما يذكرونه من الحدود والأقيسة والانتقالات الذهنية فغاية كلامهم إذا كان صحيحا أن يكون ذلك وصفا لما تسلكه طائفة معينة أما كون جميع بني آدم لا يحصل لهم العلم بمطالبهم إلا بهذه الطرق المعينة فهذا كلام

." <درء تعارض العقل والنقل، ٨/٢٠>
"

ثم أن القاضي قرر ذلك بأن ذلك التقدم والتأخر لا يجوز أن يكون لعلة تقوم بالمتقدم والمتأخر لأنه ليس وجود العلة به بأولى من وجودها بغيره إذا لم يكن هناك موجد وكذلك وجود سائر العلل المجانسة لها لسائر ما يحتمله ذلك الجنس الذي وجدت به العلة ولأن ذلك يتضمن تقدم علة على علة فتفتقر ايضا إلى علة متقدمة وذلك يفضي إلى وجود حوادث لا نهاية لها وهو محال

وهذه المقدمة فيها نزاع مشهور لكنه احتج بها على من يسلمها من المعتزلة ولأنه عند نفسه قد أقام الدليل عليها في موضع آخر

وأيضا فإنه بنى دليله على تماثل الجواهر وهذا فيه نزاع مشهور لكنه أحال على تقريره لذلك في موضع آخر

وابطال هذا القسم يظهر بدون هذه الأدلة التي اعتمد عليها وذلك أن الكلام في حدوث ما يحدث من الحوادث التي تقدمت وتأخرت وهذه لا تقوم بها العلل في حال عدمها إنما تقوم بها في حال وجودها

فيمتنع أن يكون حدوثها لمعنى قام بها قبل حدوثها لأن المعدوم لا يحدث الموجود ولا يكون المعدوم علة للموجود

ولكن **سلوك** هؤلاء لهذه الطرق البعيدة التي فيها شبهة وطول دون

." <درء تعارض العقل والنقل، ٨/٨٤>

"يقبله وان كان الوجه الثاني أصح وأقرب كمن تعود أن يحج من طريق بعيدة معطشة مخوفة وهناك طرق اقرب منها آمنة وفيها الماء لكن لما لم يعتدها نفرت نفسه عن **سلوكها**

وكذلك الأدلة التي فيها دقة وغموض وخفاء قد ينتفع بها من تعودت نفسه الفكرة في الأمور الدقيقة ومن يكون تلقيه للعلم عن الطرق الخفية التي لا يفهمها اكثر الناس احب اليه من تلقيه له من الطرق الواضحة التي يشركه فيها الجمهور ومثل هذا موجود في المطاعم والمشارب والملابس والعادات لما في النفوس من حب الرياسة

فهذه الطرق الطويلة الغامضة التي تتضمن تقسيمات أو تلازمات أو إدراج جزئيات تحت كليات قد ينتفع بها من هذا الوجه في حق طائفة من الناظرين والمناظرين وان كان غير هؤلاء من أهل الفطر السليمة والاذهان المستقيمة لا يحتاج اليها بل إذا ذكرت عنده مجها سمعه ونفر عنها عقله ورأى المطلوب أقرب وأيسر من أن يحتاج إلى هذا فإن علم العقول بافتقار المحدث إلى محدث أبين

." <درء تعارض العقل والنقل، ٨/٨٦>
"

وفي الجملة فإن كان طريقكم مذموما فالذم الذي يلحقه به أقل مما يلحقكم به وإن كان صحيحا فهو قد سلكه في آخر الدليل لكنه لم يجعل نفس إثبات الصانع تعالى مفتقرا إلى إثبات حدوث الأجسام لعلمه بأن الأمر ليس كذلك وبأن هذا مخالفة لدين المسلمين وسائر أهل الملل فكان في موافقتكم على **سلوك** هذه الطريق ابتداء مخالفة للشرع والعقل

وأما كون من أقر بالشيء المحدث المخلوق أقر بالخالق ومن اعترف بالمفعول اعترف بالفاعل كما ذكره هذا المعتزلي فالأمر كذلك ولهذا لم يتعرض الأشعري للدليل على ذلك بل جعل كون المحدث دالا على المحدث أمرا مستقرا معلوما بالفطرة إذ النزاع في ذلك أقبح من نزاع السوفسطائية

وأما القاضي أبو بكر فأراد أن يجيب عن الأشعري بوجه آخر فزعم أن افتقار المحدث الى المحدث أمر نظري لا ضروري وأن الأشعري أثبت ذلك وذكر أن إثباته لذلك من جهة تضمن الفعل للفاعل كتضمن الفاعل للفعل

ومن المعلوم أن كلام الاشعري ليس فيه شيء من هذا ولا يحتاج كلامه إلى هذا وإنما نشأ الغلط من ظن القاضي أبي بكر أن العلم

." <درء تعارض العقل والنقل، ٨/١٠٢>

"

والمقصود هنا أن الممكن لا يترجخ إلا بمرجح وان هذا متفق عليه بين العقلاء والله أعلم فصل

ثم أن الرازي مع **سلوكه** المسلك المتقدم ذكر أن هذه المقدمة أعني أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح هي مقدمة ضرورية وان من لزمه ما يناقضها فهو لم يلتزم ذلك فليس من العقلاء من يلتزم نقيضها والاقوال المستلزمة نقيض هذه القضية باطلة قطعا

وهذا الذي قاله صحيح في الممكن المعلوم انه ممكن وهو المحدث فإن وجود المحدث بلا محدث مما يعلم بضرورة العقل امتناعه واما الممكن بالمعنى الذي قالوه وهو ما يتناول القديم فهو يبين انه باطل وانهم لم يثبتوا بهذه الطريق لا إثبات ممكن ولا إثبات واجب ولكن قد ذكر ايضا أنه من المعلوم بضرورة العقل أن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح وهذا صحيح يوافقه عليه عامة العقلاء

." <درء تعارض العقل والنقل، ٨/٢٩١>

"تعيين الأسباب فيذم من المعتزلة أنهم أحدثوا طرقا زعموا أن معرفة الله لا تحصل إلا بها وزعموا أن المعرفة تجب بها بفعل العبد لا بفعل الله

ومن الناس من قد يوافقهم على إحدى البدعتين دون الأخرى وكثير من الناس قد اختلف كلامه في هذا الأصل تارة يقول إن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر ويجعل أول الواجبات النظر أو المعرفة الحاصلة به وقد يعين طريق النظر كما فعل ذلك القاضي أبو يعلى في المعتمد موافقة للقاضي أبي بكر وأمثاله من الموافقين في هذا الأصل للمعتزلة وكما فعل ابن عقيل وابن الزاغوني وغيرهم

ومن توابع ذلك أن النظر المفيد للعلم لا يكون إلا نظرا في دليل والنظر الذي يوجبونه يكون نظرا فيما يعلم الناظر أنه دليل لأنه لو علم قبل النظر أنه دليل لعلم ثبوت المدلول وإذا كان عالما به لم يحتج إلى الاستدلال عليه فيوجبون **سلوك** طريق لا يعلم السالك أنها طريق

ثم إن القاضي أبا يعلى في كتابه المعروف بعيون المسائل الذي صنفه في الخلاف مع المعتزلة والأشعرية ذكر ما يخالف ذلك فقال مسألة مثبتو النبوات تحصل لهم المعرفة بالله بثبوت النبوة من غير نظر واستدلال في دلائل العقول خلافا للأشعرية في قولهم لا تحصل حتى ننظر ونستدل بدلائل العقول دليلنا أن النبوة إذا ثبتت بقيام المعجز علمنا أن هناك مرسلا أرسله إذ لا يكون هناك نبي إلا وهناك مرسل وإذا ثبت أن هناك مرسل أغنى ذلك عن النظر والاستدلال في دلائل العقول على إثباته ولأنه لما لم يقف وجود المعرفة على النظر في دلائل العقول بل وجبت بالشرع كذلك طريقها جاز أن يحصل بالشرع دون دلائل

". <درء تعارض العقل والنقل، ٩/٣٦>
"

قال والجواب أن العاقل مع اعترافه بحكمة خالقه لا يتوهم أنه يسخط على من شكره وتذلل له وتضرع إليه وإن كان غنيا عن ذلك لأن الذي بعثه على الشكر ليس هو اعتقاد حاجة خالقه إلى الشكر ولا أن شكره يقومن بإزاء النعمة عليه فيمتنع لعلمه بغناه عن ذلك وإنما الباعث له حسن الشكر والتذلل والتعظيم للمنعم من بدائه العقول والحكيم لا يسخط ما هذا سبيله فإذا قد أمن عاقبة الإقدام على الشكر ولم يأمن عاقبة العقاب على تركه فيجب في عقله توخي ذلك وصار مثال ذلك أن يقال للعاقل في الطريق مفسدون يأخذون المال ويقتلون النفس أو سباع تفترس الآدمي ويقال له أنت ما معك قليل نذر والمفسدون قد استغنوا بما قد أخذوا فلعلهم لا يعرضون لك أنفة من قلة مالك والسباع قد افترست جماعة فقد شبعوا فلعلهم لا يعرضون لك فإن في العقل يجب عليه التوقف عن **سلوك** ذلك الطريق لا الإقدام عليه كذلك ها هنا

قلت مضمون ذلك أن العقل يوجب **سلوك** الأمن دون طريق الخوف

قال دليل ثالث أنه لو لم يكن في قضاء العقول إلزام وحظر لأمكن العاقل أن لا يلزمه شيء أصلا لأنه متى قصد بالخطاب سد سمعه فلم يسمع الخطاب

". <درء تعارض العقل والنقل، ٩/٥٤>

"الإرادة للمفعول يستلزم حدوثه بل تسليم كون الشيء مفعولا يستلزم حدوثه فأما مفعول مراد أزلي لم يزل ولا يزال مقارنا لفاعله المريد له الفاعل له بإرادة قديمة وفعل قديم فهذا مما يعلم جمهور العقلاء فساده بضرورة العقل

وحينئذ فبتقدير أن يكون الباري لم يزل مريدا لأن يفعل شيئا بعد شيء يكون كل ما سواه حادثا كائنا بعد أن لم يكن وتكون الإرادة قديمة بمعنى أن نوعها قديم وإن كان كل من المحدثات مرادا بإرادة حادثة

قال فقد تبين لك من هذا كله أن الطرق المشهورة للأشعرية في السلوك إلى معرفة الله تعالى ليست طرقا نظرية يقينية ولا طرقا شرعية يقينية وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة في الكتاب العزيز على هذا المعنى أعني معرفة وجود الصانع تعالى وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين أحدهما أن تكون يقينية والثاني أن تكون بسيطة غير

." <درء تعارض العقل والنقل، ٩/١٢٩>

"فلا يقال إن الشرع سكت عما يحتاج إلى معرفته من معنى الجسم نفيا وإثباتا

ثم إذا كان المعنى الذي يريده النافي يمكنه نفيه بالشرع وبالعقل بدون إطلاق لفظ متنازع في أحكام معناه كان نفي ذلك المعنى بما ينفيه من الأدلة الشرعية والعقلية التي لا يمكن النزاع فيها هو المشروع دون بقية معان متنازع فيها هي طويلة متعبة بلا نزاع وقد تكون مع ذلك باطلة

ومن المعلوم أن من ترك سلك الطريق المستقيم الذي يوصله إلى مكة وسلك طريقا بعيدة لغير مصلحة راجحة كان تاركا لما يؤمر به فاعلا لما لا فائدة فيه أو ما ينهى عنه إذا كانت تلك الطريق موصلة إلى المقصود فأما مع الاسترابة في كونها موصلة أو مهلكة فإنه لا يجوز سلوكها

وهذه الطرق التي يسلكها نفاة الجسم وأمثالهم احسن أحوالها أن تكون عوجا طويلة قد تهلك وقد توصل إذ لو كانت مستقيمة موصلة لم يعدل عنها السلف فكيف إذا تيقن أنها مهلكة

ولا ريب أن الذين يعارضون الكتاب والسنة إنما يعارضونها بطرق هؤلاء فهم يعرضون عن كتاب الله في أول سلوكهم ويعارضونه في منتهى سلوكهم

وقد قال تعالى ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾

." <درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣١٦>

" كما سنذكر ذلك عنه وكذلك ذكر غير واحد عن متقدمي أصحابه ومتأخريهم حتى أبو عبدالله الرازي بين أن معرفة الله تعالى ليست منحصرة في هذه الطريق التي حكاها عن الأشعرية وبين غلط أبي المعالي في قوله اعلم أن أول ما يجب على البالغ العاقل القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم وبين أن العلم بحدوث العالم يمكن أن يعلم بالسمع فضلا عن أن لا يكون طريقا إلى إثبات الصانع إلا العلم بحدوثه بالطريق الذي ذكره وأن يكون القصد إلى النظر في هذه الطريق وكذلك الغزالي قبله بين حصول المعرفة بدون هذه الطريق

وبالجملة فإنه وإن كان أبو المعالي ونحوه يوجبون هذه الطريقة فكثير من أئمة الأشعرية أو أكثرهم يخالفونه في ذلك ولا يوجبونها بل إما أن يحرموها أو يكرهوها أو يبيحوها وغيرها ويصرحون بأن معرفة الله تعالى لا تتوقف على هذه الطريقة ولا يجب سلوكها

ثم هم قسمان قسم يوسقها ويسوق غيرها ويعدها طريقا من الطرق فعلى هذا إذا فسدت لم يضرهم والقسم الثاني يذمونها ويعيبونها ويعيبون سلوكها وينهون عنها إما نهي تنزيه وإما نهي تحريم كما ذكره أبو الحسن الأشعري في رسالته كما سنذكره عنه كما ذكر ذلك طوائف ممن لا يبطل تلك الطريقة كأبي سليمان الخطابي ونحوه

قال الشيخ أبو سليمان الخطابي في كتاب شعار الدين أما بعد فإن أخا من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه ولا يسعهم جهله من أمر الدين وشرح أصوله في التوحيد وصفات الباري تعالى والكلام في القضاء والقدر والمشيئة والدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم وبيان إعجاز القرآن والقول في ترتيب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وما يتصل به من الكلام ." <بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٤٩>

" وسائر ما ادعى أهل الكلام أنه لا يتوصل إليه إلا من الوجه الذي يزعمونه هو أن الله سبحانه وتعالى لما أراد إكرام من هداه لمعرفته بعث رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وقال له يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وقال صلى الله عليه و سلم في خطبته في حجة الوداع وفي مقامات له شتى وبحضرته عامة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألا هل بلغت فكان ما أنزل الله تعالى وأمر بتبليغه هو كمال الدين وتمامه لقوله اليوم أكملت لكم دينكم فلم يترك صلى الله عليه و سلم شيئا من أمور الدين وقواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه إذ لا خلاف بين فرق الأمة أن تأخير البيان

عن وقت الحاجة لا يجوز بحال فمعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تبرح فيهما الحاجة داعية أبدا في كل وقت وزمان ولو أخر فيها البيان لكان قد كلفهم مالا سبيل لهم إليه وإذا كان على ما قلت وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يدعهم من هذه الأمور إلى الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها إذ لا يمكن أحدا من الناس أن يروي في ذلك عنه ولا عن أحد من الصحابة من هذا النمط حرف واحد فما فوقه لا من طريق تواتر ولا آحاد علم أنهم قد ذهبوا خلاف مذاهب هؤلاء وسلكوا غير طريقتهم

قلت وهذا الكلام يشبه ما ذكره أبو الحسن الأشعري في رسالته ومضمون ذلك أن هذه الطريقة محدثة مبتدعة مستغنى عنها منهي عن **سلوكها** لذلك وليس فيه بيان أنها باطلة ولكون أمثال هؤلاء لا يعتقدون بطلانها في الباطن وإن نهوا عن **سلوكها** وقع منهم أقوال مبنية على بعض مقدماتها وإن خالفت النصوص والمعقول والذي عليه حذاق الأئمة والعلماء أنها طريقة باطلة كما يقول ذلك طوائف من أهل الكلام والفلاسفة وهذا الحفيد وإن بين ." <بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٥٥>

" بطلانها لكن طريقته في الباطن أبطل من هذه وإن سماها طريقة البرهان ولهذا لما فرغ من الرد على الأشعرية في هذه الطريقة وذكر طريقة ثانية لأبي المعالي وهي أن العالم جائز والجائز لا بد له من مخصص تكلم عليها بما ليس هذا موضعه

إلى أن قال فقد تبين لك من هذا كله أن الطرق المشهورة للأشعرية في **السلوك** إلى معرفة وجود الباري ليست طرقا نظرية يقينية ولا طرقا شرعية يقينية وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة في الكتاب العزيز على هذا المعنى أعني معرفة وجود الصانع وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين أحدهما أن تكون يقينية والثانية أن تكون بسيطة غير مركبة أعني قليلة المقدمات فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأول

قال وأما الصوفية فطرقهم في النظر ليست طرقا نظرية أعني مركبة من مقدمات وأقيسة وإنما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجردها من العوارض الشهوانية وإقبالها بالفكرة على المطلوب ويحتجون لتصحيح هذا بظواهر من الشرع كثيرة مثل قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومثل قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ومثل قوله تعالى إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا إلى أشباه ذلك كثيرة يظن أنها عاضدة لهذا المعنى ونحن نقول إن هذه الطريقة وان سلمنا وجودها ليست عامة للناس بما هم ناس ولو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر ولكان وجودها بالناس عبثا ." <بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٥٦>

" فيقال الشارع لم يأمر بالأعمال لمجرد كونها معينة للنظر على حصول العلم بل هذا إنما يظنه هؤلاء المتفلسفة ونحوهم من المبطلين الذين يظنون أن غاية الكمال الإنساني المطلوب هو أن يكون الإنسان عالما وهذا في الجهل كما قد بسطناه في غير هذا الموضع بل مقدمهم الجهم بن صفوان لما ادعى أن المعرفة في القلوب تنفع وإن لم يكن معها عمل أطلق غير واحد من الأئمة كوكيع بن الجراح وغيره تكفير من يقول ذلك فكيف بمن يقول إنها المقصودة فقط وما سواها وسيلة هذا لعمري لو كان مقصودهم المعرفة التي دلت عليها الرسل فكيف وهم يعنون بالمعرفة عقائد أكثرها باطلة مناقضة للشرع والعقل بل كل واحد من علم القلب وعمله الذي أصله محبة القلب هو أمر مأمور به مقصود للشارع فالعلم بمنزلة السبب والأصل يوجب المحبة والإرادة وطلب المحبوب المعبود ثم كلما ازداد العبد معرفة ازداد محبة وكلما ازداد محبة ازداد عبادة والمطلوب المقصود الذي هو الغاية هو الله سبحانه وأن يكون العبد عابدا له قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وليست عبادته مجرد الأعمال البدنية بل أصل العبادة معرفته وكمال محبته وكمال تعظيمه وهذه الأمور تصحبه في الدار الآخرة فكل من النظر والعمل مأمور به مقصود للشارع وكل منهما معين للآخر وشرط في حصول المقصود بالآخر فإن الناظر مع سوء قصده وهواه لا يحصل له المطلوب لا من العلم ولا من العمل والعابد مع فساد نظره لا يحصل له المقصود لا من العلم ولا من العمل بل كلاهما واجب لنفسه وشرط للآخر فلا بد من **سلوك** الطريقين معا ليس ذلك في وقت واحد ولا بد أن يكون ذلك جميعه موافقا لما أخبر به الرسول ولما أمر به فإذا حصل هذا وهذا كان العبد من الذين هم على هدى من ربهم الذين هم ." <بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٦٨>

" والإتيان والنزول كان موصوفا بالحركة وما اتصف بالحركة لم يخل منها أو من السكون الذي هو ضدها وما لا يخل من الحوادث فهو حادث فإذا ثبت حدوث الأجسام قلنا إن المحدث لا بد له من محدث فأثبتنا الصانع بهذا فلو وصفناه بالصفات أو بالأفعال القائمة به لجاز أن تقوم الأفعال والصفات بالقديم وحينئذ فلا يكون دليلا على حدوث الأجسام فيبطل دليل إثبات الصانع

فيقال لهم الجواب من وجوه أحدها أن بطلان هذا الدليل المعين لا يستلزم بطلان جميع الأدلة وإثبات الصانع له طرق كثيرة لا يمكن ضبط تفاصيلها وإن أمكن ضبط جملها الثاني أن هذا الدليل لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين فلو كانت معرفة الرب عز و جل والإيمان به موقوفة عليه للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين الثالث أن الأنبياء والمرسلين لم يأمروا واحدا **بسلوك** هذا السبيل فلو كانت المعرفة موقوفة عليه وهي واجبة لكان

واجبا وإن كانت مستحبة كان مستحبا ولو كان واجبا أو مستحبا لشرعه رسول الله صلى الله عليه و سلم ولو كان مشروعا لنقلته الصحابة

وقال بعضهم قد قال الله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فقد ذم الله من أتخذ إلها جسدا والجسد هو الجسم فيكون الله قد ذم من اتخذ إلها هو جسم فيقال له هذا باطل من وجوه

أحدها أن هذا إنما يدل على نفي أن يكون جسدا لا على نفي أن يكون جسما والجسم في اصطلاح نفاة الصفات أعم من الجسد إلى أن قال ." <بيان تلبيس الجهمية، ٦١٩/١>

"قال ابن القيم رحمه الله: ويشبه هذا الاستدلال(١) استدلال بعض الزنادقة المنتسبين إلى الفقه على حل الفاحشة بمملوك الرجل بقوله تعالى: ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * ﴾ [٢٣/٦]، ومعتقد ذلك كافر حلال الدم بعد قيام الحجة عليه، وإنما تسترت هذه الطائفة لهواها وشهواتها وأوهمت أنها تنظر عبرة واستدلالا، حتى آل ببعضهم الأمر إلى أن ظنوا أن نظرهم عبادة لأنهم ينظرون إلى مظاهر الجمال الإلهي ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى عن قول إخوان النصارى يظهر في تلك الصورة الجميلة، ويجعلون هذا طريقا إلى الله، كما وقع فيه طوائف كثيرة ممن يدعي المعرفة **والسلوك**.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: وكفر هؤلاء شر من كفر قوم لوط، وشر من كفر عباد الأصنام فإن أولئك لم يقولوا: إن الله سبحانه يتجلى في تلك الصورة وعباد الأصنام غاية ما قالوه: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [٢٩/٣] وهؤلاء يقولون: نعبدهم لأن الله ظهر في صورهم.

وحكى لي شيخنا: أن رجلا من هؤلاء مر به شاب جميل فجعل يتبعه ببصره، فأنكر عليه جليس له، قال: لا يصلح هذا لمثلك، فقال: إني أرى فيه صفات معبودي وهو مظهر من مظاهر جماله، فقال: لقد فعلت به وصنعت؟ قال: وإن قال شيخنا فلعن الله أمة معبودها موطوؤها.

قال: وسئل أفضل متأخريهم العفيف التلمساني فقيل له: إذا كان

---

(١) الاستدلال على إباحة النظر إلى المردان الحسان بآية ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ ، واستدلالهم على إباحة السماع الشيطاني بقوله: ﴿ فبشر عبادي * الذين يستمعون القول ﴾ .." <المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٨٥>

"قال ابن القيم رحمه الله: وزعم أرسطو وأتباعه أن المنطق ميزان المعاني كما أن العروض ميزان الشعر.
وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان، وعوجه، وتعويجه للعقول، وتخبيطه للأذهان، وصنفوا في رده وتهافته كثيرا.
وآخر من صنف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ألف في رده وإبطاله كتابين –كبيرا وصغيرا– بين فيه تناقضه، وتهافته، وفساد كثير من أوضاعه(١).

السلوك، أو التصوف

كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: لابد للسالك إلى الله من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه(٢).
وقال العارف: يسير إلى الله عز وجل بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس(٣).
[ما لابد للسالك والعارف منه]
قال ابن القيم رحمه الله: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول: العارف لا يرى له على أحد حقا، ولا يشهد له على غيره فضلا؛ ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب، ولا يضارب.
ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– من ذلك أمرا لم أشاهده من غيره. وكان يقول كثيرا: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء. وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت.

أنا المكدي وابن المكدي ... وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاما جيدا.

[المؤلف يستقل علمه وعمله، ظهور ذله وانكساره وافتقاره واعتماده على ربه]
وبعث إلي في آخر عمره «قاعدة» في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه.

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن يأتنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضراتي

وليس لي دونه مولى يدبرني ... ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي

---

(١) إغاثة اللهفان جـ٢/٢٦٠ وللفهارس العامة جـ١/١٥٧.

(٢) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص٣٥ لمرعي بن يوسف الكرمي ت١٠٣٣هـ.

(٣) الشهادة الزكية ص٣٥.." <المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٢٢>

"بالصحة ولكن حكى الإمام أحمد عن عمر بن عبد العزيز والحسن أنهم يمنعون من الشراء فإن اشتروا لم تصح، وتعطيل الأرض العشرية باستئجار الذمي لها أو مزارعته فيها كتعطيله بالشراء، وكلام أحمد يوافقه فإنه قال: لا يؤجر منه، - أي الأرض من الذمي - ولا يجوز بقاء أرض بلا عشر ولا خراج اتفاقا، فيخرج من أقطع أرضا بأرض مصر أو غيرها العشر(١).

ويلحق المدفون حكما الموجود ظاهرا في مكان خراب جاهلي أو طريق غير **مسلوك**(٢).

باب زكاة النقدين

وما سماه الناس درهما وتعاملوا به تكون أحكامه أحكام الدرهم من وجوب الزكاة فيما بلغ مائتين منه، والقطع بسرقة ثلاثة دراهم منه، إلى غير ذلك من الأحكام قل ما فيه من الفضة أو كثر، وكذلك ما سمي دينارا(٣).

أما الفلوس فلا يجوز إخراجها عن النقدين على الصحيح لأنها ولو كانت نافقة فليست في المعاملة كالدراهم، في العادة لأنها قد تكسد وتحرم المعاملة بها ولأنها أنقص سعرا، ولهذا يكون البيع بالفلوس، دون البيع بقيمتها من الدراهم، وغايتها أن تكون بمنزلة المكسرة مع الصحاح والبهرجة مع الخالصة فإن تلك إلى النحاس أقرب.

وعلى هذا إذا أخرج الفلوس وأخرج التفاوت جاز على المنصوص في جواز إخراج التفاوت فيما بين الصحيح والمكسر، بناء على أن

جبران الصفات كجبران المقدار؛ لكن يقال: المكسرة من الجنس والفلوس من غير الجنس فينتفي فيها المأخذ، ولا ينبغي أن يكون إلا وجهان، إلا إذا خرجت بقيمتها فضة لا بسعرها في العرض(٤).

وأما كتابة «لا إله إلا الله» على الدراهم فمحدث من خلافة عبد الملك بن مروان - وإلى الآن - وكانوا يكتبون عليها نحوا من ذلك.

ويجوز للمحدث مسكها وإذا كانت معه في منديل أو خريطة وشق عليه مسكها جاز أن يدخل بها الخلاء.

---

(١) اختيارات (١٠١) ف (٢/ ١٠١، ١٧٩).

(٢) اختيارات (١٠١) ف (٢/ ١٠١).

(٣) اختيارات (١٠٢) ف (٢/ ١٠٢).

(٤) اختيارات (١٠٣) ف (٢/ ١٠١).." <المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٢٨>

"وأما أن يظن أن من دخله كان آمنا من عذاب الله مع تركه الفرائض واتخاذه الأنداد من دون الله فخلاف إجماع المسلمين(١).

ويلزم الإنسان طاعة والديه في غير المعصية وإن كانا فاسقين، وهو ظاهر إطلاق أحمد، وهذا فيما فيه منفعة لهما ولا ضرر عليه، فإن شق عليه ولم يضره وجب، وإلا فلا، ولم يقيده أبو عبد الله لسقوط الفرائض بالضرر، وتحرم الطاعة في المعصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فحينئذ ليس للأبوين منع ولدهما من الحج الواجب؛ لكن يستطيب أنفسهما فإن أذنا وإلا حج.

وليس للزوج منع زوجته من الحج الواجب مع ذي محرم، وعليها أن تحج وإن لم يأذن في ذلك، حتى إن كثيرا من العلماء أو أكثرهم يوجبون لها النفقة(٢).

والحج واجب على الفور عند أكثر العلماء.

ومن وجب عليه الحج فتوفي قبله وخلف مالا حج عنه في أظهر قولي العلماء.

وإذا وجب الحج على المحجور عليه لم يكن لوليه منعه منه على الوجه الشرعي، والتجارة ليست محرمة؛ لكن ليس للإنسان أن يفعل ما يشغله عن الحج.

ومن أراد سلوك طريق يستوي فيها السلامة والهلاك وجب عليه الكف عن سلوكها، فإن لم يكف فيكون قد أعان على هلاك نفسه فلا يكون شهيدا .

وتجوز الخفارة عند الحاجة إليها في الدفع عن المخفر، ولا يجوز مع عدمها، كما يأخذ السلطان من الرعايا.

وتحج كل امرأة آمنة مع عدم محرم، قال أبو العباس: وهذا متوجه في سفر كل طاعة.

وأما إماء المرأة فيسافرون معها ولا يفتقرن إلى المحرم، لأنه لا محرم لهن في العادة الغالبة، فأما عتقاؤها من الإماء فقد بيض لذلك أبو العباس.

(١) مختصر الفتاوى (٣٠١) ف (٢/ ١١٦).

(٢) اختيارات (١١٥) ف (٢/ ١١٦).." <المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٤٦>

ما من صاحب إبل لا يؤدي حقها ١٦٠

باب أهل الزكاة ... ١٦٢

لا تعطى من لا يستعين بها على طاعة الله كمن لا يصلي حتى يتوب ... ١٦٢

من لم يحج وهو فقير ومن ليس معه ما يشتري به كتبا ... ١٦٣

﴿ والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم ﴾ ... ١٦٥

من سأل من غيره الدعاء لنفع نفسه نهى عنه ، أو لنفعهما أثيب ، وإذا دعا لهم كان أفضل من دعائه لنفسه ... ١٦٦

لا تسقط الزكاة ... عمن مات شهيدا ... ١٦٦

﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ ... ١٦٦

العمل مع السلطان ، وقبول جوائزه ، وأجرة التعليم ... ١٦٦-١٦٧

كتاب الصيام ... ١٦٩-١٨٢

﴾." <المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢١٣>

"ص -٩٩- عليهم والنصارى ضالون" رواه الإمام أحمد والترمذي عن عدي بن حاتم عن النبي وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

وسبب ذلك أن اليهود يعرفون الحق ولا يعملون به والنصارى يعبدون بلا علم وقد وصف الله اليهود بأعمال والنصارى بأعمال فوصف اليهود بالكبر والبخل والجبن والقسوة وكتمان العلم **وسلوك** سبيل الغي وهو سبيل الشهوات والعدوان.

وذكر عن النصارى الغلو والبدع في العبادات والشرك والضلال واستحلال محارم الله فقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ سورة النساء وقال تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾.." <الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١٢٠>

"ص -١٢٧- بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوبوكثير من نظار المسلمين المصنفين في أصول الدين الذين يقيمون الدليل على كونه قادرا قبل كونه عالما وحيا ويقولون العلم بذلك أسبق في **السلوك** الاستدلالي النظري لدلالة الأحداث والفعل على قدرة المحدث الفاعل فيجب أن يثبتوا له صفة القدرة مع العلم.

وكذلك يقولون إن الحي لما كان ينقسم إلى سميع وغير سميع وبصير وغير بصير وصفناه بأشرف القسمين وهو السميع والبصير.

وكذلك في النطق إذا أريد به البيان والعبارة ولم يرد به مجرد العلم أو معنى من جنس العلم فإن الحي ينقسم إلى متكلم ومبين معبر عما في نفسه وإلى ما ليس كذلك فيجب أن تصفوه بأشرف القسمين وهو الكلام المبين المعبر عنه عما في النفس من المعاني.

ومما يستدل به على ثبوت جميع صفات الكمال أنه لو لم يوصف بكونه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما لوصف بضد ذلك كالموت والجهل والعجز والصمم والبكم والخرس ومعلوم وجوب تقدسه عن هذه النقائص بل هذا معلوم بالضرورة العقلية فإنه أكمل الموجودات وأجلها وأعظمها ورب كل ما سواه وخالقه ومالكه وجاعل كل ما سواه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما فيمتنع أن يكون هو شيئا عاجزا جاهلا أصم أبكم أخرس بل من المعلوم بضرورة العقل أن المتصف بهذه النقائص يمتنع أن يكون فاعلا فضلا عن أن يكون خالقا لكل شيء.

ولبعض الملاحدة من المتفلسفة ومن اتبعهم هنا سؤال مشهور وهو أنه إنما يلزم إذا لم يتصف بصفات الكمال أن يوصف بأضدادها إذا كان قابلا لها فأما إذا لم يكن قابلا لها لم يلزم.

قالوا هذه الصفات متقابلة تقابل العدم والملكة وهو عدم الشيء عما من." <الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١٥٦>

"ص -١٧٢- به التلازم والاشتراط فإن وجود المجموع مستلزم لوجود أجزائه وهو مشروط بذلك.

ومنها أن لفظ الجزء ليس مرادهم جزءا مباينا للجملة فإن جزء الجملة ليس مباينا لها.

ومنها لفظ الغير فإنه يراد بالغيرين ما يجوز مباينة أحدهما لصاحبه أو مفارقته له بزمان أو مكان أو وجود ويراد بهما ما يجوز العلم بأحدهما دون الآخر وبعض المجموع وصفة الموصوف لا يجب أن تفارقه وتباينه بل قد يجوز أن تباينه ويجوز أن لا تباينه.

فصفات الرب عز وجل اللازمة له لا يجوز أن تفارقه وتباينه وحينئذ فمن الناس من لا يسميها غيرا له ومن

سماها غيرا له فذاته مستلزمة لها ليست الصفات فاعلة للذات ولا علة موجبة لها.

ولفظ واجب الوجود يراد به الموجود بنفسه الذي لا فاعل له ولا علة فاعلة له وذات الرب عز وجل وصفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ويراد به مع ذلك المستغني عن محل يقوم به والذات بهذا المعنى واجبة دون الصفات ويراد به ما لا تعلق له بغيره وهذا لا حقيقة له فإن الرب تعالى له تعلق بمخلوقاته لا سيما عند هؤلاء الفلاسفة الدهرية الذين يقولون إنه موجب بذاته للأفلاك مستلزم لها فيجعلونه ملزوما لمفعولاته فكيف ينكرون أن تكون ذاته ملزومة لصفاته.

وهؤلاء المتفلسفة اليونانيون الذين يسمون المشائين أتباع أرسطو صاحب التعاليم المنطق الطبيعي والرياضي والإلهي يقولون إن موضوع العلم الطبيعي متعلق بالمادة في الذهن والخارج من الجسم وأحكامه.

والثاني: الرياضي وهو متعلق بالمادة في الخارج لا في الذهن فإنه لا يوجد عددا ولا مقدارا في الخارج إلا في جسم في الخارج أو عرض معدود أو مقدر منفصل بخلاف الذهن فإنه يجرد أعدادا ومقادير مجردة عن المعدودات والمقدرات.

والثالث: الذي يسمونه علم ما بعد الطبيعة باعتبار **السلوك** العلمي وهو علم ما قبلها باعتبار الوجود العيني ويسمونه أيضا العلم الإلهي وموضوعه عندهم المجرد عن المادة في الذهن والخارج وهو الموجود من حيث هو." <الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٢٠٥>

"ص -٥٩٧- وهؤلاء ظنوا أنهم يقرون بالخالق وأن الوجود المخلوق هو الخالق وقد بسط الكلام على هؤلاء في آخر هذا الكتاب.

وهؤلاء لهم شعر نظموا قصائد على مذهبهم كابن الفارض في قصيدته المسماة بنظم **السلوك** حيث يقول.

لها صلواتي بالمقام أقيمها

وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى

حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن

صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلى أن قال.

وما زلت إياها وإياي لم تزل

ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبب

وقوله.

إلى رسولا كنت مني مرسلا

وذاتي بآياتي علي استدلت

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن

منادى أجابت من دعاني ولبت

وقد رفعت ياء المخاطب بيننا

وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعت.

إلى أمثال هذه الأبيات.

وكذلك ابن إسرائيل في شعره قطعة من هذا كقوله

وما أنت غير الكون بل أنت عينه

ويفهم هذا السر من هو ذائق." <الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢١٤/٥>

" وقال الجنيد بن محمد الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ص وقال ايضا من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة

وقال أبو عثمان من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا سورة النور ٥٤ وقال أبو حمزة البغدادي من علم الطريق إلى الله سهل عليه **سلوكه** ولا ." <الاستقامة، ٩٧/١>

" الطائفة كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم كانوا مجمعين على تعظيم الشريعة متصفين **بسلوك** طريق الرياضة متفقين على متابعة السنة غير مخلين بشئ من آداب الديانة متفقين على ان من خلا عن المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على اساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه فيما يدعيه مفتونا هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله

وإذا عرف معنى لفظ العلم في اصطلاحهم فقول أبي علي بن الكاتب الصوفية نزهوه من حيث العلم أي من جهة الشرع وهو الكتاب والسنة فنزهوه عما نزه عنه نفسه فأصابوا وأما المعتزلة فنزهوه بقياس عقلهم وأهوائهم أرادوا ان ينفوا عنه كل صفة موجودة لظنهم أن ذلك تشبيه ولم يهتدوا إلى أن الخالق يوصف بما ." <الاستقامة، ١٠١/١>

" من كلامه ما وافق فيه أئمة المشايخ وهو ما دل عليه الكتاب والسنة

وأقبح من ذلك أن يعتمد في اعتقاد أولياء الله في أصول الدين على كلام لم ينقل مثله إلا عن الحلاج وقد قتل على الزندقة وأحسن ما يقوله الناصر له إنه كان رجلا صالحا صحيح **السلوك** لكن غلب عليه الوجد والحال حتى عثر في المقال ولم يدر ما قال

وكلام السكران يطوى ولا يروى فالمقتول شهيد والقاتل مجاهد في سبيل الله دع ما يقوله من ينسبه إلى المخاريق وخلط الحق بالباطل

وليس أحد من مشايخ الطريق لا أولهم ولا آخرهم يصوب الحلاج في جميع مقاله بل اتفقت الأمة على انه إما مخطئ وإما عاص وإما فاسق وإما كافر ومن قال إنه مصيب في جميع هذه ." <الاستقامة، ١/١١٦>

" عثمان النيسابوري أنه قال من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة قال الله تعالى وإن تطيعوا تهتدوا سورة النور ٥٤

وعن أبي حمزة البغدادي قال من علم طريق الحق تعالى سهل عليه **سلوكه** ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله

وعن ابي عمرو بن نجيد قال كل حال لا يكون نتيجة علم فإن ضرره أكثر على صاحبه من نفعه وسئل عن التصوف فقال الصبر تحت الأمر والنهي

وعن أبي يعقوب النهرجوري قال أفضل الأحوال ما قارن العلم ومثل هذا كثير في كلام أئمة المشايخ وهم إنما وصوا بذلك لما يعلمونه من حال كثير من السالكين أنه يجري مع ذوقه ووجده وما يراه ويهواه غير متبع لسبيل الله التي بعث بها وهذا نوع الهوى بغير هدى من الله

والسماع المحدث يحرك الهوى ولهذا كان بعض المشايخ المصنفين في ذمه سمى كتابه الدليل الواضح في النهي عن ارتكاب الهوى الفاضح ولهذا كثيرا ما يوجد في كلام المشايخ الأمر بمتابعة العلم يعنون بذلك ." <الاستقامة، ١/٢٥٠>

" من لوازم طريقتهم إلى الله أو جعلوه شعار الصالحين وأولياء الله ويكون ذلك خطأ وضلالا وابتداع دين لم يأذن به الله

مثال ذلك حلق الرأس في غير الحج والعمرة لغير عذر فإن الله قد ذكر في كتابه حلق الرأس وتقصيره في النسك وذكر حلقه لعذر في قوله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك سورة البقرة ١٩٦

وأما حلقه لغير ذلك فقد تنازع العلماء في إباحته وكراهته نزاعا معروفا على قولين هما روايتان عن أحمد ولا نزاع بين علماء المسلمين وأئمة الدين أن ذلك لا يشرع ولا يستحب ولا هو من سبيل الله وطريقه ولا من الزهد المشروع للمسلمين ولا مما أثنى الله به على أحد من الفقراء

ومع هذا فقد اتخذه طوائف من النساك الفقراء والصوفية دينا حتى جعلوه شعارا وعلامة على أهل الدين والنسك والخير والتوبة **والسلوك** إلى الله المشير إلى الفقر والصوفية حتى أن من لم يفعل ذلك يكون منقوصا عندهم خارجا عن الطريقة المفضلة المحمودة عندهم ومن فعل ذلك دخل في هديهم وطريقهم

وهذا ضلال عن طريق الله وسبيله بآتفاق المسلمين واتخاذ ذلك دينا وشعارا لاهل الدين من أسباب تبديل الدين بل جعله علامة على المروق من الدين أقرب فإن الذي يكرهه وإن فعله صاحبه عادة لا عبادة ." <الاستقامة، ١/٢٥٦>

" قلوبهم حب ما أحبه الله ورسوله فلا يبقى للقرآن والصلاة ونحو ذلك في قلوبهم من المحبة والحلاوة والطيب وقرة العين ما هو المعروف لاهل كمال الإيمان بل قد يكرهون بعض ذلك ويستثقلونه كما هو من نعت المنافقين الذين قال الله فيهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى سورة النساء ١٤٢ وقد يهجرون القرآن الذي ما تقرب العباد إلى الله بأحب إليه منه بل قد يستثقلون سماعه وقراءته لما اعتاضوا عنه من السماع وقد يقومون ببعض هذه العبادات الشرعية صورا ورسما كما يفعله المنافقون لا محبة وحقيقة ووجدا كما يفعله المؤمنون

وأما الجهاد في سبيل الله فالغالب عليهم أنهم ابعد عنه من غيرهم حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبة والتعظيم لأمر الله والغضب والغيرة لمحارم الله وقوة المحبة والموالاة لأولياء الله وقوة البغض والعداوة لأعداء الله ما لا يوجد فيهم بل يوجد فيهم ضد ذلك

ومعلوم أن أهل الإيمان والصلاح منهم لا يفقدون هذا بالكلية لكن هذا السماع المحدث هو وتوابعه سبب ومظنة لضد الجهاد في سبيل الله حتى ان كثيرا منهم يعدون ذلك نقصا في طريق الله وعيبا ومنافيا **للسلوك** الكامل إلى الله

ومن السبب الذي ضل به هؤلاء وغووا ما وجدوه في كثير ممن ينتسب ." <الاستقامة، ١/٢٦٨>

" شيوخ الشاميين وعلمائها فيما كانوا استحلوه من القتال في الفتنة لعلي بن أبي طالب وأصحابه وكقول طوائف من أتباع الذين قاتلوا مع علي من اهل الحجاز والعراق وغيرهم في الفتنة إلى أمثال ذلك مما تنازعت فيه الأمة وكان في كل شق طائفة من اهل العلم والدين

فليس لأحد أن يحتج لأحد الطريقين بمجرد قول أصحابه وإن كانوا من أعظم الناس علما ودينا لان المنازعين لهم هم أهل العلم والدين

وقد قال الله تعالى فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر سورة النساء ٥٩ فالرد عند التنازع إنما يكون إلى كتاب الله وسنة رسوله

نعم إذا ثبت عن بعض المقبولين عند الأمة كلام في مثل موارد النزاع كان في ذلك حجة على تقدم التنازع في ذلك وعلى دخول قوم من اهل الزهد والعبادة **والسلوك** في مثل هذا ولا ريب في هذا

لكن مجرد هذا لا يتيح للمريد الذي يريد الله ويريد **سلوك** طريقه أن يقتدي في ذلك بهم مع ظهور النزاع بينهم وبين غيرهم وإنكار غيرهم عليهم بل على المريد أن يسلك الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ويتبع ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع فإن ذلك هو صراط الله الذي ذكره ورضى به في قوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوه السبل فتفرق بكم عن سبيله سورة الأنعام ١٥٣ وهذا أصل في أنه لا يحتج في مواضع النزاع والاشتباه بمجرد قول احد ممن نوزع في ذلك ." <الاستقامة، ١/٣٨٦>

" فاضلا فربما كان يحضر موضع السماع فإن استطابة فرش إزاره وجلس وقال الصوفي مع قلبه وإن لم يستطبه قال السماع لأرباب القلوب ومر وأخذ نعليه

قلت سنتكلم إن شاء الله على مثل هذه الحال وهو المشي مع طيب القلب وما يذوق الإنسان ويجد فيه صلاح القلب ونبين أن **السلوك** المستقيم هكذا من غير اعتبار لطيب القلب وما يجده ويذوقه من المنفعة واللذة والجمع على الله ونحو ذلك أما ذلك الحال فهو مذموم في الكتاب والسنة ضلال في الطريق وهو مبدأ ضلال من ضل من العباد والنساك والمتصوفة والفقراء ونحوهم وحقيقته اتباع الهوى بغير هدى من الله وقد تقدم من كلام المشايخ في ذم هذا ما فيه كفاية

فإن مجرد طيب القلب ليس دليلا على أنه إنما طاب لما يحبه الله ويرضاه بل قد يطيب بما لا يحبه الله ويرضاه مما يكرهه أولا يكرهه أيضا لا سيما القلوب التي أشربت حب الأصوات الملحنة فقد قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلوب كما ينبت الماء البقل ." <الاستقامة، ١/٤١٣>

" على الغفلة بلحيتي قال واذن الشبلي مرة فلما انتهى الى الشهادتين قال لولا انك امرتني ما ذكرت معك غيرك قال وسمع النورى رجلا يؤذن فقال طعنة وسم الموت وسمع كلبا ينبح فقال لبيك وسعديك فقيل له ان هذا ترك للدين فإنه يقول للمؤذن في تشهده طعنة وسم الموت ويلبي عند نباح الكلاب فسئل عن ذلك فقال اما المؤذن فانه يذكره على رأس الغفلة واما الكلب فإن الله يقول وان من شيء الا يسبح بحمده سورة الاسراء ٤٤

ومثل هذا الكلمات والحكايات لا تصلح ان تذكر للاقتداء او **سلوك** سبيل وطريقة لما فيها من مخالفة امر الله ورسوله والذي يصدر عنه امثال هذه الامور ان كان معذورا بقصور في اجتهاده او ." <الاستقامة، ٢/١٥>

" ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهدة من كشف سوءاتهم في سماعاتهم وحماماتهم او غير ذلك ويقولون هذا طريقنا وهذا في طريقنا فهذا مثل قولهم وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها

وابلغ من ذلك تعبد طوائف من المتزهدة والمتعبدة بمعاشرة الاحداث المردان والنساء الاجانب والنظر اليهم والخلوة بهم والمحبة والهوى فيهم وبما قد يكون وقد لا يكون وراء ذلك من الفاحشة الكبرى

وهذا ابتدأه المشركون من الصابئة وغير الصابئة الذين هم اولياء الشياطين الذين هم مشركون كما ذكر ابن سينا في إشاراته وزعم انه مما يعين على **السلوك** والتأله العشق العفيف واستماع الاصوات الملحنة كما ذكر ايضا الشرك بعبادة الصور ويذكر هو وطائفته عبادة الكواكب

وهذا في النصارى ايضا منه جانب قوي وهم ايضا قد ابتدعوا شركا لم ينزل الله به سلطانا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ." <الاستقامة، ٢/١٧٧>

"ص -٤٩٩- مع ما فيه من أعيادهم، بشرط: أن لا يظهروها، ولا شيئا من دينهم، وأولئك لم يقروا، بل أعياد الكتابيين التي تتخذ دينا وعبادة - أعظم تحريما من عيد يتخذ لهوا ولعبا، لأن التعبد بما يسخطه الله ويكرهه أعظم من اقتضاء الشهوات بما حرمه، ولهذا كان الشرك أعظم إثما من الزنا، ولهذا كان جهاد أهل الكتاب أفضل من جهاد الوثنيين، وكان من قتلوه من المسلمين له أجر شهيدين.

وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية أن يتدنس المسلم بشيء من أمر الكفار، الذين قد يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب - فالخشية من تدنسه بأوضار الكتابيين الباقين أشد، والنهي عنه أوكد، كيف وقد تقدم الخبر الصادق **بسلوك** طائفة من هذه الأمة سبيلهم؟.

الوجه الثالث: وهو عودة إلى الإستدلال بالحديث السابق على تحريم أعياد الجاهلية

الوجه الثالث من السنة: أن هذا الحديث وغيره، قد دل على أنه كان للناس في الجاهلية أعياد يجتمعون فيها، ومعلوم أنه بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، محى الله ذلك عنه، فلم يبق شيء من ذلك.

ومعلوم أنه لولا نهيه ومنعه لما ترك الناس تلك الأعياد، لأن المقتضى لها قائم من جهة الطبيعة التي تحب ما يصنع في الأعياد، خصوصا أعياد الباطل، من اللعب واللذات، ومن جهة العادة التي ألفت ما يعود من العيد، فإن العادة طبيعة ثانية، وإذا كان المقتضى قائما قويا، فلولا المانع القوي، لما درست تلك الأعياد.." <اقتضاء الصراط المستقيم، ١١/٢٤>

"ص -١٢٠- لها، إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته، وسلمت سريرته.

ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع وفوات **سلوك** الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: ما ترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه، أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ومنها: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين، النوع الذي فيه مشابهة، والنوع الذي لا مشابهة فيه.

والكلام في ذم البدع لما كان مقررا في هذا الموضع، لم نطل النفس في تقريره، بل نذكر بعض أعيان هذه المواسم.." <اقتضاء الصراط المستقيم، ١٦/٤٠>

"طريقة التركيب، وهي أيضا مسروقة من كلام المعتزلة، وإلا فكلام أرسطو في الإلهيات في غاية القلة مع كثرة الخطأ فيه، ولكن ابن سينا وأمثاله وسعوه وتكلموا في الإلهيات والنبوات وأسرار الآيات ومقامات العارفين، بل وفي معاد الأرواح بكلام لا يوجد لأولئك، وما فيه من الصواب فجروا فيه على منهاج الأنبياء، وما فيه من خطأ بنوه على أصول سلفهم الفاسدة.

ولهذا كان ابن رشد وأمثاله من المتفلسفة يقولون: إن ما ذكره ابن سينا في الوحي والمنامات وأسباب العلم بالمستقبلات ونحو ذلك هو أمر ذكره من تلقاء نفسه، ولم يقله قبله المشاءون سلفه.

[رد ابن ملكا ومتابعيه على سلفهم من الفلاسفة]

وأما أبو البركات صاحب " المعتبر " ونحوه، فكانوا بسبب عدم تقليدهم لأولئك، وسلوكهم طريقة النظر العقلي بلا تقليد، واستنارتهم بأنوار النبوات أصلح قولا في هذا الباب من هؤلاء وهؤلاء، فأثبت (١) علم الرب بالجزئيات ورد على سلفه ردا جيدا، وكذلك أثبت صفات الرب وأفعاله وبين ما بينه من خطاء سلفه (٢) ، ورأى فساد قولهم في أسباب الحوادث، فعدل عن ذلك إلى أن أثبت للرب ما يقوم به الإرادات الموجبة للحوادث، وقولهم مبسوط في غير هذا الموضع.

فهؤلاء يقولون: إنما حدثت (٣) الحوادث شيئا بعد شيء لما يقوم بذات الرب من الأسباب الموجبة لذلك، فلا يثبتون أمورا متجددات مختلفة

---

(١) ن، م، ا: فأثبتوا، وهو خطأ.

(٢) ب: وبين ما بين خطأ سلفه.

(٣) ا، ب، م: حدث.." <منهاج السنة النبوية ١/٣٤٨>

"كثير من شيوخ الكلام يقولون: إن الله تعالى جسم، فإذا كان من هؤلاء من يقول: إن الجسم مركب من الأجزاء المنفردة أو من المادة والصورة، فقد يقول: إنه مركب بهذا الاعتبار وبهذا.

وهذا القول باطل عند جماهير المسلمين، لكن جمهور العقلاء ينكرون هذا التركيب في المخلوقات، فهم في الخالق أشد إنكارا.

ومن قال: إن المشار إليه المخلوق مركب هذا التركيب، فهؤلاء يحتاجون في نفي ذلك عن الرب إلى برهان عقلي يبين امتناع مثل ذلك، فإن منازعيهم الذين يقولون بثبوت مثل هذا المعنى الذي جعلوه تركيبا، يقولون: إنه لا برهان لهم على نفيه، بل المقدمات التي وافقونا عليها من إثبات مثل هذا التركيب في الشاهد، يدل على ثبوته في الغائب، كما في نظائر ذلك مما يستدل به على الغائب بالشاهد.

وبين الطائفتين في هذا منازعات عقلية ولفظية ولغوية، قد بسطت في غير هذا الموضع.

وأما جمهور العقلاء، مع السلف والأئمة، فعندهم أن الطائفتين مخطئتان، وتنزيه الرب عن ذلك تبين بالعقل مع الشرع، كما بين من غير سلوك الشبهات الفاسدة.

وأما إذا قيل: المراد بالانقسام أو التركيب أن يتميز منه شيء عن شيء، مثل تميز علمه عن قدرته، أو تميز ذاته عن صفاته، أو تميز ما يرى منه عما لا يرى، كما قاله السلف في قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾

[سورة الأنعام: ١٠٣] ، قالوا: لا تحيط به. وقيل لابن عباس رضي الله عنه: أليس الله تعالى يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ قال: ألست ترى." <منهاج السنة النبوية٢/٥٦٧>

"وذلك أن كثيرا من كلامهم أخذوه من كلام المعتزلة، والمعتزلة مقصرون في هذا الباب، فإنهم لم يوفوا توحيد (١) الربوبية حقه، فكيف بتوحيد الإلهية.

ومع هذا فأئمة المعتزلة وشيوخهم وأئمة الأشعرية والكرامية ونحوهم خير في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسفة كابن سينا (٢) وأمثاله، وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد، وإن كان خيرا من كلام قدمائهم أرسطو وذويه.

وذلك أن غايتهم أنهم أثبتوا (٣) واجب الوجود، وهذا حق لم ينازع (٤) فيه لا معطل ولا مشرك، (٥) بل الناس متفقون على إثبات وجود واجب، اللهم إلا ما يحكى عن بعض الناس، قال: إن هذا العالم حدث (٦) بنفسه، وكثير من الناس يقولون: [إن] هذا (٧) لم تقله طائفة معروفة، وإنما يقدر تقديرا كما تقدر الشبه (٨) السوفسطائية ليبحث عنها، (٩) وهذا مما يخطر (١٠) في قلوب

---

(١) أ، ب: بتوحيد، وهو تحريف.

(٢) ن، م: الفلاسفة، كلام ابن سينا.

(٣) أ، ب: يثبتون.

(٤) ن، م: لم يتنازع.

(٥) ن: إلا معطل ولا مشكوك م: إلا معطل ولا مسلوك، وكلاهما تحريف.

(٦) ن، م: حادث.

(٧) ع: يقول إن هذا، ن، م: يقولون هذا.

(٨) ن، م: شبه.

(٩) ن: لمنتحب فيها، م: لمستحت فيها، وكلاهما تحريف، أ، ب: فيبحث عنها.

(١٠) أ، ب: خطر.." <منهاج السنة النبوية٣/٢٩٥>

"وهدم البذخانات، وكسر الأصنام ومزق سدنتها (١) . كل ممزق، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار، وبسببه ظهر الإسلام في المغل وأتباعهم (٢) . .

وبالجملة (٣) . فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف. ومع هذا

فقد قيل: إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس (٤) . ويشتغل بتفسير البغوي وبالفقه ونحو ذلك.

فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات. والله تعالى يقول: ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ [سورة الزمر: ٥٣] .

لكن ما ذكره عنه هذا، إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله، وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض، بل من الإلحاد وحده. وعلى

---

(١) أ: شملتها، ب: شملها

(٢) يقول ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/٣٥١، في أحداث سنة ٦٩٦ هـ: وفيها قتل قازان ال أمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعاه للإسلام فأسلم وأسلم مع أكثر التتر، فإن التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب إليه، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان، وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته، وقصده الجيد، رحمه الله وعفا عنه، ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، واتخذوا السبح والهياكل، وحضروا الجمع والجماعات وقرءوا القرآن، وانظر عن نيروز أو نوروز أيضا: الدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري بردي، ص [٠ - ٩] ٦٢ تحقيق فهيم شلتوت، نشر جامعة أم القرى ١٣٩٩ - ١٩٧٩، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ق [٠ - ٩] ص ٧١٤، ٨٣٧، ٨٧٤

(٣) وبالجملة ساقطة من (ن) ، (م) ، (و)

(٤) الخمس: ساقطة من (أ) ، (ب) ، (ن) ، (م) ، (و)." <منهاج السنة النبوية٣/٨٤٤>

"الوجه الثالث: منع الحكم في هذا المثال (١) الذي ضربه وجعله أصلا قاس عليه، فإن الرجل إذا قال له أحد الرجلين: طريقي آمن يوصلني، وقال له الآخر: لا علم لي بأن طريقي آمن يوصلني، أو قال ذلك الأول، لم يحسن في العقل تصديق الأول بمجرد قوله، بل يجوز عند العقلاء أن يكون هذا (٢) محتالا عليه، يكذب حتى يصحبه في الطريق فيقتله ويأخذ ماله، ويجوز أن يكون جاهلا (٣) لا يعرف ما في الطريق من الخوف، وأما ذاك الرجل فلم يضمن للسائل شيئا، بل رده إلى نظره. فالحزم في مثل (٤) هذا أن ينظر الرجل أي الطريقين أولى بالسلوك: أحد ذينك (٥) الطريقين أو غيرهما (٦)

ولو كان (٧) كل من قال: إن (٨) طريقي آمن موصل يكون أولى بالتصديق ممن توقف، لكان كل مفتر

وجاهل يدعي في المسائل المشتبهة أن قولي فيها هو الصواب وأنا قاطع بذلك، فيكون اتباعي أولى من طريق هؤلاء الذين ينظرون ويستدلون، وكان ينبغي أن يكون الشيوخ الكذابون الذين يضمنون لمريدهم (٩) الجنة، وأن لهم في الآخرة كذا وكذا، وأن كل من أحبهم دخل الجنة، وأن من أعطاهم المال أعطوه

---

(١) ب: المثل، و: المقال.

(٢) هذا: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) أ، ب: أن يكون ذلك جاهلا.

(٤) مثل: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) أ: أحد سلك، ب: كاتباع واحد سلك.

(٦) أو غيرهما: ساقطة من (أ) ، (ب) . .

(٧) أ، ب: ولو أن.

(٨) إن: ساقطة من (أ) (ب) .

(٩) ص، ر، و: لمريديهم.." <منهاج السنة النبوية٣/٤٩٤>

"الله عليه وسلم] (١) ولهم فيمن استفاض في الناس حسن الثناء عليه قولان.

فتبين أنه ليس في الإمامية جزم محمود اختصوا به عن أهل السنة والجماعة. وإن قالوا: إنا (٢) نجزم لكل شخص رأيناه ملتزما للواجبات عندنا تاركا للمحرمات، بأنه من أهل الجنة من غير أن يخبرنا بباطنه معصوم. قيل: هذه المسألة لا تتعلق بالإمامية بل إن كان إلى هذا طريق صحيح فهو طريق لأهل (٣) السنة، وهم بسلوكه أحذق، وإن لم يكن هنا (٤) طريق صحيح إلى ذلك، كان ذلك قولا بلا علم، فلا (٥) فضيلة فيه بل في عدمه.

ففي الجملة لا يدعون علما صحيحا إلا وأهل السنة أحق به، وما ادعوه من الجهل فهو نقص، وأهل السنة أبعد عنه.

والقول بكون الرجل المعين من أهل الجنة قد يكون سببه إخبار المعصوم، وقد يكون سببه تواطؤ شهادات (٦) المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض.

---

(١) صلى الله عليه وسلم: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) أ، ب: فإن قالوا إنما.

(٣) أ، ب: طريق أهل.

(٤) ب فقط: هناك.

(٥) أ، ب: ولا.

(٦) أ، ب: شهادة.." <منهاج السنة النبوية٣/٤٩٧>

"اللفظ. فهذا الرافضي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث مثل مسند أحمد (١) ، و [سنن] أبي داود (٢) والترمذي، وغير ذلك من الكتب. وإنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه (٣) أحد منهم.

وقوله: إن ابن الجوزي رواه (٤) بإسناده: إن أراد العالم المشهور صاحب المصنفات الكثيرة أبا الفرج، فهو (٥) كذب عليه. وإن أراد سبطه يوسف بن قزأوغلي (٦) صاحب التاريخ المسمى " بمرآة الزمان " وصاحب الكتاب المصنف في " الاثنى عشر " الذي سماه " إعلام الخواص "، فهذا الرجل

---

(١) ص، ر، هـ: مسند الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) ن، م: وأبي داود.

(٣) أ، ب، و، هـ: لم يذكره.

(٤) ن، م: روي.

(٥) ن، م، هـ، و: فهذا.

(٦) ب: بن غزاوغلي، ن، أ، م، و: قزعلي، هـ، ر، ص: قزغل. وهو أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي أو قزغلي بن عبد الله، سبط أبي الفرج ابن الجوزي. وقزأوغلي لفظ تركي معناه " سبط " أو " ابن البنت ". وهو مؤرخ واعظ، ولد ببغداد سنة: ٥٨١، وانتقل إلى دمشق وعاش فيها وتوفي بها سنة: ٦٥٤، من كتبه " مرآة الزمان "، " تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة " أو " تذكرة الخواص " وطبع بالنجف عام ١٣٨٣ ١٩٦٤. قال الذهبي في ترجمته (ميزان الاعتدال) ٤/٤٧١: " روى عن جده وطائفة، وألف كتاب " مرآة الزمان " فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه بثقة فيما ينقله، بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض، وله مؤلف في ذلك. . . قال الشيخ محيي الدين السوسي: لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال: لا رحمه الله كان رافضيا ". وانظر ترجمته أيضا في لسان الميزان ٦/٣٢٨، ذيل مرآة الزمان لقطب

الدين اليونيني (ط. حيدر آباد، ١٣٧٤ ١٩٥٤) ١/٣٩، ٤٣، شذرات الذهب ٥/٢٦٦ ٢٦٧، السلوك للمقريزي ١/٤٠١، البداية والنهاية ١٣/١٩٤ ١٩٥، الأعلام ٩/٣٢٤، معجم المؤلفين ١٣/٣٢٤.."
<منهاج السنة النبوية٤/٩٧>

"[طرق يمكن سلوكها لمن لم تكن له معرفة بالأخبار]

فصل

وهنا طرق (١) يمكن سلوكها لمن لم تكن له معرفة بالأخبار من الخاصة، فإن كثيرا من الخاصة - فضلا عن العامة - يتعذر عليه معرفة التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد في أكثر ما يروى من الأخبار في هذا الباب وغيره، وإنما يعرف ذلك علماء الحديث (٢) ، ولهذا عدل كثير من أهل الكلام والنظر عن معرفة الأخبار بالإسناد وأحوال الرجال لعجزهم عنها، وسلكوا طريقا آخر.

ولكن تلك الطريق هي طريقة أهل العلم بالحديث، العالمين بما بعث الله به رسوله، ولكن نحن نذكر طريقا آخر، فنقول: نقدر أن الأخبار المتنازع فيها لم توجد، أو لم يعلم أيها الصحيح، ونترك الاستدلال بها في الطرفين، ونرجع إلى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر، وما يعلم من العقول (٣) والعادات، وما دلت عليه النصوص المتفق عليها.

فنقول: من المعلوم المتواتر عند الخاصة والعامة الذي لم يختلف فيه أهل العلم بالمنقولات، والسير: أن أبا بكر رضي الله عنه لم يطلب الخلافة لا برغبة ولا برهبة، لا بذل فيها ما يرغب (٤) الناس به، ولا شهر

---

(١) س، ب: طريق

(٢) ن، م: علماء أهل الحديث

(٣) ن، م: بالعقول

(٤) ن، م: ما لا يرغب، وهو خطأ." <منهاج السنة النبوية٧/٤٤٩>

"وحينئذ فمن كان أكمل (١) في الفضائل النفسانية فهو أفضل مطلقا. وأهل السنة لا ينازعون (٢) في كمال علي، وأنه في الدرجة العليا من الكمال، وإنما النزاع في كونه أكمل من الثلاثة (٣) ، وأحق بالإمامة منهم، وليس فيما ذكره ما يدل على ذلك.

وهذا الباب للناس فيه طريقان:

منهم من يقول: إن تفضيل بعض الأشخاص على بعض عند الله لا يعلم إلا بالتوقيف (٤) ؛ فإن حقائق ما

في القلوب ومراتبها عند الله مما استأثر الله به، فلا يعلم ذلك إلا بالخبر (٥) الصادق الذي يخبر عن الله.
ومنهم من يقول: قد يعلم ذلك بالاستدلال.
وأهل السنة يقولون: إن كلا من الطريقين إذا أعطي حقه من **السلوك** دل على أن كلا من الثلاثة أكمل من علي. ويقولون: نحن نقرر ذلك في عثمان، فإذا ثبت ذلك في عثمان، كان في أبي بكر وعمر بطريق الأولى ؛ فإن تفضيل أبي بكر وعمر على عثمان لم ينازع فيه أحد، بل (٦) وتفضيلهما على عثمان وعلي لم يتنازع (٧) فيه من له عند الأمة قدر: لا من الصحابة، ولا التابعين، ولا أئمة السنة، بل إجماع المسلمين [على

---

(١) ن، س، ب: أعظم

(٢) م: لا يتنازعون.

(٣) م: أكمل الثلاثة.

(٤) ن، س: إلا بالتوقف.

(٥) ب: بخبر. .

(٦) بل ساقطة من (س) (ب) .

(٧) م: لم ينازع.." <منهاج السنة النبوية٨/٢٢٣>

"ويتلف قوم، فقال القاضي: يلزمه، وقال أبو محمد: إن لم يكن الغالب السلامة لم يلزمه **سلوكه**.."
<شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج٢/١٦٠>

"الله تعالى قال: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ [آل عمران: ٩٧] بل هو أعجز من أن يقدر على المشي واكتساب المال، وأعجز من المعضوب؛ لأنه لا يقدر أن يحج لا بنفسه ولا بنائبه بوجه من الوجوه، فكيف يبقى الحج في ذمته؟! ونحن وإن قلنا: إن العبادة تجب في الذمة قبل التمكن فإنما ذاك فيما أطلق وجوبه، كالصلاة والصيام والزكاة.
فأما الحج: فقد خص وجوبه بمن استطاع إليه سبيلا، فامتنع إيجابه على غير المستطيع بوجه من الوجوه.
يبين ذلك أن السبيل في الأصل: هو الطريق والسبب، وكل ما يوصل إلى الشيء فهو طريق إليه وسبب فيه، فالتقدير: من استطاع التسبب والتوصل إليه، أو من استطاع فعل سبيل، أو **سلوك** سبيل، ويختص الوجوب بمن كان السبيل مستطاعا له أو مقدورا.

وأيضا: فإن فريضة الحج قد قيل: إنها نزلت سنة ست، ولم يحج النبي." <شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج٢/١٦٨>

"فصل

وما أنفق زيادة على القدر المعتاد أو على ما لا بد منه فهو في ماله، فإذا سلك طريقا يمكنه **سلوك** أقرب منها فنفقة تفاوت ما بين الطريقين في ماله، وكذلك إن تعجل إلى مكة عجلة يمكنه تركها، وإن أقام بعد الحج، وبعد إمكان الرجوع أكثر من مدة القصر - أنفق من مال نفسه.

وأما إذا لم يمكنه الرجوع فإنه ينفق من مال المستنيب، وله نفقة الرجوع، وإن أقام بمكة سنين ما لم يستوطنها، فإن استوطنها لم يكن له نفقة الرجوع، وإن مرض في الطريق فله نفقة رجوعه؛ لأنه لا بد منه، وقد حصل بغير تفريطه، وإن قال: خفت أن أمرض فرجعت، فقال: عليه الضمان؛ لأنه متوهم.

ولو أذن له في النفقة في جميع ذلك جاز إذا كان المال للمستنيب، وإن شرط أحدهما أن الدماء الواجبة عليه على غيره لم يجز.." <شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج٢/٢٥٤>

"قال الأزرقي: نمرة هو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت من مأزمي عرفة تريد الموقف، وتحت جبل نمرة غار أربع أذرع في خمس أذرع، وذكروا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان ينزله يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف، وهو منزل الأئمة اليوم، والغار داخل في جدار دار الإمارة في بيت في الدار.

وروى أبو داود في مراسيله عن ابن جريج، ثنا أبان بن سلمان: " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل يوم عرفة عند الصخرة المقابلة منازل الأمراء - يوم عرفة - التي بالأرض في أسفل الجبل، وستر إليها بثوب عليه ".

وأما **سلوكه** من منى إلى عرفة: فقال القاضي في الأحكام السلطانية: يستحب للإمام في الحج أن يخرج في اليوم الثامن من مكة فينزل بخيف بني." <شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج٣/٤٩٢>

"فإذا وجد فجوة نص». متفق عليه.

وأما التلبية: فلما تقدم في حديث الفضل بن عباس.

وإنما استحب له **سلوك** المأزمين ... .

وإن سلك الطريق الأخرى جاز.

قال أبو طالب: سألت أحمد عن قول عطاء: لا بأس بطريق ضب، قال: طريق مختصر من عرفات إلى منى.

[مسألة صفة الصلاة في مزدلفة]

مسألة: (فإذا وصل إلى مزدلفة صلى المغرب والعشاء قبل حط الرحال، يجمع بينهما).." <شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج٣/٥١٣>

"والعالم المرتفع عن إدراك الحس والخيال وهو الذي نعنيه بعالم القدس وإذا اعتبرنا جملته بحيث لا يخرج منها شيء ولا يدخل فيها ما هو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سميناه الروح البشري الذي هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد إمعانا في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع طبقاتها فلا تظنن أن هذه الألفاظ معقولة عند غير أرباب البصائر.

واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدني عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الألفاظ فأرجع إلى الغرض فأقول:

لما كان عالم الشهادة مرقاة إلى عالم الملكوت فكان **سلوك** الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى ولو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما إلى الآخر فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال لشيء في ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وإنما يكون." <بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنيةص/٢٠٤>

"التحقيق وأخذ من كلام ابن عربي وسلك طريقا في تحقيقهم مغايرا لطريق غيره وإن كان مشاركا لهم في الأكثر وهما وأمثالهما يستمدان كثيرا مما سلكه أبو حامد في التصوف المخلوط بالفلسفة ولعل هذا من أقوى الأسباب في **سلوكهم** هذا الطريق.

وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في الإرشاد والشامل ونحوهما مضموما إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ونحو ذلك وضم إلى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر وشيخه في أصول الفقه يميل إلى مذهب الشافعي

وطريقة الفقهاء التي هي أصوب من طريقة الواقفة.." <بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنيةص/٤٤٨>

"يصحبه بخنا، فينظر في حاله، إن كان من الطبقة الأولى فقد ذكر شروطهم فيما يتعلق بالكتمان حتى عن المحبوب، وإن كان كافيا لهم ان صدقت دعواهم. وإن كان من الطبقة الثانية فلا بأس بشكواه إلى محبوبه كي يرق عليه ويرحمه. وإن غلبه الحال فالتحق بالثالثة أبيح له ما ذكرنا، بشرط أن لا يكون أنموذجا لفعل القبيح المحرم، فيلتحق بالكبائر، فيستحق القتل عند ذلك، ويزول عنه العذر، ويحق عليه كلمة العذاب، (حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١)) (١) .

وأما ما يتعلق بالمعشوق فيجب عليه إدامة حمد الله وشكره على ما أعطاه من الجمال والحسن، ويحرص أن لا يجتمع مع حسنه قبيح الفعال، ولا يدنس جماله بخسيس الخصال. فإن ظهر له من محبة هذا صدق دعواه، وفهم سلوك طريق المحبة من نجواه، فعامله المعاملة الجميلة، وأباح له النظر والمحادثة المذكورة، والقبلة في الأحيان بالشروط المتقدمة، مع أن هذا يكون تفضلا منه فلا يجب عليه، فإن خست نفس العاشق وجنحت إلى الفسق الصراح هجره، وما عليه في ذلك من جناح، وإن قتله بعشقه فليقتله، فهذا بعض حقه. والله أعلم بالصواب، وعنده علم الكتاب. آخره، والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

---

(١) سورة الزمر: ٧١.." <جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس١/١٨٦>

"رب هذا وهذا: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا (١٨) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (١٩) كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (٢٠)) (١) .

وقد بسطنا الكلام على هذا الأصل العظيم في مواضع كثيرة، وبينا ما وقع من غلط الغالطين الذين لم يفرقوا بين الحقائق الكونية المتعلقة بمشيئته، وبين الحقائق الدينية المتعلقة برضاه ومحبته وإلهيته، فإن الحقيقة الكونية أقر بها اليهود والنصارى بل المشركون عباد الأصنام، كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) (٢) ، وقال تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٥) قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم (٨٥) سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٨) سيقولون لله قل فأنى

تسحرون (٨٩)) (٣) .

وكثير من أهل **السلوك** يشهدون هذه الحقيقة وتوحيد الربوبية، فيظنون أنهم وصلوا إلى الغاية المطلوبة من أهل التحقيق والمعرفة والتوحيد، حتى إن منهم من يكون في الباطن من المعاونين للكفار والفساق بحاله، ويظن أنه متصرف بأمر لمشاهدته الحقيقة الكونية،

---

(١) سورة الإسراء: ١٨-٢٠.

(٢) سورة لقمان: ٢٥، سورة الزمر: ٣٨.

(٣) سورة المؤمنون: ٨٤- ٨٩.." <جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس٤/٢٧٨>

"هؤلاء يتناقض في كلامه ولا يدري أنه يتناقض، لأن أصلهم فاسد في العقل والدين.

ولا ريب أن الشيخ إنما استمد هذا الكلام من كلام الشيخ سعد الدين ابن حمويه، وقد قيل: إذا أردت أن تعرف خطأ شيخك فاجلس إلى غيره. وقد كان من الواجب على من خاطبنا في هذا المقام أن يتأمل مع كلام سعد الدين كلام ابن العربي في "الفصوص" وفي كتاب "الهو" و"الجلالة"، وفي مواضع من "الفتوحات" وفي غير ذلك؟ ويتأمل كلام القونوي في كتاب "مفتاح غيب الجمع والوجود"؛ ويتأمل كلام ابن سبعين في "البد" و"الإحاطة" وغيرهما؛ ويتأمل كلام التلمساني في "شرح الأسماء"؛ ويتأمل آخر قصيدة ابن الفارض التي هي "نظم **السلوك"**، مثل قوله: (١)

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صفت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل سجدتي

ومثل قول ابن إسرائيل (٢) :

---

(١) ديوانه: (ص ٤3) .

(٢) هو محمد بن سوار بن إسرائيل، نجم الدين الشيباني الدمشقي، شاعر حذا في بعض شعره حذو ابن الفارض. توفي سنة ٦٧٧. له "ديوان شعر" مخطوط. ترجمته في "فوات الوفيات" (٣٨٣/٣ وما بعدها) ، وهذا البيت فيه (٣٨٤/٣) .." <جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس٤/٣٩٢>

"أرباب هذه البدع في أيامهم أصاغر مقموعين، [و] كانت دلائل الحق وآياته ظاهرة مشهورة لمن كان لها يستبين. فقتل برأيهم غيلان القدري والجعد بن درهم والجهم بن صفوان المعطلان ونحوهم من الظالمين.

إلى أن كان في أواخر المئة الثانية قل أولئك الهداة وكثر هؤلاء الغواة، واستعوزوا إلى باطلهم بعض الولاة، حتى ظهرت محنة الصفات في علماء المسلمين، ودعوهم إلى القول بخلق القرآن، إذ هو مفتاح جحود الصفات، وأقرب من غيره إلى المبتدئين. وظهر في الإسلام ما لم يعهد مثله من الفتنة في الدين، حتى عد الناس من قام به ما كان أسى وصبرا من العلماء، ومن أطفأ شررها من الخلفاء دفعا بجراءة، مفضلا على غيره من الأولين، وانكسرت بذلك سورة أهل البدع ظاهرا، ولكن في النفوس من طواياها كمين مكين.

وصار من أسباب الفتنة أن نقلة الآثار قل فيهم الفقه والعقل، كما أن ذوي النظر والاعتبار ضعف علمهم بآثار النبيين، ولن يتم الدين إلا بمعرفة الآثار النبوية والسلفية وفقه لما قصدوه من المعاني الدينية، كما كان علماء السالفين، وصار ذلك سببا لإعراض كثير من طلبة العلم من أعيانهم عن النظر في قواعد الدين.

وظهر في الدولة المعتصمية مقاربا للمحنة الجهمية من الطائفة الخرمية من يقول بتواتر النبيين جريا على منهاج الفلاسفة وسلوكا لسبيل الصابئين، حتى جرت بينهم وبين المسلمين من الحروب ما هو مشهور عند المؤرخين.." <جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس٥/٤١>

"يسمعها كل شيء إلا الثقلين". قال البراء: "ثم يفتح له باب إلى النار، ويمهد له من فرش النار" (١).

وفي المسند أيضا (٢) عنه، قال: بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، إذ بصر بجماعة، فقال: علام اجتمع هؤلاء؟ قيل: على قبر يحفرونه. ففزع رسول الله (٣) - صلى الله عليه وسلم -، فبدر بين يدي أصحابه مسرعا حتى انتهى إلى القبر، فجثا على ركبتيه، فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع. فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، فقال: "أي إخواني، لمثل هذا اليوم فأعدوا".

---

(١) س، ف: "فرش من النار".

(٢) ٤/ ٢٩٤ (١٨٦٠١). وأخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) والبخاري في تاريخه الكبير (١/ ٢٢٩) وغيرهم، من طريق عبد الله بن واقد عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب فذكره.

قلت: عبد الله بن واقد هو أبو رجاء الخراساني. قال ابن عدي: "ولعبد الله بن واقد هذا غير ما ذكرت، وليس بالكثير. وهو مظلم الحديث، ولم أر للمتقدمين فيه كلاما فأذكره". قلت: قال أحمد وابن معين وأبو داود في رواية: ثقة. وقال ابن معين- في رواية- وأبو داود وأبو زرعة والنسائي: ليس به بأس. انظر الكامل (٤/ ٢٥٥) وتهذيب الكمال (١٦/ ٢٥٥ - ٢٥٦). وأيضا محمد بن مالك هو أبو المغيرة الجوزجاني مولى البراء بن عازب. قال فيه أبو حاتم الرازي: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: "لم يسمع من البراء بن عازب شيئا". وذكره أيضا في المجروحين (٢/ ٢٥٩) وقال: "يخطئ كثيرا، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد لسلوكه غير مسلك الثقات في الأخبار". وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ كثيرا". انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٥١).

(٣) ف: "ففزع النبي".." <الداء والدواء ص/٦١>

"فهو على صراط مستقيم (١)، ونصب (٢) لعباده من أمره صراطا مستقيما دعاهم جميعا إليه حجة منه وعدلا، وهدى من شاء منهم إلى سلوكه نعمة منه وفضلا، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل (٣) عن صراطه المستقيم (٤) الذي هو عليه.

فإذا كان يوم لقائه (٥) نصب لخلقه صراطا مستقيما يوصلهم إلى جنته، ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا، وأقام عليه من أقامه عليه (٦) في الدنيا، وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الجسر (٧)، وحفظ عليهم نورهم حتى قطعوه (٨)، كما حفظ عليهم الإيمان به حتى لقوه. وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه، كما أطفأه من قلوبهم في الدنيا. وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم، كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه، وجعل قوة سيرهم وسرعتهم عليه على قدر قوة سيرهم وسرعتهم إليه في الدنيا (٩).

---

(١) ف: "صراطه المستقيم". ل: "صراطه مستقيم".

(٢) "ونصب" ساقط من ز.

(٣) ز: "القصد"، تحريف.

(٤) ف: "الصراط المستقيم".

(٥) ل: "يوم القيامة".

(٦) ف: "أقام عليه".

(٧) ز، ل: "الحشر".

(٨) س: "قطعوا".

(٩) انظر الحديث الذي تقدم في ص (٧١).." <الداء والدواء ص/٢٨٥>

"صبر، وصابر، ورابط، واتقى الله، فله (١) العاقبة في الدنيا والآخرة (٢).

وقد حكم الله حكما لا يبدل أبدا أن العاقبة للتقوى، والعاقبة للمتقين (٣).

فالقلب لوح فارغ، والخواطر نقوش تنقش فيه، فكيف يليق بالعاقل أن تكون نقوش لوحه ما بين كذب، وغرور، وخدع، وأماني باطلة، وسراب لا حقيقة له؟ فأي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع (٤) هذه النقوش؟ وإذا أراد أن ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في محل مشغول بكتابة ما لا منفعة فيه. فإن لم يفرغ القلب من الخواطر الردية لم يستقر فيه الخواطر النافعة، فإنها لا تستقر إلا في محل فارغ، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا (٥)

[٧٨/ ب] ولهذا كثير من أرباب **السلوك** بنوا **سلوكهم** (٦) على حفظ الخواطر، وأن لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم، حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق العلويات (٧) فيها.

وهؤلاء حفظوا شيئا، وغابت عنهم أشياء، فإنهم أخلوا القلوب من

---

(١) ف: "فإن له".

(٢) يشير إلى الآية الكريمة (٢٥٠) من سورة آل عمران.

(٣) كما جاء في سورة الأعراف (١٢٨)، وهود (٤٩)، وطه (١٣٢) وغيرها.

(٤) س: "من".

(٥) بيت سائر نسبه المؤلف في روضة المحبين (٢٤٠) إلى قيس بن الملوح وهو مجنون ليلى، وينسب إلى غيره. انظر ديوان المجنون (٢١٩).

(٦) ز: "يتراسلوا لهم". وفي ل: "الشكوك بنوا شكوكهم". وكلاهما تحريف.

(٧) ف: "المعلومات". وفي حاشية س إشارة إلى هذه النسخة. وهي تحريف.." <الداء والدواء ص/٣٦١>

"بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن هذا الكتاب الذي اشتهر بعنوان "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، وطبع مرات باسم "الداء والدواء"، من أنفع الكتب في تهذيب النفوس، واستثارتها للكف عن المعاصي والتوبة النصوح. وقد أفرد لمعالجة مرض من أخطر أمراض القلوب، "مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكن واستحكم عز على الأطباء دواؤه، وأعيا العليل داؤه". وهو مرض العشق الذي قال فيه الشاعر:

الحب داء عضال لا دواء له ... يحار فيه الأطباء النحارير

قدكنت أحسب أن العاشقين غلوا ... في وصفه فإذا بالقوم تقصير

ومؤلفه رحمه الله من أطباء القلوب البارعين الذين لا يرجعون في مداواتهم لأمراض القلوب إلى حكماء اليونان، وإنما يصدرون عن كتاب الله الحكيم، الذي فيه هدى وموعظة وشفاء لما في الصدور، وسنة رسول الله الذي إنما بعث لتعليم الناس الكتاب والحكمة، وإصلاح عقيدتهم **وسلوكهم**، وتزكية نفوسهم، وهدايتهم لمراشد الأمور، فكانت الجماعة التي تخرجت على يديه خير أمة أخرجت للناس، لم يعرف في التاريخ البشري لها نظير.." <الداء والدواء ص/٥>

"التحذير فقال: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران: ٢٨] .

فمن ضروب الطاعات إهانتهم في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرون، ومن حقوق الله تعالى الواجبة أخذ جزية رءوسهم التي يعطونها عن يد وهم صاغرون.

ومن الأحكام الدينية أن تعم جميع الذمة إلا من لا تجب عليه باستخراجها، وأن يعتمد في ذلك على **سلوك** سبيل السنة المحمدية ومنهاجها، وألا يسامح بها أحد منهم ولو كان في قومه عظيما، وألا يقبل إرساله بها ولو كان فيهم زعيما، وألا يحيل بها على أحد من المسلمين، ولا يوكل في إخراجها عنه أحدا من الموحدين، وأن تؤخذ منه على وجه الذلة والصغار إعزازا للإسلام وأهله، وإذلالا لطائفة الكفار وأن تستوفى من جميعهم حق الاستيفاء. وأهل خيبر وغيرهم في ذلك على السواء.

وأما ما ادعاه الخيابرة من وضع الجزية عنهم بعهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن ذلك زور وبهتان، وكذب ظاهر يعرفه أهل العلم والإيمان، لفقه القوم البهت وزوروه، ووضعوه من تلقاء أنفسهم وتمموه،

وظنوا أن ذلك يخفى على الناقدين أو يروج على علماء المسلمين ويأبى الله إلا أن يكشف حال المبطلين وإفك المفترين.." <أحكام أهل الذمة ابن القيم ١/٤٨٩>

"وليؤمروا بأن يغيروا من أسمائهم ما يختص به أهل الإيمان كمحمد وأحمد وأبي بكر وعمر وعلي وعثمان، وكذلك الكنى المختصة بالمسلمين كأبي علي وأبي الحسن وأبي عبد الله وأبي الحسين، فلتغير هذه الأسماء بما يليق بهم ويصلح لهم، ولينسخ بالثاني المستجد السالف الأول، وليقرر بالتعويض عنه على ما ليس فيه متأول، ولولا أنهم لم يتقدم إليهم في ذلك بنهي ولا تحذير، لنالهم ما لا طاقة لهم به من النكال والتدمير.

فليحذروا التعرض لهذا العقاب الأليم والعذاب الوبيل، وليكن الغيار وشد الزنار مما يؤمرون به بالحضرة وبالأعمال بالديار المصرية والأقاصي من صبغ أبوابهم وعمائمهم باللون الأغبر الرصاصي، وليؤخذ كل منهم بأن يكون زناره فوق ثيابه، وليحذر غاية الحذر أن يرى منصرفا إلا به، وليمنع لابسه أن يستره بردائه وليحذر الراكب منهم أن يخفيه بالجلوس عليه لإخفائه، ولا يمكنوا من ركوب شيء من أجناس الخيل والبغال، ولا سلوك مدافن المسلمين ولا مقابرهم في نهار ولا ليل، ولا يفسح لأحد منهم في المراكب المحلاة، ولتكن توابيت موتاهم مشدودة بحبال الليف مكشوفة غير مغشاة، وليمنعوا من تعلية دورهم على دور من جاورهم من المسلمين.

وجملة الأمر أن ينتهي فيهم إلى قوله عز وجل: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ [المجادلة: ٢٠] .." <أحكام أهل الذمة ابن القيم ١/٤٩٣>

"وقد ذهب جماعة من الفقهاء إلى صحة وصية الصبي، وطلاقه، وظهاره، وإيلائه، ولم يزل الصبيان يذهبون في حوائج أوليائهم وغيرهم، ويقبلون قولهم في ثبوت الأسباب التي تقتضي الحل، والحرمة ويعتمدون في وطء الفرج في الأمة والزوجة على قول الصبي، فلم يهدر الشارع أقوال الصبي كلها.

بل إذا تأملنا الشرع رأينا اعتباره لأقواله أكثر من إهداره لها، وإنما تهدر فيما فيه عليه ضرر، كالإقرار بالحدود، والحقوق، فأما ما هو نفع محض له في الدنيا، والآخرة كالإسلام، فاعتبار قوله فيه أولى من إهداره، إذ أن أصول الشرع تشهد باعتبار قوله فيه.

وأيضا فإن الإسلام عبادة محضة، وطاعة لله، وقربة له، فلم يكن البلوغ شرطا في صحتها: كحجه وصومه، وصلاته، وقراءته، وأن الله تعالى دعا عباده إلى دار السلام، وجعل طريقها الإسلام، وجعل من لم يجب دعوته في الجحيم، والعذاب الأليم، فكيف يجوز منع الصبي من إجابة دعوة الله مع مسارعته، ومبادرته

إليها، **وسلوكه** طريقها، وإلزامه بطريق أهل الجحيم، والكون معهم، والحكم عليه بالنار، وسد طريق النجاة عليه مع فراره إلى الله منها؟ هذا من أمحل المحال، ولأن هذا إجماع الصحابة، فإن عليا – رضي الله عنه – أسلم صبيا، وكان يفتخر بذلك، ويقول.

سبقتكم إلى الإسلام طرا ... صبيا ما بلغت أوان حلمي

فكيف يقال: إن إسلامه كان باطلا لا يصح؟ ولهذا قال غير واحد من التابعين، ومن بعدهم: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن العبيد بلال، ومن الموالي زيد.."

<أحكام أهل الذمة ابن القيم ٢/٩٠٥>

"الحكماء برذونا يسقى عليه فقال لو هملج هذا الركب أقدام العزم **بالسلوك** اندفع من بين أيديها سد القواطع القواطع محن يتبين بها الصادق من الكاذب فإذا خضتها انقلبت أعوانا لك توصلك إلى المقصود

فصل الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها فلا ترضى بالدياثة

ميزت بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

السير في طلبها سير في أرض مسبعة والسباحة فيها سباحة في غدير التمساح المفروح به منها هو عين المحزون عليه آلامها متولدة من لذاتها وأحزانها من أفراحها

مآرب كانت في الشباب لأهلها ... عذاب فصارت في المشيب عذابا

طائر الطبع يرى الحبة وعين العقل ترى الشرك غير أن عين الهوى عميا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

تزخرفت الشهوات لأعين الطباع فغض عنها الذين يؤمنون بالغيب ووقع تابعوها في بيداء الحسرات وباؤلئك على هدى من ربهم وأؤلئك هم المفلحون وهؤلاء يقال لهم ﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾ لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أما وافيها الهوى طلبا لحياة الأبد لما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انهبه العدو منهم في زمن البطالة فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد فقرب عليهم البعيد وكلما أمرت لهم الحياة حلى لهم تذكر ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾

وركب سروا الليل ملق رواقه ... على كل مغبر المطالع قائم

حدوا عزمات ضاعت الأرض بينها ... فصار سراهم في طلوع العزائم." <الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٤٦>

"فائدة كمال النفس المطلوب ما تضمن أمرين أحدهما أن يصير هيئة راسخة وصفة لازمة له الثاني أن يكون صفة كمال في نفسه فإذا لم يكن كذلك لم يكن كمالافلا يليق بمن يسعى في كمال نفسه المنافسة عليه ولا الأسف على فوته وذلك ليس إلا معرفة بارئها وفاطرها ومعبودها والهها لحق الذي لا صلاح لها ولا نعيم ولا لذة إلا بمعرفته وإرادة وجهه **وسلوك** الطريق الموصلة إليه وإلى رضاه وكرامته وأن تعتاد ذلك فيصير لها هيئة راسخة لازمة وما عدا ذلك من العلوم والإرادات والأعمال فهي بين مالا ينفعها ولا يكملها وما يعود بضررها ونقصها وألمها ولا سيما إذا صار هيئة راسخة لها فإنها تعذب وتتألم به بحسب لزومه لها وأما الفضائل المنفصلة عنها كالملابس والمراكب والمساكن والجاه والمال فتلك في الحقيقة عوار أعيرتها مدة ثم يرجع فيها المعير فتتألم وتتعذب برجوعه فيها بحسب تعلقها بها ولا سيما إذا كانت هي غاية كمالها فإذا سلبتها أحضرت أعظم النقص والألم والحسرة فليتدبر من يريد سعادة نفسه ولذتها هذه النكتة فأكثر هذا الخلق إنما يسعون في حرمان نفوسهم وألمها وحسرتها ونقصها من حيث يظنون أنهم يريدون سعادتها ونعيمها فلذتها بحسب ما حصل لها من تلك المعرفة والمحبة **والسلوك** وألمها وحسرتها بحسب ما فاتها من ذلك ومتى عدم ذلك وخلا منه لم يبق فيه إلا القوى البدنية النفسانية التي بها يأكل ويشرب وينكح ويغضب وينال سائر لذاته ومرافق حياته ولا يلحقه من جهتها شرف ولا فضيلة بل خساسة ومنقصة إذ كان إنما يناسب بتلك القوى البهائم ويتصل بجنسها ويدخل في جملتها ويصير كأحدها وربما زادت في تناولها عليه واختصت دونه بسلامة عافيتها والأمن من جلب الضرر عليها فكمال تشاركك فيه البهائم وتزيد عليك وتختص عنك فيه بسلامة العاقبة حقيق أن تهجره إلى الكمال الحقيقي الذي لا كمال سواه وبالله التوفيق." <الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٨٣>

"والشوك أعظم ممن مشى إليه راكبا على النجائب فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها إلى غيره فهو سبحانه يبتلي عبده بالشهوات إما حجابا له عنه أو حاجبا له يوصله إلى رضاه وقربه وكرامته الفرقة الرابعة فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة وسبيل المؤمنين مجملة وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك بل عرفه معرفة مجملة وإن تفصلت له في بعض الأشياء ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عيانا وكذلك من كان عارفا بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالكا لها إذا تاب ورجع عنها إلى سبيل الأبرار

يكون علمه بها مجملا غير عارف بها على التفصيل معرفة من أفنى عمره في تصرفها **وسلوكها**
والمقصود أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجتنب تبغض كما يجب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار مالا يعلمه إلا الله من معرفة عموم ربوبيته سبحانه وحكمته وكمال أسمائه وصفاته وتعلقها بمتعلقاتها واقتضائها لآثارها وموجباتها وذلك من أعظم الدلالة على ربوبيته وملكه وإلهيته وحبه وبغضه وثوابه وعقابه والله أعلم
أرباب الحوائج على باب الملك يسألون قضاء حوائجهم وأولياؤه المحبون له الذين هو همهم ومرادهم جلساؤه وخواصه فإذا أراد قضاء حاجة واحد من أولئك أذن لبعض جلسائه وخاصته أن يشفع فيه رحمة له وكرامة للشافع وسائر الناس مطرودون عن الباب مضروبون بسياط العبد

فصل عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها علم لا يعمل به وعمل لا
إخلاص فيه ولا اقتداء ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه." <الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/١١١>
"لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه فإن كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك وأما مالا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين
والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين فأوله معرفة وآخره **سلوك** فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل وجوارحه بالطاعة وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور والمكروهة والختان وتقليم الأظفار فيعرفه بصفات بالجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه فجمع الحديث قاعدتين المعرفة **والسلوك**

فصل ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق
العزيمة فيصدقه في عزمه وفي فعله قال تعالى فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فسعادته في

صدق العزيمة وصدق الفعل فصدق العزيمة جمعها وجزمها وعدم التردد فيها بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوم فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره." <الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/١٨٦>

"القلب إلا به سبحانه وما سواه إن أعان على هذا المطلوب فرح به وسر به وإن حجب عنه فهو بالحزن به والوحشة منه واضطراب القلب بحصوله أحق منه بأن يفرح به فلا فرحة ولا سرور إلا به أو بما أوصل إليه وأعان على مرضاته وقد أخبر سبحانه أنه لا يحب الفرحين بالدنيا وزينتها وأمر بالفرح بفضله ورحمته وهو الإسلام والإيمان والقرآن كما فسره الصحابة والتابعون والمقصود أن من اتصلت له هذه الأمور بالله سبحانه فقد وصل وإلا فهو مقطوع عن ربه متصل بحظه ونفسه ملبس عليه في معرفته وإرادته **وسلوكه**

قاعدة جليلة قد فكرت في هذا الأمر فإذا أصله أن تعلم أن النعم
كلها من الله وحده نعم الطاعات ونعم اللذات فترغب إليه أن يلهمك ويوزعك شكرها قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴿وقال﴾ فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴿وقال﴾ واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون وكما أن تلك النعم منه ومن ومجرد فضله فذكرها وشكرها لا ينال إلا بتوفيقه والذنوب من خذلانه وتخليه عن عبده وتخليته بينه وبين نفسه وإن لم يكشف ذلك عن عبده فلا سبيل له إلى كشفه عن نفسه فإذا هو مضطر إلى التضرع والابتهال إليه أن تدفع عنه أسبابها حتى لا تصدر منه وإذا وقعت بحكم المقادير ومقتضى البشرية فهو مضطر إلى التضرع والدعاء أن يدفع عنه موجباتها وعقوباتها فلا ينفك عن العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة ولا فلاح له إلا بها الشكر وطلب العافية والتوبة النصوح
ثم فكرت فإذا مدار ذلك على الرغبة والرهبة وليسا بيد العبد بل بيد مقلب القلوب ومصرفها كيف يشاء فإن وفق عبده أقبل بقلبه إليه وملأه رغبة ورهبة وإن خذله له تركه ونفسه ولم يأخذ بقلبه إليه ولم يسأله ذلك وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن." <الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٤>

") الحديد ٢٥ وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم﴾ الشورى ١٥ الثاني أن يجعل المطيع لله ورسوله الراغب فيما رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم الذي يريد الرمي والركوب للاستعانة على الجهاد في سبيل ويبذل الجعل ليكون ذلك أعظم للرغبة

وأشد تحريضا للنفوس على ما يحبه الله ورسوله أسوأ حالا من هذا المستعار الذي هو دخيل بل هذا الدخيل مراعى جانبه منظور في مصلحته موفر نصيبه من الأمن محصن في برج السلامة **مسلوك** به طريق الأمن مكمل فرحه بالسلامة والظفر والباذلان المقصودان بمعزل عن ذلك قالوا وأيضا فبدخول المحلل لم يخرج العقد عن كون الجعل فيه من اثنين بل الجعل منهما بحاله وإنما استفدنا جهة أخرى لمصرفه فكان الخطر أن يصرفان إلى هذا وحده على تقدير وإلى هذا وحده على تقدير وإلى كل منهما جعله على تقدير فاستفدنا بدخوله ثلاث تقديرات أخر صرف الرهنين إليه وحده وإليه وإلى هذا وحده وإليه وإلى الآخر فلم نستفد بدخوله إلا تعدد الجهات التي يصرف فيها الجعل ليس إلا فلم يخرج به العقد من كونه عقدا أخرج منه كما ترى المتراهنان كلاهما قالوا وأيضا فمشترطوا المحلل مختلفون هل دخل ليحل فيه لنفسه فقط أو له وللباذلين على قولين." <الفروسية ابن القيم ص/١٩٦>

"قال: ومن ذلك منعه بيع أمهات الأولاد، وإنما كان رأيا منه رآه للأمة، وإلا فقد بعن في حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ومدة خلافة الصديق، ولهذا عزم علي بن أبي طالب على بيعهن، وقال: " إن عدم البيع كان رأيا اتفق عليه هو وعمر "، فقال له قاضيه عبيدة السلماني: " يا أمير المؤمنين، رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك "، فقال: " اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الخلاف " فلو كان عنده نص من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتحريم بيعهن لم يضف ذلك إلى رأيه ورأي عمر، ولم يقل " إني رأيت أن يبعن ".

[فصل في سياسة الصحابة في قيادة الأمة من بعده صلى الله عليه وسلم]

٨ – (فصل) ومن ذلك: اختياره للناس الإفراد بالحج، ليعتمروا في غير أشهر الحج. فلا يزال البيت الحرام مقصودا، فظن بعض الناس أنه نهى عن المتعة، وأنه أوجب الإفراد. وتنازع في ذلك ابن عباس وابن الزبير، وأكثر الناس على ابن عباس في ذلك، وهو يحتج عليهم بالأحاديث الصحيحة الصريحة. فلما أكثروا عليه في ذلك قال: " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول لكم: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟ " وكذلك ابنه عبد الله كانوا إذا احتجوا عليه بأبيه يقول: " إن عمر لم يرد ما تقولون " فإذا أكثروا عليه قال: " أفرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحق أن تتبعوا، أم عمر؟ ".

والمقصود: أن هذا وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة، تختلف باختلاف الأزمنة، فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة.

ولكل عذر وأجر ومن اجتهد في طاعة الله ورسوله فهو دائر بين الأجر والأجرين، وهذه السياسة التي ساسوا بها الأمة وأضعافها هي تأويل القرآن والسنة.

ولكن: هل هي من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة، أم من السياسات الجزئية التابعة للمصالح، فتتقيد بها زمانا وم كانا؟ ومن ذلك: جمع عثمان – رضي الله عنه – الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القراءة بها، لما كان ذلك مصلحة. فلما خاف الصحابة – رضي الله عنهم – على الأمة أن يختلفوا في القرآن، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم، وأبعد من وقوع الاختلاف: فعلوا ذلك، ومنعوا الناس من القراءة بغيره. وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت، ويطمع فيهم العدو، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، وترك بقية الطرق: جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود، وإن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأمة.." <الطرق الحكمية ابن القيم ص/١٩>

"الواجبة هاهنا عدة من غير مدخول بها، فهي من نكاح محض، وكذلك الميراث، فإنه لولا ثبوت النكاح لما ورثت.

وقول أحمد في رواية حنبل: " يقرع بينهن فأيتهن أصابتها القرعة فهي امرأته "، صريح في ثبوت الزوجية بالقرعة، ثم قال: " وإن مات الزوج فهي التي ترثه " وهذا صريح في أنه يقرع بينهن في حال حياة الزوج والزوجة، وإن مات بعد القرعة ورثته بحكم النكاح، ولا إشكال في ذلك بحمد الله، فإذا أقرع بينهن فأصابت القرعة إحداهن: كان رضا الزوج بها ورضا وليها ورضاها تصحيحا للنكاح. ولا يقال: يجوز أن تكون القرعة أصابت غيرها، فيكون جامعا بين الأختين، لأن المجهول كالمعدوم، ولأنا نأمره أن يطلق غير التي أصابتها القرعة، فيقول: ومن عدا هؤلاء فهي طالق احتياطا، فهذا خير من توريث الجميع وحرمان الجميع؛ وأن يوقف الأمر فيهن أبدا حتى يتبين الحال وينكشف، وقد لا يتبين إلى اليوم.

وبالجملة: فالقرعة طريق شرعي، شرعه الله ورسوله للتمييز عند الاشتباه، فسلوكه أولى من غيره من الطرق. وقد قال أبو حنيفة: إذا طلق امرأة من نسائه لا بعينها، فإنه لا يحال بينه وبينهن، وله أن يطأ أيتهن شاء، فإذا وطئ انصرف الطلاق إلى الأخرى، واختاره ابن أبي هريرة من الشافعية، فجعلوا الوطء تعيينا. ومعلوم أن التعيين بالقرعة أولى من التعيين بالوطء، فإن القرعة تخرج من قدر الله إخراجه بها، ولا يتهم بها، والوطء تابع لإرادته وشهوته، ويجوز أن يشتهي غير من كان في نفسه إرادة طلاقها، فهو متهم، فالتعيين بالطريق الشرعي أولى من التعيين بالتشهي والإرادة.

ومما يوضحه: أن أبا حنيفة قد قال - فيما إذا أعتق إحدى أمتيه، ثم وطئ إحداهما - أن الوطء لا يعين المعتقة من غيرها.

وقال أصحابه: الفرق بينهما أن الطلاق يوجب التحريم، وذلك ينفي النكاح، فلما وطئ إحداهما دل على أنه مختار أن تكون زوجته، فإنه لا يطأ من ليست زوجته، وأما العتق: فإنه - وإن أوجب تحريم الوطء - فلا ينافي ملك اليمين، كأخته من الرضاع.

فقال المنازعون لهم: الطلاق لا يوجب التحريم عندكم، فإن الرجعة مباحة، وإنما الموجب للتحريم: انقضاء العدة واستيفاء العدد.

وقد صرح أصحابكم بذلك، على أن النكاح - وإن نافاه التحريم - فالملك ينافيه التحريم، فهما متساويان في أن الوطء لا يجوز إلا في ملك، وهو متحقق لملك الموطوءة.

[فصل فيمن طلق إحدى نسائه ومات قبل البيان]

١٢٧ - (فصل)." <الطرق الحكمية ابن القيم ص/٢٦١>

"قلت: وقوله في القديم أصح وأولى؛ لما تقدم من قوة القرعة وأدلتها، وأن في وقف المال حتى يصطلحا تأخير الخصومة، وتعطيل المال، وتعريضه للتلف ولكثرة الورثة، فالقرعة أولى الطرق **للسلوك**، وأقربها إلى فصل النزاع، وما احتج به الشافعي في القديم على صحتها من أصح الأدلة، ولهذا قال: هي أشبه. وبالجملة: فمن تأمل ما ذكرنا في القرعة تبين له: أن القول بها أولى من وقف المال أبدا، حتى يصطلح المدعون، وبالله التوفيق. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.." <الطرق الحكمية ابن القيم ص/٢٧٦>

"حرف الجيم

جمار: قلب النخل، ثبت في «الصحيحين» : عن عبد الله بن عمر قال:

بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس، إذ أتي بجمار نخلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من الشجر شجرة مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها ... الحديث» «١» . والجمار:

بارد يابس في الأولى، يختم القروح، وينفع من نفث الدم، واستطلاق البطن، وغلبة المرة الصفراء، وثائرة الدم، وليس برديء الكيموس، ويغذو غذاء يسيرا، وهو بطيء الهضم، وشجرته كلها منافع، ولهذا مثلها النبي صلى الله عليه وسلم بالرجل المسلم لكثرة خيره ومنافعه.

جبن: في «السنن» عن عبد الله بن عمر قال: «أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنبة في تبوك، فدعا بسكين، وسمى وقطع» رواه أبو داود «٢» ، وأكله الصحابة رضي الله عنهم بالشام، والعراق، والرطب منه غير المملوح جيد للمعدة، هين **السلوك** في الأعضاء، يزيد في اللحم، ويلين البطن تليينا معتدلا، و المملوح أقل غذاء من الرطب، وهو رديء للمعدة، مؤذ للأمعاء، والعتيق يعقل البطن، وكذا المشوي، وينفع القروح، ويمنع الإسهال.

وهو بارد رطب، فإن استعمل مشويا، كان أصلح لمزاجه، فإن النار تصلحه وتعدله، وتلطف جوهره، وتطيب طعمه ورائحته. والعتيق المالح، حار يابس، وشيه يصلحه أيضا بتلطيف جوهره، وكسر حرافته لما تجذبه النار منه من الأجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها، والمملح منه يهزل، ويولد حصاة الكلى والمثانة، وهو رديء للمعدة، وخلطه بالملطفات أردأ بسبب تنفيذها له إلى المعدة.

---

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة، ومسلم في صفات المنافقين.

(٢) أخرجه أبو داود في الأطعمة.." <الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٢٢>

"شيوخ المحرفين وسلفهم فإنهم حرفوا كثيرا من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم ودرج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم من القذة بالقذة والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه وسطوا عليها وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين فإنه جاء فوجد بابا مفتوحا وطريقا **مسلوكة** ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها وإن كان الملحد قد وسع بابا هم فتحوه وطريقا هم اشتقوه فهما بمنزلة رجلين ائتمنا على مال فتأول أحدهما وأكل منه دينارا فتأول الآخر وأكل منه عشرة فإذا أنكر عليه صاحبه قال إن حل." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ١/٢١٦>

"تأويل الأمر والنهي والتحريم والإيجاب ومورد الجميع من مشكاة واحدة فنحن سلكنا في تأويل الشرائع العملية نظير ما سلكتم في تأويل النصوص الخبرية.

قالوا: وأين تقع نصوص الأمر والنهي من نصوص الخبر.

قالوا: وكثير منكم قد فتحوا لنا باب التأويل في الأمر فأولوا أوامر ونواهي كثيرة صريحة الدلالة أو ظاهرة الدلالة في معناها بما يخرجها عن حقائقها وظواهرها فهلم نضعها في كفة ونضع تأويلاتنا في كفة ونوازن

بينهما ونحن لا ننكر أنا أكثر تأويلا منهم وأوسع لكنا وجدنا بابا مفتوحا فدخلناه وطريقا **مسلوكا** فسلكناه فإن كان التأويل حقا فنحن أسعد الناس به وإن كان باطلا فنحن وأنتم مشتركون فيه ومستقل ومستكثر.

فهذا من شؤم جناية التأويل على أصول الإيمان والإسلام.

وقد قيل: إن طرد إبليس ولعنه إنما كان بسبب التأويل فإنه عارض النص بالقياس وقدمه عليه وتأول." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ١/٣٧٠>

"الجميع كالاختلاف في أنواع الأذان والإقامة وصفات التشهد والاستفتاح وأنواع النسك الذي يحرم به قاصد الحج والعمرة وأنواع صلاة الخوف والأفضل من القنوت أو تركه ومن الجهر بالبسملة أو إخفائها ونحو ذلك فهذا وإن كان صورته صورة اختلاف فهو اتفاق في الحقيقة.

فصل

ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ولكن إذا كان الأصل واحدا والغاية المطلوبة واحدة والطريق **المسلوكة** واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافا لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة.." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٢/٥١٩>

"إلى شقي وسعيد ومسرور بمنقلبه ومثبور به وما يتبع ذلك. القسم السادس ذكر القرون الماضية والأمم الخالية وما جرى عليهم وذكر أحوالهم مع أنبيائهم وما نزل بأهل العناد والتكذيب منهم من المثلات وما حل بهم من العقوبات ليكون ما جرت عليه أحوال الماضين عبرة للمعاندين فيحذروا **سلوك** سبيلهم في التكذيب والعصيان.

القسم السابع: الأمثال التي ضربها لهم والمواعظ التي وعظهم بها ينبههم بها على قدر الدنيا وقصر مدتها وآفاقها ليزهدوا فيها ويتركوا الإخلاد إليها ويرغبوا فيما أعد لهم في الآخرة من نعيمها المقيم وخيرها الدائم.

القسم الثامن: ما تضمنه من الأمر والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما فيه طاعته ومعصيته وما يحبه من الأعمال والأقوال والأخلاق وما يكرهه ويبغضه منها وما يقرب إليه ويدني من ثوابه وما يبعد منه ويدني من

عقابه وقسم هذا القسم إلى فروض فرضها وحدود حدها وزواجر زجر عنها وأخلاق وشيم رغب فيها.

القسم التاسع: ما عرفهم إياه من شأن عدوهم ومداخله عليهم ومكايده لهم وما يريده بهم وعرفهم إياه من طريق التحصن منه والاحتراز من بلوغ كيده منهم وما يتداركون به ما أصيبوا به في معركة الحرب بينهم وبينه وما يتبع ذلك.." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٦٨٥/٢>

"أما صدقها فإن نصوص الوحي تخالف معقولها هي وذلك من أدل دليل على فساده في نفسه إذ شهدت له نصوص الوحي بالبطلان.

وأما كذبها فزعمها أن نصوص الوحي تخالف العقل المتفق عليه بين العقلاء فهذا لم يقع ولا يقع ما دامت السماء سماء والأرض أرضا بل تزول السماء والأرض وهذا لا يكون فأي ذنب للنصوص إذا خالفت عقول بعض الناس فقد وافقت عقول أصح الناس عقلا ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام٨٩]

الوجه الحادي العشرون: إن الأدلة السمعية هي الكتاب والسنة والإجماع وهو إنما يصار إليه عند تعذر الوصول إليهما فهو في المرتبة الأخيرة ولهذا أخره عمر في كتابه إلى أبي موسى حيث كتب إليه اقض بما في كتاب الله فإن لم يكن في كتاب الله فبما في سنة رسول الله فإن لم يكن في السنة فبما قضى به الصالحون قبلك وهذا السلوك." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٨٣٤/٣>

"هو كان سلوك الصحابة والتابعين ومن درج على آثارهم من الأئمة أول ما يطلبون النازلة من القرآن فإن أصابوا حكمها فيه لم يعدوه إلى غيره وإن لم يصيبوها فيه طلبوها من سنة رسول الله فإن أصابوها لم يعدوها إلى غيرها وإن لم يصيبوها طلبوها من اتفاق العلماء وقد صان الله الأمة أن تجمع على خطأ أو على ما يعلم بطلانه بصريح العقل فإذا كان الإجماع معصوما أن ينعقد على ما يخالف العقل الصريح بل إذا وجدنا معقولا يخالفه الإجماع علمنا قطعا أنه معقول فاسد فلأن يصان كتاب الله وسنة رسوله عن مخالفة العقل الصريح أولى وأحرى.

الوجه الثاني والعشرون: إنه إذا قدر تعارض العقل والكتاب فرد العقل الذي لم تضمن لنا عصمته إلى الكتاب المعلوم العصمة هو الواجب.

الوجه الثالث والعشرون: إن هؤلاء الخائضين في صفات الرب وأفعاله وما يجوز عليه ومالا يجوز بآرائهم وعقولهم تراهم مختلفين متنازعين حيارى متهوكين وحاصل ما مع أكثرهم حسن." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٨٣٥/٣>

"والافتراق وتماثل الأجسام وتركبها من الجواهر المفردة وأنها قابلة للحوادث وما يقبل الحوادث فهو حادث فالأجسام كلها حادثة فإذا يجب أن يكون لها محدث ليس بجسم فنفوا العلم بإثبات الصانع على حدوث الأجسام واستدلوا على حدوثها بأنها مستلزمة للحركة والسكون والاجتماع والافتراق ثم قالوا إن تلك أعراض والأعراض حادثة ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث فاحتاجوا في هذه الطريق إلى إثبات الأعراض أولا ثم إثبات لزومها للجسم ثانيا ثم إبطال حوادث لا أول لها ثالثا ثم التزام بطلان حوادث لا نهاية لها رابعا عند فريق منكم وإلزام الفرق عند فريق آخر ثم إثبات الجوهر الفرد خامسا ثم إلزام كون العرض لا يبقى زمانين سادسا فيلزم حدوثه والجسم لا يخلو منه ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم إثبات تماثل الأجسام سابعا فيصح على بعضها ما يصح على جميعها فعلمهم بإثبات الخالق سبحانه مبني على هذه الأمور الشنيعة فلزمهم من **سلوك** هذه الطريق إنكار كون الرب تعالى فاعلا في الحقيقة وإن سموه فاعلا بألسنتهم فإنه لا يقوم به عندهم فعل وفاعل بلا فعل كقائم بلا قيام وضارب بلا ضرب وعالم بلا علم وضم الجهمية إلى ذلك أنه لو قام به صفة لكان جسما ولو كان جسما لكان حادثا." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٣/٩٨٥>

"تلك اللوازم أهون عليه من القدح في تلك القواعد وإبطالها فهذا أصل ضلال من ضل من أهل النظر والبحث في المعقولات وأما الأعمى المقلد فليس معه أكثر من هكذا قال العقلاء وهذا القدر الذي وقع من ضلال هؤلاء لم يقصده عقلاؤهم ابتداء بل كان قصدهم تحصيل العلوم والمعارف ولكن أخطأوا بطلبها من غير طريقها فضلوا وأضلوا وقد سئل شيخنا رضي الله عنه عن بعض رؤساء هؤلاء ممن له علم وعقل **وسلوك** وقصد ثم أخطأ الصواب فقال طلب الأمور العلية من غير الطرق النبوية فقادته قسرا إلى المناهج الفلسفية وما أحسن ما قال فإن من طلب أمرا عاليا من غير طريقه لم يحصل إلا على ضده فالواجب على من يريد كشف ضلال هؤلاء وامثالهم أن لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده فيكون الكلام في معنى معقول يتوارد النفي والإثبات فيه على محل واحد لا في لفظ مجمل مشتبه المعنى وهذا نافع في الشرع والعقل والدين والدنيا وبالله التوفيق.

السابع والستون: إن الله سبحانه نهى المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسوله وأن يرفعوا أصواتهم فوق صوته وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض وحذرهم من حبوط أعمالهم بذلك فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات٢١] .." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٣/٩٩٦>

"كابن سبعين وصاحب الفصوص وصاحب نظم **السلوك** وأمثالهم ثم من أئمتهم من هو أمثل من هؤلاء كأئمة الجهمية كالجهم ابن صفوان والجعد بن درهم وأبي الهذيل العلاف وإبراهيم النظام وبشر المريسي وثمامة بن أشرس وأمثال هؤلاء ممن هم من أجهل الخلق بما بعث الله به رسوله فيا للعقول ويا للعجب أيكون ما أتى به هؤلاء من التعطيل والنفي أكمل مما أتى به موسى بن عمران ومحمد بن عبد الله خاتم الرسل وإخوانهما من المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم فإن الرسل عند النفاة لم يبينوا أفضل العلم والمعرفة وإنما هم الذين بينوا ذلك ودلائله تأصيلا وتفصيلا وقد صرح ملاحدة هؤلاء بأن الرسل راموا إفادة."
<الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٣/١١٥٦>

"الحقائق في نفس الأمر وانتفائها أو تشكون في الأمر ولا ريب أنه مع اعتقاد ثبوت تلك الحقائق تمتنع المعارضة وأنه مع الشك تمتنع المعارضة فلا تمكن المعارضة إلا على تقدير العلم بانتفاء تلك الحقائق في نفس الأمر وحينئذ فإذا أراد إفهامها فقد أراد إفهام خلاف الحق فإما أن توافقوه في مراده وتمنعوا تأويلها بما يخالف حقائقها لأنه مناقضة لمراده وإما أن توجبوا تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ومعانيها المفهومة منها والأول يستلزم الإقرار على الباطل وإفهام أقبح الكذب وهو الكذب على الله واسمائه وصفاته وهذا يرجع على أصل الرسالة ومقصودها بالإبطال فلم يبق إلا التأويل ولا يمكنكم **سلوك** طريقه لأنكم تناقضون فيه أقبح التناقض.

فإنكم إما تتأولوا الجميع وليس في المنتسبين إلى القبلة من يجوز ذلك ولا يمكنه وإما تتأولوا البعض دون البعض فيقال لكم ما الفرق بين ما جوزتم تأويله فصرفتموه عن حقيقته ومءناه الظاهر منه وبين ما أقررتموه على حقيقته فإن قلتم ما يقوله جمهوركم أن ما عارضه عقلي قاطع تأولناه وما لم يعارضه عقلي قاطع أقررناه. قيل لكم فحينئذ لا يمكنكم نفي التأويل عن شيء فإنكم لا يمكنكم نفي جميع المعارضات العقلية."
<الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ٣/١١٦٣>

"الناس من يقول ليس الإيمان موقوفا عليها ولا هي من لوازمه وليست طريقة الرسل ويحرم **سلوكها** لما فيها من الخطر والتطويل وإن لم يعتقد بطلانها وهذا قول أبي الحسن الأشعري نفسه فإنه صرح بذلك في رسالته إلى أهل الثغر وبين أنها طريقة خطرة مذمومة محرمة وإن كانت غير باطلة.

ووافقه على هذا جماعة من أصحابه من أتباع الأئمة وقالت طائفة أخرى بل هي طريق في نفسها متناقضة مستلزمة لتكذيب الرسول لا يتم **سلوكها** إلا بنفي ما أثبته وهي مستلزمة لنفي الصانع بالكلية كما هي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله وهي مستلزمة لنفي المبدأ والمعاد فإن هذه الطريقة لا تتم إلا بنفي سمع

الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه فضلا عن نفي علوه على خلقه ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها ولا تتم إلا بنفي أفعاله جملة وأنه لا يفعل شيئا البتة." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ١١٩٠/٣>

"مثل الحق مثل طريق مستقيم واسع وعلى جنبيه قطاع ولصوص وعندهم خواطئ قد ألبسوهن الحلي والحلل وزينوهن للناظرين فيمر الرجل بالطريق فيتعرضن له فإن التفت إليهن طمعن في حديثه فألقين إليه الكلام فإن راجعهن وأجابهن دعينه إلى الذبح فإذا دخل عرين الموت صار في قبضتهن أسيرا أو قتيلا فكيف يحارب قوما من هو أسير في قبضتهم قتيل سلاحهم بل يصير هذا عونا من أعوانهم قاطعا من قطاع الطريق ولا يعرف حقيقة هذا المثل إلا من عرف الطريق المستقيم وقطاع الطريق ومكرهم وحيلهم وبالله التوفيق وهو المستعان.

وقد نصب الله سبحانه الجسر الذي يمر الناس من فوقه إلى الجنة ونصب بجانبيه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فهكذا كلاليب الباطل من تشبيهات الضلال وشهوات الغي تمنع صاحبها من الاستقامة على طريق الحق وسلوكه والمعصوم من عصمه الله.

الوجه الرابع والأربعون بعد المائة: أن يقال لهذه الفرقة المعارضة بين النقل والعقل أتدعون هذه المعارضة بين العقل وجميع النقل أو بعضه والأول." <الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ابن القيم ١٢٥٦/٤>

"ضرورته إلى ربه عز وجل، وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته.

ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام.

ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلي المتقدمين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غره وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته.

استقامة القلب

(فصل) وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجواره.

فاستقامة القلب بشيئين:

(أحدهما) أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحا‌ب، فإذا تعارض حب تعالى الله وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه.

ما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان.

وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى.

فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاء له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئا سواه عذب به ولا بد، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤما عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

(الأمر الثاني) الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهى، وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة.." <الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٨>

"مرة وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى، وجعل له مقابل نفسه الأمارة نفسا مطمئنة إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة.

فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو الغالب منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهرا لا تقوم معه أبدا.

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نورا وبصيرة وعقلا يرده عن الذهاب مع الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نورا وبصيرة وعقلا يرده عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهالك والمتالف بين يديك وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل.

فهو يطيع الناصح مرة فيبن له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويؤخذ ماله ويسلب ثيابه فيقول: ترى من أين أتيت؟

والعجب أنه يعلم من أين أتي، ويعرف الطريق التي قطعت عليه وأخذ فيها ويأبى إلا **سلوكها**، لأن دليلها قد يمكن منه وتحكم فيه وقوي عليه، ولو أضعفه بالمخالفة له وزجره إذا دعاه ومحاربته إذا أراد أخذه لم يتمكن منه، ولكن هو مكنه من نفسه وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه فيباشر ثم يساومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث، فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه، فلما أن بلي العبد بما بلي به أعين بالعساكر والعدد والحصون، وقيل: قاتل عدوك وجاهده، فهذه الجنود خذ منها ما شئت، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها ورابط إلى الموت، فالأمر قريب ومدة المرابطة يسيرة جدا، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره واسترحت من هذا الجهاد وفرق بينك وبين عدوك وأطلقت في داره الكرامة تتقلب فيها كيف شئت وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه.

فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه وأيس من الروح والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك، وقرت عينك، جزاء على صبرك في تالك المدة اليسيرة ولزومك الثغر للرباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن.

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه فليتدبر قوله عز وجل: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة﴾ وقوله عز وجل: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ وقوله عز وجل: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾ وقوله عز وجل: ﴿." <الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/١٨>

"إلى تفهمها وعدها من أفضل ما أهدى صاحب إلى صاحبه، فإن غير هذا من جريانات الركب الخيرية وان تطلعت النفوس إليها ففائدتها قليلة وهي في غاية الرخص لكثرة جالبها، وإنما الهدية النافعة كلمة يهديها الرجل إلى أخيه المسلم.

الموتى الأحياء والأحياء الموتى

ومن أراد هذا السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم في الناس أموات، فإنهم يقطعون عليه طريقه، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة، وأوفق له من هذه المفارقة، فقد قال بعض السلف: شتان بين أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم. فما على العبد أضر من عشائره وأبناء جنسه فنظره قاصر وهمته واقفة عند التشبه بهم، ومباهاتهم **والسلوك** أين سلكوا، حتى لو دخلوا جحر ضب لأحب أن

يدخله معهم.

فمتى صرف همته عن صحبتهم إلى صحبة من أشباحهم مفقودة، ومحاسنهم وآثارهم الجميلة في العالم موجودة، استحدث بذلك همة أخرى وعملا آخر، وصار بين الناس غريبا وإن كان فيهم مشهورا ونسيبا، ولكنه." <الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه ابن القيم ص/٧٤>

"فإن التعريف في قوة الحصر فكأنه قيل الذي لا صراط مستقيم سواه وفهم هذا الاختصاص من اللفظ أقوى من فهم المشاركة فتأمله هنا وفي نظائره

فصل:

وأما المسألة الثالثة: وهي اشتقاق الصراط فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه إذا بلعته بلعا سهلا فسمي الطريق صراطا لأنه يسترط المارة فيه والصراط ما جمع خمسة أوصاف أن يكون طريقا مستقيما سهلا مسلوكا واسعا موصلا إلى المقصود فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطا ولا الصعب المشتق ولا المسدود غير الموصول ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا أعوج الموارد مستقيم

وبنوا الصراط على زنة فعال لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب إلى سائر الباب يأتي لثلاثة معان أحدها: المصدر كالقتال و الضراب والثاني: المفعول نحو الكتاب والبناء والغراس والثالث: أنه يقصد به قصد الآلة التي يحصل بها الفعل ويقع بها كالخمار والغطاء والسداد لما يخمر به ويغطى ويسد به فهذا آلة محضة والمفعول هو الشيء المخمر والمغطى والمسدود ومن هذا القسم الثالث إله بمعنى مألوه وأما ذكره له بلفظ الطريق في سورة الأحقاف خاصة فهذا حكاية الله تعالى لكلام مؤمني الجن أنهم قالوا لقومهم: ﴿إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ وتعبيرهم عنه هاهنا بالطريق فيه نكتة بديعة وهي أنهم قدموا قبله ذكر موسى وأن الكتاب الذي سمعوه مصدقا لما بين يديه من كتاب موسى وغيره فكان فيه كالنبأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لقومه: ﴿ما كنت بدعا من الرسل﴾ أي لم أكن أول." <بدائع الفوائد ابن القيم ١٦/٢>

"في سلوكها أنست واقتحمتها فتأمله

فصل:

وأما المسألة الثانية عشرة: وهي ما وجه تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى مع تلازم وصفي

الغضب والضلال فالجواب أن يقال هذا ليس بتخصيص يقتضي نفي كل صفة عن أصحاب الصفة الأخرى فإن كل مغضوب عليه ضال وكل ضال مغضوب عليه لكن ذكر كل طائفة بأشهر وصفيها وأحقها به وألصقه بها وأن ذلك هو الوصف الغالب عليهما وهذا مطابق لوصف الله اليهود بالغضب في القرآن والنصارى بالضلال فهو تفسير للآية بالصفة التي وصفهم بها في ذلك الموضع أما اليهود فقال تعالى في حقهم: ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾ وفي تكرار هذا الغضب هنا أقوال أحدها: أنه غضب متكرر في مقابلة تكرر كفرهم برسول صلى الله عليه وسلم الله والبغي عليه ومحاربته فاستحقوا بكفرهم غضبا وبالبغي والصد عنه غضبا آخر ونظيره قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ فالعذاب الأول بكفرهم والعذاب الذي زادهم إياه بصدهم الناس عن سبيله القول الثاني: أن الغضب الأول بتحريفهم وتبديلهم وقتلهم الأنبياء والغضب الثاني بكفرهم بالمسيح القول الثالث: أن الغضب الأول بكفرهم بالمسيح والغضب الثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والصحيح في الآية أن التكرار هنا ليس المراد به التثنية التي تشفع الواحد بل المراد غضب بعد غضب بحسب تكرر كفرهم وإفسادهم وقتلهم الأنبياء وكفرهم بالمسيح وبمحمد صلى الله عليه وسلم ومعاداتهم لرسل الله إلى غير ذلك من الأعمال التي كل عمل منها يقتضي." <بدائع الفوائد ابن القيم ٢/٢٩>

"والتكليف وقع بالقصد الثاني كوقوعه في الأسباب المفضية إلى الغايات المطلوبة لا أنه مقصود لذاته فضلا عن أن يكون هو المقصود لا سواه فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من الفكر في مصادرها ومواردها يفتح لك بابا واسعا من العلم والإيمان فتكون من الراسخين في العلم لا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وكما أنها آية شاهدة له على ما وصف به نفسه من صفات الكمال فهي آية شاهدة لرسوله بأنه رسول حقا وأنه أعرف الخلق وأكملهم وأفضلهم وأقواهم إلى الله وسيلة وأنه لم يؤت عبد مثل ما أوتي فوالهفاه على مساعد على **سلوك** هذا الطريق واستفتاح هذا الباب والإفضاء إلى ما وراءه ولو بشطر كلمة بل فوالهفاه على من لا يتصدى لقطع الطريق والصد عن هذا المطلب العظيم ويدع المطي وحاديها ويعطي القوس باريها ولكن إذا عظم المطلوب قل المساعد وكثر المعارض والمعاند وإذا كان الاعتماد على مجرد مواهب الله وفضله يغنيه ما يتحمله المتحمل من أجله فلا يثنك شنآن من صد عن السبيل وصدق ولا تنقطع مع من عجز عن مواصلة السري ووقف فإنما هي مهجة واحدة فانظر فيما تجعل تلفها وعلى من تحتسب خلفها.

أنت القتيل بكل من أحببته ... فانظر لنفسك في الهوى من تصطفي

وأنفق أنفاسك فيما شئت فإن تلك النفقة مردودة بعينها عليك وصائرة لا سواها إليك وبين العبد وبين السعادة والفلاح صبر ساعة لله وتحمل ملامة في سبيل الله.

وما هي إلا ساعة ثم تنقضي ... ويذهب هذا كله ويزول

وقد أطلنا ولكن ما أملنا فإن قلبا فيه أدنى حياة يهتز إذا ذكر الله ورسوله ويود أن لو كان المتكلم كله ألسنة تالية والسامع كله آذانا واعية ومن لم يجد قلبه ثم." <بدائع الفوائد ابن القيم ٢/١٨٠>

"وهو جواب صاحب الكشاف وغيره إن المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن فقالوا مسحور مثل مجنون زائل العقل لا يعقل ما يقول فإن المسحور الذي لا يتبع هو الذي فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول فهو كالمجنون ولهذا قالوا فيه معلم مجنون فأما من أصيب في بده بمرض من الأمراض يصاب به الناس فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من اتباعهم وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين ولهذا قال تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ مثلوك بالشاعر مرة والساحر أخرى والمجنون مرة والمسحور أخرى فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في تيهه وتحيره طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فإن أي طريق أخذها فهي طريق ضلال وحيرة فهو متحير في أمره لا يهتدي سبيلا ولا يقدر على سلوكها فهكذا حال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى ضربوا له أمثالا برأه الله منها وهو أبعد خلق الله منها وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان وأما قولكم إن سحر الأنبياء ينافي حماية الله تعالى لهم فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم وله الحكمة البالغة والنعمة السابغة لا إله غيره ولا رب سواه.." <بدائع الفوائد ابن القيم ٢/٢٢٦>

"من يشاء منهم إلى سلوكه نعمة منه وفضلا، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم لقائه نصب لخلقه صراطا مستقيما يوصلهم إلى جنته، ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا، وأقام عليه من أقامه عليه في الدنيا، نورا ظاهرا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الحشر،

وحفظ عليهم نورهم حتى قطعوه كما حفظ عليهم الإيمان حتى لقوه، وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه، كما أطفأه من قلوبهم في الدنيا.

وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه، وجعل قوة سيرهم وسرعتهم على قدر قوة سيرهم وسرعتهم في الدنيا، ونصب للمؤمنين حوضا يشربون منه بإزاء شربهم من شرعه في الدنيا، وحرم من الشرب منه هناك من حرم الشرب من شرعه ودينه هاهنا.

فانظر إلى الآخرة كأنها رأي عين، وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين، تعلم حينئذ علما يقينا لا شك فيه: أن الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها، وأن منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدهما، وبالله التوفيق.

فمن أعظم عقوبات الذنوب - الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة.

[فصل أصل الذنوب]

فصل

أصل الذنوب

ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة بحسب تفاوتها.

ونحن نذكر فيها بعون الله وحسن توفيقه فصلا وجيزا جامعا، فنقول:

أصلها نوعان: ترك مأمور، وفعل محظور، وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما أبوي الجن والإنس.

وكلاهما ينقسم باعتبار محله إلى ظاهر على الجوارح، وباطن في القلوب.

وباعتبار متعلقه إلى حق الله وحق خلقه.

وإن كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه، لكن سمي حقا للخلق لأنه يجب بمطالبتهم ويسقط بإسقاطهم.." <الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٢٣>

"أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وهذا كثير من أرباب **السلوك** بنوا **سلوكهم** على حفظ الخواطر، وأن لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق العلويات فيها، وهؤلاء حفظوا شيئا وغابت عنهم أشياء، فإنهم أخلوا القلوب من أن يطرقها خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها، فصادفها الشيطان خالية، فبذر فيها الباطل في قوالب أوهمهم أنها أعلى الأشياء وأشرفها، وعوضهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم والهدى، وإذا خلا القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا، فيشغله بما يناسب حال صاحبه،

حيث لم يستطع أن يشغله بالخواطر السفلية، فشغله بإرادة التجريد والفراغ من الإرادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح إلا أن تكون هي المستولية على قلبه، وهي إرادة مراد الله الديني الأمري الذي يحبه ويرضاه، وشغل القلب واهتمامه بمعرفته على التفصيل به، والقيام به، وتنفيذه في الخلق، والتطرق إلى ذلك، والتوسل إليه بالدخول في الخلق لتنفيذه، فيضلهم الشيطان عن ذلك بأن دعاهم إلى تركه وتعطيله من باب الزهد في خواطر الدنيا وأسبابها.

وأوهمهم أن كمالهم في ذلك التجريد والفراغ، وهيهات هيهات، إنما الكمال في امتلاء القلب من الخواطر والإرادات والفكر في تحصيل مراضي الرب تعالى من العبد ومن الناس، والفكر في طرق ذلك والتوصل إليه، فأكمل الناس أكثرهم خواطر وفكرا وإرادات لذلك، كما أن أنقص الناس أكثرهم خواطر وفكرا وإرادات لحظوظه وهواه أين كانت، والله المستعان.

وهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كانت تتزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى، فربما استعملها في صلاته، فكان يجهز جيشه وهو في الصلاة، فيكون قد جمع بين الجهاد والصلاة، وهذا من باب تداخل العبادات في العبادة الواحدة، وهو من باب عزيز شريف، لا يدخل منه إلا صادق حاذق الطلب، متضلع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

[فصل اللفظة]

وأما اللفظات: فحفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة، بل لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح، نظر: هل تفوته بها كلمة أربح منها، فلا يضيعها بهذه، وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب، فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب، شاء صاحبه أم أبى.." <الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٥٨>

"الأمور وبواطنها وإحاطة بصره بمرئياتها وسمعه بمسموعاتها وعلمه بمعلوماتها ووصفه بشدة البطش المتضمن لكمال القوة والعزة والقدرة وتفرده بالإبداء والإعادة المتضمن لتوحيد ربوبيته وتصرفه في المخلوقات بالإبداء والإعادة وانقيادها لقدرته فلا يستعصى عليه منها شيء ووصفه بالمغفرة المتضمن لكمال جوده وإحسانه وغناه ورحمته ووصفه بالودود المتضمن لكونه حبيبا إلى عباده محبا لهم ووصفه بأنه ذو العرش الذي لا يقدر قدره سواه وأن عرشه المختص به لا يليق بغيره أن يستوى عليه ووصفه بالمجد المتضمن

لسعة العلم والقدرة والملك والغنى والجود والإحسان والكرم وكونه فعالا لما يريد المتضمن لحياته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته وغير ذلك من أوصاف كماله

فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين تكفي من فهمها

فالحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده

ثم ختمها بذكر فعله وعقوبته بمن أشرك به وكذب رسله تحذيرا لعباده من **سلوك** سبيلهم وأن من فعل فعلهم فعل به كما فعل بهم ثم اخبر عن أعدائه بأنهم مكذبون بتوحيده ورسالاته مع كونهم في قبضته وهو محيط بهم ولا أسوأ حالا ممن عادى من هو في قبضته ومن هو قادر عليه من كل وجه وبكل اعتبار." <التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/٩٨>

"أحدهما: أنه من باب إضافة النوع إلى جنسه، أى أعوذ بك من هذا النوع من الأعمال.

والثانى: أن المراد به عقوبات الأعمال التى تسوء صاحبها.

فعلى الأول: يكون قد استعاذ من صفة النفس وعملها.

وعلى الثانى: يكون قد استعاذ من العقوبات وأسبابها.

ويدخل العمل السيئ فى شر النفس. فهل المعنى: ما يسوءنى من جزاء عملى، أو من عملى السيئ؟ وقد يترجح الأول، فإن الاستعاذة من العمل السيئ بعد وقوعه إنما هى استعاذة من جزائه وموجبه، وإلا فالموجود لا يمكن رفعه بعينه.

وقد اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم، وتباين **سلوكهم** على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها وتركها بمخالفتها والظفر بها. فإن الناس على قسمين: قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها. وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها، فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم.

قال بعض العارفين: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم. فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك. قال تعالى:

﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١] .

فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى. والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعى مرة وإلى هذا مرة وهذا موضع المحنة والابتلاء، وقد وصف سبحانه

النفس فى القرآن بثلاث صفات: المطمئنة، والأمارة بالسوء، واللوامة.
فاختلف الناس: هل النفس واحدة، وهذه أوصاف لها؟ أم للعبد ثلاث أنفس؟: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة.
فالأول قول الفقهاء والمتكلمين وجمهور المفسرين وقول محققى الصوفية.
والثانى قول كثير من أهل التصوف.." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/٧٥>
"الباب الثانى عشر: فى علاج مرض القلب بالشيطان
هذا الباب من أهم أبواب الكتاب وأعظمها نفعا، والمتأخرون من أرباب **السلوك** لم يعتنوا به اعتناءهم بذكر النفس وعيوبها وآفاتها، فإنهم توسعوا في ذلك، وقصروا فى هذا الباب.
ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس، فإن النفس المذمومة ذكرت فى قوله: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣] .
واللوامة فى قوله: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: ٢] .
وذكرت النفس المذمومة فى قوله: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠] .
وأما الشيطان فذكر فى عدة مواضع، وأفردت له سورة تامة. فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس، وهذا هو الذى لا ينبغي غيره، فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته، فهى مركبه وموضع شره، ومحل طاعته، وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن وغير ذلك، وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس فى موضع واحد، وإنما جاءت الاستعاذة من شرها فى خطبة الحاجة فى قوله صلى الله عليه وسلم: "ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا".
كما تقدم ذلك فى الباب الذى قبله.
وقد جمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين الاستعاذة من الأمرين فى الحديث الذى رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضى الله عنه:
"أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال: يا رسول الله، علمنى شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك".." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/٩٠>

"فصل

ومن كيده بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية فى المناهج الفلسفية، والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق يونان، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان والدين، كإخراج الشعرة من العجين.

فصل

ومن كيده: ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم فى قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم فى أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقا إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العيان، وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن. فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق والتجافى عما عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم، فلما خلا من صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفا وعيانا، فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل عن النهار، ثم أحالهم فى **سلوكهم** على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها عن الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان.

فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات، وأنواع." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/١١٩>

"دهرا طويلا، حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر، وجاءه منها ولد ثم إنه حنث فى يمين حلفها ففرق بينهما وردت إلى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها.

وبلغنى عن آخر أنه كان شديد التنطع فى التلفظ بالنية والتقعر فى ذلك، فاشتد به التنطع والتقعر يوما إلى أن قال: أصلى، أصلى، مرارا، صلاة كذا وكذا. وأراد أن يقول: أداء، فأعجم الدال، وقال: أذاء لله. فقطع

الصلاة رجل إلى جانبه، فقال: ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين.

قال: ومنهم من يتوسوس فى إخراج الحرف حتى يكرره مرارا.

قال: فرأيت منهم من يقول: الله أكبر. قال: وقال لى إنسان منهم: قد عجزت عن قول السلام عليكم، فقلت له: قل مثل ما قد قلت الآن، وقد استرحت.

وقد بلغ الشيطان منهم أن عذبهم فى الدنيا قبل الآخرة، وأخرجهم عن اتباع الرسول وأدخلهم فى جملة أهل التنطع والغلو، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق فى اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله وفعله، وليعزم على **سلوك** طريقة عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدو له لا يدعوه إلى خير.

﴿إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر: ٦] . وليترك التعريج على كل ما خالف طريقة رسول الله عليه الصلاة والسلام كائنا ما كان، فإنه لا يشك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان على الصراط المستقيم. ومن شك فى هذا فليس بمسلم. ومن علمه فإلى أين العدول عن سنته؟ وأى شيء يبتغى العبد غير طريقته؟ ويقول لنفسه: ألست تعلمين أن طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هى الصراط المستقيم؟ فإذا قالت له: بلى، قال لها: فهل كان يفعل هذا؟ فستقول: لا، فقل لها: فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار؟ وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان؟ فإن اتبعت." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/١٣٥>

"وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مقاصده، جزم جزما لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهى بصيغتيه: صيغة "لا تفعلوا" وصيغة "إنى أنهاكم" ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم فى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. فإن هذا وأمثاله من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه. فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابا لنهيه وغرهم الشيطان. فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين. وكلما كنتم أشد لها تعظيما، وأشد فيهم غلوا، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد.

ولعمر الله، من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ

كانوا إلى يوم القيامة. فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن فى طريقتهم وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم التى أنزلهم الله إياها: من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم. وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم.

فأما المشركون فعصوا أمرهم، وتنقصوهم فى صورة التعظيم لهم. قال الشافعى: "أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا، مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس".

وممن علل بالشرك ومشابهة اليهود والنصارى: الأثرم فى كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه فقال- بعد أن ذكر حديث أبى سعيد أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "جعلت لى الأرض مسجدا إلا المقبرة والحمام" وحديث زيد بن جبير عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر: أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "نهى عن الصلاة فى سبع مواطن، وذكر منها المقبرة" قال الأثرم: إنما كرهت الصلاة فى المقبرة للتشبه بأهل الكتاب، لأنهم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد".." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/١٨٩>

"وأن لا يعبد إلا الله. فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، وقالوا: قد تنقص أهل الرتب العالية. وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر. ويسرى ذلك فى نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم. ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك. فما كانوا أولياءه، وإن أولياؤه إلا المتبعون له الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، لابسو ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ويبغونها عوجا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فصل

ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم، صراط أهل نعمته ورحمته وكرامته أن النهى عن اتخاذ القبور أوثانا وأعيادا وأنصابا، والنهى عن اتخاذها مساجد، أو بناء المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها: غض من أصحابها، ولا تنقيص لهم، ولا تنقص كما يحسبه أهل الإشراك والضلال. بل ذلك من إكرامهم وتعظيمهم واحترامهم، ومتابعتهم فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه. فأنت والله وليهم ومحبهم، وناصر طريقهم وسنتهم، وعلى هديهم ومنهاجهم. وهؤلاء المشركون أعصى الناس لهم، وأبعدهم من هديهم ومتابعتهم. كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى عليهما السلام، والرافضة مع على رضى الله عنه. فأهل الحق أولى بأهل الحق من أهل

الباطل، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض.

فاعلم أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه. وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هى باتباع ما دعو إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، **وسلوك** طريقتهم دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أعيادا.." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/٢١٣>

"واحكم فأى الخمرتين أحق بالتحريم، والتأثيم عند الله؟

وقال آخر:

برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض من سماع الغنا

وكم قلت ياقوم، أنتم على ... شفا جرف مابه من بنا

شفا جرف تحته هوة ... إلى درك، كم به من عنا

وتكرار النصح منا لهم ... لنعذر فيهم إلى ربنا

فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا إلى الله فى أمرنا

فعشنا على سنة المصطفى ... وماتوا على تنتنا تنتنا

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى، تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من **سلوك** سبيلهم، واقتفاء آثارهم من، جميع طوائف الملة.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشى فى خطبة كتابه، فى تحريم السماع:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ونسأله أن يرينا الحق حقا فنتبعه، والباطل باطلا فنجتنبه. وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتى المعصية جهارا، ثم ازداد الأمر إدبارا، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين- وفقنا الله وإياهم- استزلهم الشيطان، واستغوى عقولهم فى حب الأغانى واللهو، وسماع الطقطقة والنقير، واعتقدته من الدين الذى يقربهم إلى الله وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء: ١١٥] . فرأيت أن أوضح الحق، وأكشف عن شبه أهل الباطل، بالحجج التى تضمنها كتاب الله، وسنة رسوله، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم فى أقاصى الأرض ودانيها، حتى

تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين فى بدعتها. والله ولى التوفيق.

ثم قال: أما مالك فإنه نهى عن الغناء، وعن استماعه، وقال: "إذا اشترى جارية فوجدها مغنية له أن يردها بالعيب".." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/٢٢٦>

"فإن الرأى رأيان: رأى يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذى اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأى يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذى ذموه وأنكروه. وكذلك الحيل نوعان: نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغى، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالما، والظالم مظلوما، والحق باطلا والباطل حقا، فهذا النوع الذى اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

وقال الإمام أحمد رحمة الله: لا يجوز شئ من الحيل فى إبطال حق مسلم.

وقال الميمونى: قلت لأبى عبد الله: من حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فهل تجوز تلك الحيلة؟ قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز. قلت: أليس حيلتنا فيها أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولا فى شئ اتبعناه؟ قال: بلى هكذا هو. قلت: أو ليس هذا منا نحن حيلة؟ قال: نعم.

فبين الإمام أحمد أن من اتبع ما شرعه الله له وجاء عن السلف فى معانى الأسماء التى علقت بها الأحكام ليس بمحتال الحيل المذمومة.. وإن سميت حيلة فليس الكلام فيها.

وغرض الإمام أحمد بهذا: الفرق بين **سلوك** الطريق المشروعة التى شرعت لحصول مقصود الشارع، وبين الطريق التى تسلك لإبطال مقصوده.

فهذا هو سر الفرق بين النوعين، وكلامنا الآن فى النوع الثانى.

قال شيخنا: فالدليل على تحريم هذا النوع وإبطاله من وجوه:

الوجه الأول: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله." <إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/٣٣٩>

"بمقلد، وإن كان لم يعرف ما أنزل الله على رسوله فهو جاهل ضال بإقراره على نفسه، فمن أين يعرف أنه على هدى في تقليده؟ وهذا جواب كل سؤال يوردونه في هذا الباب وأنهم [إن كانوا] إنما يقلدون أهل الهدى فهم في تقليدهم على هدى.

فإن قيل: فأنتم تقرون أن الأئمة المقلدين في الدين على هدى، فمقلدوهم على هدى قطعا؛ لأنهم سالكون خلفهم.

قيل: سلوكهم خلفهم مبطل لتقليدهم لهم قطعا؛ فإن طريقتهم كانت اتباع الحجة والنهي عن تقليدهم كما سنذكره عنهم إن شاء الله، فمن ترك الحجة وارتكب ما نهوا عنه ونهى الله ورسوله عنه قبلهم فليس على طريقتهم وهو من المخالفين لهم. وإنما يكون على طريقتهم من اتبع الحجة، وانقاد للدليل، ولم يتخذ رجلا بعينه سوى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجعله مختارا على الكتاب والسنة يعرضهما على قوله. وبهذا يظهر بطلان فهم من جعل التقليد اتباعا، وإيهامه وتلبيسه، بل هو مخالف للإتباع. وقد فرق الله ورسوله وأهل العلم بينهما كما فرقت الحقائق بينهما، فإن الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به. [الفرق بين الاتباع والتقليد] .

قال أبو عمر في الجامع: باب فساد التقليد ونفيه، والفرق بينه وبين الإتباع، قول أبو عمر: قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] روي عن حذيفة وغيره قال: لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم.

وقال عدي بن حاتم: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب، فقال: «يا عدي ألق هذا الوثن من عنقك، وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] قال: فقلت: يا رسول الله إنا لم نتخذهم أربابا، قال: بلى، أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم»
.

قلت: الحديث في المسند والترمذي مطولا.

وقال أبو البختري في قوله عز وجل: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية.

وقال وكيع: ثنا سفيان والأعمش جميعا عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي ثابت عن أبي البختري." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٢/١٣١<

"وأما سلوكهم ضد طريق أهل العلم فإن طريقهم طلب أقوال العلماء وضبطها والنظر فيها وعرضها على القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال خلفائه الراشدين، فما وافق ذلك

منهم قبلوه، ودانوا الله به، وقضوا به، وأفتوا به، وما خالف ذلك منها لم يلتفتوا إليه، وردوه، وما لم يتبين لهم كان عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها أن تكون سائغة الاتباع لا واجبة الاتباع، من غير أن يلزموا بها أحدا، ولا يقولوا: إنها الحق دون ما خالفها، هذه طريقة أهل العلم سلفا وخلفا، وأما هؤلاء الخلف فعكسوا الطريق، وقلبوا أوضاع الدين، فزيفوا كتاب الله وسنة رسوله وأقوال خلفائه وأصحابه، فعرضوها على أقوال من قلدوه، فما وافقها منها قالوا لنا وانقادوا له مذعنين، وما خالف أقوال متبوعهم منها قالوا: احتج الخصم بكذا وكذا، ولم يقبلوه، ولم يدينوا به.

واحتال فضلاؤهم في ردها بكل ممكن، وتطلبوا لها وجوه الحيل التي تردها، حتى إذا كانت موافقة لمذاهبهم وكانت تلك الوجوه بعينها قائمة فيها شنعوا على منازعهم، وأنكروا عليه ردها بتلك الوجوه بعينها، وقالوا: لا ترد النصوص بمثل هذا، ومن له همة تسمو إلى الله ومرضاته ونصر الحق الذي بعث الله به رسوله أين كان ومع من كان لا يرضى لنفسه بمثل هذا المسلك الوخيم والخلق الذميم.

[ذم الله الذين فرقوا دينهم]

الوجه الحادي والعشرون: إن الله سبحانه ذم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] وهؤلاء هم أهل التقليد بأعيانهم، بخلاف أهل العلم؛ فإنهم وإن اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعا، بل شيعة واحدة متفقة على طلب الحق، وإيثاره عند ظهوره، وتقديمه على كل ما سواه، فهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم؛ فالطريق واحد، والقصد واحد، والمقلدون بالعكس: مقاصدهم شتى، وطرقهم مختلفة، فليسوا مع الأئمة في القصد ولا في الطريق.

[ذم الله الذين تقطعوا أمرهم زبرا]

الوجه الثاني والعشرون: أن الله سبحانه ذم الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون، والزبر: الكتب المصنفة التي رغبوا بها عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله، فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ [المؤمنون: ٥١] ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [المؤمنون: ٥٢] ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] فأمر تعالى الرسل بما أمر به أممهم: أن يأكلوا من." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٢/١٦٠>

"أولو الأمر تبعا، وليس كذلك، بل طاعته واجبة استقلالا، سواء كان ما أمر به ونهى عنه في القرآن أو لم يكن.

[الثناء على التابعين، ومعنى كونهم تابعين]

الوجه الثالث والأربعون: قولهم: إن الله – سبحانه وتعالى – أثنى على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وتقليدهم هو اتباعهم بإحسان، فما أصدق المقدمة الأولى، وما أكذب الثانية، بل الآية من أعظم الأدلة ردا على فرقة التقليد؛ فإن اتباعهم هو **سلوك** سبيلهم ومنهاجهم، وقد نهوا عن التقليد وكون الرجل إمعة، وأخبروا أنه ليس من أهل البصيرة، ولم يكن فيهم – ولله الحمد – رجل واحد على مذهب هؤلاء المقلدين، وقد أعاذهم الله وعافاهم مما ابتلى به من يرد النصوص لآراء الرجال وتقليدها؛ فهذا ضد متابعتهم، وهو نفس مخالفتهم؛ فالتابعون لهم بإحسان حقا هم أولو العلم والبصائر الذين لا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله رأيا ولا قياسا ولا معقولا ولا قول أحد من العالمين، ولا يجعلون مذهب أحد عيارا على القرآن والسنن؛ فهؤلاء أتباعهم حقا، جعلنا الله منهم بفضله ورحمته.

[من هم أتباع الأئمة]

يوضحه الوجه الرابع والأربعون: أن أتباعهم لو كانوا هم المقلدين الذين هم مقرون على أنفسهم وجميع أهل العلم أنهم ليسوا من أولي العلم لكان سادات العلماء الدائرون مع الحجة ليسوا من أتباعهم، والجهال أسعد بأتباعهم منهم، وهذا عين المحال، بل من خالف واحدا منهم للحجة فهو المتبع له، دون من أخذ قوله بغير حجة، وهكذا القول في أتباع الأئمة – رضي الله عنهم – معاذ الله أن يكونوا هم المقلدين لهم الذين ينزلون آراءهم منزلة النصوص، بل يتركون لها النصوص؛ فهؤلاء ليسوا من أتباعهم، وإنما أتباعهم من كان على طريقتهم واقتفى منهاجهم.

ولقد أنكر بعض المقلدين على شيخ الإسلام في تدريسه بمدرسة ابن الحنبلي وهي وقف على الحنابلة، والمجتهد ليس منهم، فقال: إنما أتناول ما أتناوله منها على معرفتي بمذهب أحمد، لا على تقليدي له، ومن المحال أن يكون هؤلاء المتأخرون على مذهب الأئمة دون أصحابهم الذين لم يكونوا يقلدونهم، فأتبع الناس لمالك ابن وهب وطبقته ممن يحكم الحجة وينقاد للدليل أين كان، وكذلك أبو يوسف ومحمد أتبع لأبي حنيفة من المقلدين له مع كثرة مخالفتهما له، وكذلك البخاري ومسلم وأبو داود والأثرم وهذه الطبقة."

<إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٢/١٧٠>

"عند كثرة الاختلاف بسنته وسنة خلفائه، وأمرتم أنتم برأي فلان ومذهب فلان.

الثاني: أنه حذر من محدثات الأمور، وأخبر أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ومن المعلوم بالاضطرار أن ما أنتم عليه من التقليد الذي ترك له كتاب الله وسنة رسوله ويعرض القرآن والسنة عليه ويجعل معيارا عليهما من أعظم المحدثات والبدع التي برأ الله سبحانه القرون التي فضلها وخيرها على غيرها.

وبالجملة فما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم للأمة فهو حجة لا يجوز العدول عنها، فأين هذا من قول فرقة التقليد: ليست سنتهم حجة، ولا يجوز تقليدهم فيها؟ .

[أخبر الرسول أنه سيحدث اختلاف كثير]

يوضحه الوجه الحادي والخمسون: أنه - صلى الله عليه وسلم - قال في نفس هذا الحديث: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا» وهذا ذم للمختلفين، وتحذير من سلوك سبيلهم، وإنما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله، وهم الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا، كل فرقة تنصر متبوعها، وتدعو إليه، وتذم من خالفها، ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة أخرى سواهم، يدأبون ويكدحون في الرد عليهم، ويقولون: كتبهم، وكتبنا وأئمتهم وأئمتنا، ومذهبهم ومذهبنا.

هذا والنبي واحد والقرآن واحد والدين واحد والرب واحد؛ فالواجب على الجميع أن ينقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم، وأن لا يطيعوا إلا الرسول، ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه، ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله؛ فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم لمن دعاه إلى الله ورسوله وتحاكموا كلهم إلى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وإن لم يعدم من الأرض؛ ولهذا تجد أقل الناس اختلافا أهل السنة والحديث؛ فليس على وجه الأرض طائفة أكثر اتفاقا وأقل اختلافا منهم لما بنوا على هذا الأصل، وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد كان اختلافهم في أنفسهم أشد وأكثر، فإن من رد الحق مرج عليه أمره واختلط عليه والتبس عليه وجه الصواب فلم يدر أين يذهب، كما قال تعالى: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾ [ق: ٥] .

[فصل أمر عمر شريحا بتقديم الكتاب ثم السنة]

[أمر عمر شريحا بتقديم الكتاب ثم السنة]

الوجه الثاني والخمسون: قولكم إن عمر كتب إلى شريح: " أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبما في سنة رسول الله، فإن لم يكن في سنة رسول الله فبما قضى به الصالحون " فهذا من أظهر الحجج عليكم على بطلان التقليد؛ فإنه أمره أن يقدم." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٢/١٧٣>

"الحكم بالكتاب على كل ما سواه، فإن لم يجده في الكتاب ووجده في السنة لم يلتفت إلى غيرها، فإن لم يجده في السنة قضى بما قضى به الصحابة.

ونحن نناشد الله فرقة التقليد: هل هم كذلك أو قريبا من ذلك؟ وهل إذا نزلت بهم نازلة حدث أحد منهم نفسه أن يأخذ حكمها من كتاب الله ثم ينفذه، فإن لم يجدها في كتاب الله أخذها من سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإن لم يجدها في السنة أفتى فيها بما أفتى به الصحابة؟ والله يشهد عليكم وملائكته وهم شاهدون على أنفسهم بأنهم إنما يأخذون حكمها من قول من قلدوه، وإن استبان لهم في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة خلاف ذلك لم يلتفتوا إليه، ولم يأخذوا بشيء منه إلا بقول من قلدوه؛ فكتاب عمر من أبطل الأشياء وأكسرها لقولهم، وهذا كان سير السلف المستقيم وهديهم القويم.

[طريق المتأخرين في أخذ الأحكام]

فلما انتهت النوبة إلى المتأخرين ساروا عكس هذا السير، وقالوا: إذا نزلت النازلة بالمفتي أو الحاكم فعليه أن ينظر أولا: هل فيها اختلاف أم لا؟ فإن لم يكن فيها اختلاف لم ينظر في كتاب ولا في سنة، بل يفتي ويقضي فيها بالإجماع، وإن كان فيها اختلاف اجتهد في أقرب الأقوال إلى الدليل فأفتى به وحكم به.

وهذا خلاف ما دل عليه حديث معاذ وكتاب عمر وأقوال الصحابة. والذي دل عليه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة أولى فإنه مقدور مأمور، فإن علم المجتهد بما دل عليه القرآن والسنة أسهل عليه بكثير من علمه باتفاق الناس في شرق الأرض وغربها على الحكم.

وهذا إن لم يكن متعذرا فهو أصعب شيء وأشقه إلا فيما هو من لوازم الإسلام، فكيف يحيلنا الله ورسوله على ما لا وصول لنا إليه ويترك الحوالة على كتابه وسنة رسوله اللذين هدانا بهما، ويسرهما لنا، وجعل لنا إلى معرفتهما طريقا سهلة التناول من قرب؟ ثم ما يدريه فلعل الناس اختلفوا وهو لا يعلم، وليس عدم العلم بالنزاع علما بعدمه، فكيف يقدم عدم العلم على أصل العلم كله؟ ثم كيف يسوغ له ترك الحق المعلوم إلى أمر لا علم له به وغايته أن يكون موهوما، وأحسن أحواله أن يكون مشكوكا فيه شكا متساويا أو راجحا؟ ثم كيف يستقيم هذا على رأي من يقول: انقراض عصر المجمعين شرط في صحة الإجماع؟ فما لم ينقرض عصرهم فلمن نشأ في زمنهم أن يخالفهم، فصاحب هذا **السلوك** لا يمكنه أن يحتج بالإجماع حتى يعلم أن العصر انقرض ولم ينشأ فيه مخالف لأهله؟ وهل أحال الله الأمة في الاهتداء بكتابه وسنة رسوله على ما لا سبيل لهم إليه ولا اطلاع لأفرادهم عليه؟ وترك إحالتهم على ما هو بين أظهرهم حجة عليهم باقية إلى آخر الدهر متمكنون من الاهتداء به ومعرفة الحق منه، وهذا من أمحل المحال،." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٢/١٧٤>

"تنازعوا فيه إلى القرآن والسنة، وأما من رد ما تنازعوا فيه إلى قول متبوعه دون غيره فكيف يكون أقرب إلى الصواب؟ ،

الوجه الخامس: أن المثال الذي مثلتم به من أكبر الحجج عليكم؛ فإن من أراد شراء سلعة أو سلوك طريق حين اختلف عليه اثنان أو أكثر، وكل منهم يأمره بخلاف ما يأمره به الآخر، فإنه لا يقدم على تقليد واحد منهم، بل يبقى مترددا طالبا للصواب من أقوالهم؛ فلو أقدم على قبول قول أحدهم مع مساواة الآخر له في المعرفة والنصيحة والديانة أو كونه فوقه في ذلك عد مخاطرا مذموما ولم يمدح إن أصاب، وقد جعل الله في فطر العقلاء في مثل هذا أن يتوقف أحدهم ويطلب ترجيح قول المختلفين عليه من خارج حتى يستبين له الصواب، ولم يجعل في فطرهم الهجم على قبول قول واحد واطراح قول من عداه.

الوجه السابع والسبعون: أن نقول لطائفة المقلدين: هل تسوغون تقليد كل عالم من السلف والخلف أو تقليد بعضهم دون بعض؟ فإن سوغتم تقليد الجميع كان تسويغكم لتقليد من انتميتم إلى مذهبه كتسويغكم لتقليد غيره سواء، فكيف صارت أقوال هذا العالم مذهبا لكم تفتون وتقضون بها وقد سوغتم من تقليد هذا ما سوغتم من تقليد الآخر؟ فكيف صار هذا صاحب مذهبكم دون هذا؟ وكيف استجزتم أن تردوا أقوال هذا وتقبلوا أقوال هذا وكلاهما عالم يسوغ اتباعه؟ فإن كانت أقواله من الدين فكيف ساغ لكم دفع الدين؟ وإن لم تكن أقواله من الدين فكيف سوغتم تقليده؟ وهذا لا جواب لكم عنه.

[مجيء روايتين عن أحد الأئمة كمجيء قولين لإمامين]

[مجيء روايتين عن أحد الأئمة كمجيء قولين لإمامين] : يوضحه الوجه الثامن والسبعون: أن من قلدتموه إذا روي عنه قولان وروايتان سوغتم العمل بهما، وقلتم: مجتهد له قولان؛ فيسوغ لنا الأخذ بهذا وهذا، وكان القولان جميعا مذهبا لكم، فهلا جعلتم قول نظيره من المجتهدين بمنزلة قوله الآخر وجعلتم القولين جميعا مذهبا لكم، وربما كان قول نظيره ومن هو أعلم منه أرجح من قوله الآخر وأقرب إلى الكتاب والسنة؟ يوضحه الوجه التاسع والسبعون: أنكم معاشر المقلدين إذا قال بعض أصحابكم ممن قلدتموه قولا خلاف قول المتبوع أو خرجه على قوله جعلتموه وجها وقضيتم وأفتيتم به وألزمتم بمقتضاه، فإذا قال الإمام الذي هو نظير متبوعكم أو فوقه قولا يخالفه لم تلتفتوا إليه ولم تعدوه شيئا، ومعلوم أن واحدا من الأئمة الذين هم نظير متبوعكم أجل من جميع أصحابه من أولهم إلى آخرهم، فقدروا أسوأ المقادير أن يكون قوله بمنزلة وجه في." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ١٩٥/٢>

"وإسقاط فرائضه، وإبطال حقوق عباده؛ فهذا النوع هو الذي يفوت أفراد الأدلة على تحريمه الحصر.

فصل [الجواب على أن العقود حيل] : وأما قولكم: " جعل العقود حيلا على التوصل إلى ما لا يباح إلا بها - إلى آخره " فهذا موضع الكلام في الحيل، وانقسامها إلى أحكامها الخمسة، فنقول: ليس كل ما يسمى حيلة حراما، قال الله تعالى: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾ [النساء: ٩٨] أراد بالحيلة التحيل على التخلص من بين الكفار، وهذه حيلة محمودة يثاب عليها، وكذلك الحيلة على هزيمة الكفار، كما فعل نعيم بن مسعود يوم الخندق، أو على تخليص ماله منهم كما فعل الحجاج بن علاط بامرأته، وكذلك الحيلة على قتل رأس من رءوس أعداء الله كما فعل الذين قتلوا ابن أبي الحقيق اليهودي. وكعب بن الأشرف وأبا رافع وغيرهم؛ فكل هذه حيل محمودة محبوبة لله ومرضية له.

[فصل اشتقاق الحيلة وبيان معناها]

[اشتقاق الحيلة وبيان معناها]

والحيلة: مشتقة من التحول، وهي النوع والحالة كالجلسة والقعدة والركبة فإنها بالكسر للحالة، وبالفتح للمرة، كما قيل: الفعلة للمرة، والفعلة للحالة، والمفعل للموضع، والمفعل للآلة، وهي من ذوات الواو، فإنها من التحول من حال يحول، وإنما انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهو قلب مقيس مطرد في كلامهم، نحو ميزان وميقات وميعاد؛ فإنها مفعال من الوزن والوقت والوعد، فالحيلة هي نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة؛ فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرا جائزا أو محرما، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعا أو عقلا أو عادة فهذا هو الغالب عليها في عرف الناس؛ فإنهم يقولون: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل، وفلان يعلم الناس الحيل، وهذا من استعمال المطلق في بعض أنواعه كالدابة والحيوان وغيرهما.." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ١٨٨/٣>

"ويوضحه الوجه السابع: أن الخلع إن قيل " إنه طلاق " فقد اتفقا على الطلاق بعوض لمصلحة لهما في ذلك، فما الذي يحرمه؟ وإن قيل " إنه فسخ " فلا ريب أن النكاح من العقود اللازمة، والعقد اللازم إذا اتفق المتعاقدان على فسخه ورفعه لم يمنعا من ذلك، إلا أن يكون العقد حقا لله، والنكاح محض حقهما،

فلا يمنعان من الاتفاق على فسخه.

الوجه الثامن: أن الآية اقتضت جواز الخلع إذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله، فكان الخلع طريقا إلى تمكنهما من إقامة حدود الله، وهي حقوقه الواجبة عليهما في النكاح، فإذا كان الخلع مع استقامة الحال طريقا إلى تمكنهما من إقامة حدوده التي تعطل ولا بد بدون الخلع تعين الخلع حينئذ طريقا إلى إقامتها.

فإن قيل: لا يتعين الخلع طريقا، بل هاهنا طريقان آخران، أحدهما: مفارقتهما، والثاني: عدم إلزام الطلاق بالحنث إذا أخرجه مخرج اليمين إما بكفارة أو بدونها، كما هي ثلاثة أقوال للسلف معروفة صرح بها أبو محمد بن حزم وغيره.

قيل: نعم هذان طريقان، ولكن إذا أحكم سدهما غاية الإحكام، لم يمكنه سلوك أحدهما، وأيهما سلك ترتب عليه غاية الضرر في دينه ودنياه لم يحرم عليه - والحالة هذه - سلوك طريق الخلع، وتعين في حقه طريقان: إما طريق الخلع، وإما سلوك طريق أرباب اللعنة.

وهذه المواضع وأمثالها لا تحتملها إلا العقول الواسعة التي لها إشراف على أسرار الشريعة ومقاصدها وحكمها، وأما عقل لا يتسع لغير تقليد من اتفق له تقليده وترك جميع أقوال أهل العلم لقوله فليس الكلام معه.

الوجه التاسع: أن غاية ما منع المانعون من صحة هذا الخلع أنه حيلة، والحيل باطلة؛ ومنازعوهم ينازعونهم في كلتا المقدمتين، فيقولون: الاعتبار في العقود بصورها دون نياتها ومقاصدها، فليس لنا أن نسأل الزوج إذا أراد خلع امرأته: ما أردت بالخلع؟ وما السبب الذي حملك عليه؟ هل هو المشاقة أو التخلص من اليمين؟ بل نجري حكم التخالع على ظاهره، ونكل سرائر الزوجين إلى الله، قالوا: ولو ظهر لنا قصد الحيلة فالشأن في المقدمة الثانية، فليس كل حيلة باطلة محرمة، وهل هذا الفصل الطويل الذي نحن فيه إلا في أقسام الحيل؟ والحيلة المحرمة الباطلة هي التي تتضمن تحليل ما حرمه الله أو تحريم ما أحله الله أو إسقاط ما أوجبه؟ وأما حيلة تتضمن الخلاص من الآصار والأغلال." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٤/٨٦<

"أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محمودا على ذلك، وأن يستحق الرضوان، ولو كان اتباعهم تقليدا محضا كتقليد بعض المفتين لم يستحق من اتبعهم الرضوان إلا أن يكون عاميا، فأما العلماء المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم حينئذ.

فإن قيل: اتباعهم هو أن يقول ما قالوا بالدليل، وهو سلوك سبيل الاجتهاد؛ لأنهم إنما قالوا بالاجتهاد،

والدليل عليه قوله ﴿بإحسان﴾ [التوبة: ١٠٠] ومن قلدهم لم يتبعهم بإحسان لأنه لو كان مطلق الاتباع محمودا لم يفرق بين الاتباع بإحسان أو بغير إحسان، وأيضا فيجوز أن يراد به اتباعهم في أصول الدين، وقوله ﴿بإحسان﴾ [التوبة: ١٠٠] أي بالتزام الفرائض واجتناب المحارم، ويكون المقصود أن السابقين قد وجب لهم الرضوان، وإن أساءوا؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم – «وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ، وأيضا فالثناء على من اتبعهم كلهم، وذلك اتباعهم فيما أجمعوا عليه، وأيضا فالثناء على من اتبعهم لا يقتضي وجوبه، وإنما يدل على جواز تقليدهم، وذلك دليل جواز تقليد العالم كما هو مذهب طائفة من العلماء، أو تقليد الأعلم كقول طائفة أخرى.

أما الدليل على وجوب اتباعهم فليس في الآية ما يقتضيه. فالجواب من وجوه: أحدها: أن الاتباع لا يستلزم الاجتهاد لوجوه، أحدها: أن الاتباع المأمور به في القرآن كقوله ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ [النساء: ١١٥] ونحوه لا يتوقف على الاستدلال على صحة القول مع الاستغناء عن القائل؛ الثاني: أنه لو كان المراد اتباعهم في الاستدلال والاجتهاد لم يكن فرق بين السابقين وبين جميع الخلائق؛ لأن اتباع موجب الدليل يجب أن يتبع فيه كل أحد، فمن قال قولا بدليل صحيح وجب موافقته فيه؛ الثالث: أنه إما أن تجوز مخالفتهم في قولهم بعد الاستدلال أو لا تجوز، فإن لم تجز فهو المطلوب، وإن جازت مخالفتهم فقد خولفوا في خصوص الحكم واتبعوا في أحسن الاستدلال، فليس جعل من فعل ذلك متبعا لموافقتهم في الاستدلال بأولى من جعله مخالفا لمخالفته في عين الحكم؛ الرابع: أن من خالفهم في الحكم الذي أفتوا به لا يكون متبعا لهم أصلا، بدليل أن من خالف مجتهدا من المجتهدين في مسألة بعد اجتهاد لا يصح أن يقال " اتبعه "، وإن أطلق ذلك فلا بد من تقييده بأن يقال اتبعه في الاستدلال أو الاجتهاد. الخامس: أن الاتباع افتعال من اتبع، وكون الإنسان تابعا لغيره نوع افتقار إليه ومشي خلفه، وكل واحد." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٤/٩٥>

"واجب، والسؤال عنه بدعة، فلتجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤] وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا، انتهى كلامه.

وقال أبو حامد الغزالي: الصواب للخلف سلوك مسلك السلف في الإيمان المرسل والتصديق المجمل، وما قاله الله ورسوله، بلا بحث وتفتيش.

وقال في كتاب التفرقة: الحق الاتباع والكف عن تغيير الظاهر رأسا، والحذر عن اتباع تأويلات لم يصرح بها الصحابة، وحسم باب السؤال رأسا، والزجر عن الخوض في الكلام والبحث، إلى أن قال: ومن الناس من يبادر إلى التأويل ظنا لا قطعا، فإن كان فتح هذا الباب والتصريح به يؤدي إلى تشويش قلوب العوام بدع صاحبه، وكل ما لم يؤثر عن السلف ذكره وما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظواهر بغير برهان قاطع.

وقال أيضا: كل ما لم يحتمل التأويل في نفسه وتواتر نقله ولم يتصور أن يقوم على خلافه برهان فمخالفته تكذيب محض، وما تطرق إليه احتمال تأويل ولو بمجاز بعيد، فإن كان برهانه قاطعا وجب القول به، وإن كان البرهان يفيد ظنا غالبا ولا يعظم ضرره في الدين فهو بدعة، وإن عظم ضرره في الدين فهو كفر.

قال: ولم تجر عادة السلف بهذه المجادلات، بل شددوا القول على من يخوض في الكلام، ويشتغل بالبحث والسؤال.

وقال أيضا: الإيمان المستفاد من الكلام ضعيف، والإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع وبعد البلوغ بقرائن يتعذر التعبير عنها.

قال: وقال شيخنا أبو المعالي: يحرص الإمام ما أمكنه على جمع عامة الخلق على **سلوك** سبيل السلف في ذلك، انتهى.

وقد اتفقت الأئمة الأربعة على ذم الكلام وأهله، وكلام الإمام الشافعي ومذهبه فيهم معروف عند جميع أصحابه، وهو أنهم يضربون ويطاف بهم في قبائلهم وعشائرهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما كنت أظنه، وقال: لأن يبتلى العبد." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٤/١٩٠>

"وجود الفاضل؟ فيه قولان للفقهاء، وهما وجهان لأصحاب الشافعي وأحمد؛ فمن جوز ذلك رأى أنه يقبل قوله إذا كان وحده، فوجود من هو أفضل منه لا يمنع من قبول قوله كالشاهد، ومن منع استفتاءه قال: المقصود حصول ما يغلب على الظن الإصابة، وغلبة الظن بفتوى الأعلم أقوى فيتعين، والحق التفصيل بأن المفضول إن ترجح بديانة أو ورع أو تحر للصواب، وعدم ذلك الفاضل فاستفتاء المفضول جائز إن لم يتعين، وإن استويا فاستفتاء الأعلم أولى، والله أعلم.

[الترجمان عند المفتي]

[الترجمان عند المفتي] الفائدة السابعة والخمسون: إذا لم يعرف المفتي لسان السائل، أو لم يعرف المستفتي لسان المفتي أجزأ ترجمة واحد بينهما؛ لأنه خبر محض فيكتفى فيه بواحد كأخبار الديانات [والطب] وطرد هذا الاكتفاء بترجمة الواحد في الجرح والتعديل، والرسالة، والدعوى، والإقرار والإنكار بين يدي الحاكم، والتعريف، في إحدى الروايتين، وهي مذهب أبي حنيفة، واختارها أبو بكر إجراء لها مجرى الخبر.

والرواية الثانية لا يقبل في هذه المواضع أقل من اثنين، إجراء لها مجرى الشهادة، **وسلوكا** بها سبيلها؛ لأنها تثبت الإقرار عند الحاكم، وتثبت عدالة الشهود وجرحهم، فافتقرت إلى العدد، كما لو شهد على إقراره شاهد واحد؛ فإنه لا يكتفى به، وهذا بخلاف ترجمة الفتوى والسؤال؛ فإنه خبر محض، فافترقا.

[ما يصنع المفتي في جواب سؤال يحتمل عدة صور]

[ما يصنع المفتي في جواب سؤال يحتمل عدة صور] الفائدة الثامنة والخمسون: إذا كان السؤال محتملا لصور عديدة؛ فإن لم يعلم المفتي الصورة المسئول عنها لم يجب عن صورة واحدة منها، وإن علم الصورة المسئول عنها فله أن يخصها بالجواب، ولكن يقيد لئلا يتوهم أن الجواب عن غيرها فيقول: إن كان الأمر كيت وكيت، أو كان المسئول عنه كذا وكذا؛ فالجواب كذا وكذا، وله أن يفرد كل صورة بجواب؛ فيفصل الأقسام المحتملة. ويذكر حكم كل قسم، ومنع بعضهم من ذلك لوجهين؛ أحدهما: أنه ذريعة إلى تعليم الحيل، وفتح باب لدخول المستفتي وخروجه من حيث شاء، الثاني: أنه سبب لازدحام أحكام تلك الأقسام على فهم العامي فيضيع مقصوده.

والحق التفصيل؛ فيكره حيث استلزم ذلك، ولا يكره - بل يستحب - إذا كان فيه زيادة إيضاح وبيان وإزالة لبس، «وقد فصل النبي - صلى الله عليه وسلم - في كثير من أجوبته بقوله: إن كان كذا فالأمر كذا، كقوله في الذي وقع على جارية امرأته: إن كان استكرهها فهي حرة، وعليه." <إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٤/١٩٦>

"المغرب بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ الذي انفرد ابن ماجة بروايتة أولى به من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فيها بطولي الطوليين وهي الأعراف، فهو يميل من السنة إلى ما يناسبه ويأخذ منها بما يوافقه ويتلطف لمن خشن في تأويل ما يخالفه ودفعه بالتي هي أحسن، ونحن نبرأ إلى الله من **سلوك** هذه الطريقة ونسأله أن يعافينا مما ابتلى به أربابها بل ندين الله بكل ما صح عن رسوله ولا نجعل بعضه لنا وبعضه علينا فنقر ما لنا على ظاهره، ونتأول ما

علينا على خلاف ظاهره، بل الكل لنا لا نفرق بين شيء من سننه بل نتلقاها كلها بالقبول ونقابله بالسمع والطاعة ونتبعها أين توجهت ركائبها وننزل معها أين نزلت مضاربها فليس الشأن في الأخذ ببعض سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك بعضها بل الشأن في الأخذ بجملتها وتنزيل كل شيء منها منزلته ووضعه بموضعه فنقول: وبالله التوفيق الإيجاز والتخفيف المأمور به والتطويل المنهي عنه لا يمكن أن يرجع فيه إلى عادة طائفة وأهل بلد وأهل مذهب ولا إلى شهوة المأمومين ورضاهم ولا إلى اجتهاد الأئمة الذين يصلون بالناس ورأيهم في ذلك فإن ذلك لا ينضبط وتضطرب فيه الآراء والإرادات أعظم اضطراب ويفسد وضع الصلاة الرجعة مقدارها تبعا لشهوة الناس، ومثل هذا لا تأتي به شريعة بل المرجع في ذلك والتحاكم إلى ما كان يفعله من شرع الصلاة للأمة وجاءهم بها من عند الله وعلمهم حقوقها وحدودها وهيآتها وأركانها، وكان يصلي وراءه الضعيف والكبير والصغير وذو الحاجة ولم يكن بالمدينة صلوات الله وسلامه عليه فالذي كان يفعله صلوات الله عليه وسلامه ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ ، وقد سئل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما لك في ذلك من خير؟ فأعادها عليه فقال: كانت صلاة الظهر تقام فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى مما يطولها. رواه مسلم في الصحيح.

وهذا يدل على أن الذي أنكره أبو سعيد وأنس وعمران بن الحصين والبراء." <الصلاة وأحكام تاركها ابن القيم ص/١٣٧>

"عرضوا النصوص على كلام شيوخهم ... فكأنها جيش لذي السلطان

والعزل والإبقاء مرجعه إلى الـ ... ـسلطان دون رعية السلطان

وكذاك أقوال الشيوخ فإنها الـ ... ـميزان دون النص والقرآن

إن وافقا قول الشيوخ فمرحبا ... أو خالفت فالدفع بالإحسان

إما بتأويل فإن أعيا فتفويض ... ونتركها لقول فلان

إذ قوله نص لدينا محكم ... فظواهر المنقول ذات معان

والنص فهو به عليم دوننا ... وبحاله ما حيلة العميان

إلا تمسكهم بأيدي مبصر ... حتى يقودهم كذي الأرسان

فاعجب لعميان البصائر أبصروا ... كون المقلد صاحب البرهان

ورأوه بالتقليد أولى من سوا ... ه بغير ما بصر ولا برهان

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا ... معناهما عجبا لذي الحرمان

قول الشيوخ أتم تبيانا من ... الوحيين لا والواحد الرحمن

النقل نقل صادق والقول من ... ذي عصمة في غاية التبيان

وسواه إما كاذب أو صح لم ... يك قول معصوم وذي تبيان

أفيستوي النقلان يا أهل النهى ... والله لا يتماثل النقلان

هذا الذي ألقى العداوة بيننا ... في الله نحن لأجله خصمان

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... لكن نصرنا موجب القرآن

ولنا **سلوك** ضد مسلكهم فما ... رحلان منا قط يلتقيان

إنا أبينا أن ندين بما به ... دانوا من الآراء والبهتان." <نونية ابن القيم = الكافية الشافية ابن القيم ص/١٣٧>

"هم يقتلون لعابد الرحمن بل ... يدعون أهل عبادة الأوثان

هذا وليسوا أهل تعطيل ولا ... عزل النصوص الحق بالبرهان

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو ... غ الحق مع قصد ومع إيمان

بالله ثم رسوله ولقائه ... وهم إذا ميزتهم ضربان

قوم دهاهم حسن ظنهم بما ... قالته أشياخ ذوو أسنان

وديانة في الناس لم يجدوا سوى ... أقوالهم فرضوا بها بأمان

لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا ... بدلا به من قائل البهتان

فأولاء معذورون إن لم يظلموا ... ويكفروا بالجهل والعدوان

والآخرون فطالبون الحق لـ ... كن صدهم عن علمه شيئان

مع بحثهم ومصنفات قصدهم ... منها وصولهم إلى العرفان

إحداهما طلب الحقائق من سوى ... أبوابها متسوري الجدران

وسلوك طرق غير موصلة إلى ... درك اليقين ومطلع الإيمان

فتشابهت تلك الأمور عليهم ... مثل اشتباه الطرق بالحيران

فترى أفاضلهم حيارى كلها ... في التيه يقرع ناجذ الندمان

ويقول قد كثرت علي الطرق لا ... أدري الطريق الأعظم السلطاني

بل كلهم طرق مخوفات بها ال ... آفات حاصلة بلا حسبان." <نونية ابن القيم = الكافية الشافية ابن القيم ص/٢٧٦>

"فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفدا ولم يشتر به ثمنا اولئك يصلى عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الارض والكرام الكاتبون ورجل آتاه الله علما فضن به عن عباده واخذ به صفدا واشترى به ثمنا فذلك ياتي يوم القيامة يلجم بلجام من نار ذكره ابن عبد البر مرفوعا وفي رفعه نظر وقوله ان الله وملائكته واهل السموات والارض يصلون على معلم الناس الخير لما كان تعليمه للناس الخير سببا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بان جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته واهل الارض ما يكون سببا لنجاته وسعادته وفلاحه وايضا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرا لدين الرب واحكامه ومعرفا لهم بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سمواته وأرضه عليه ما يكون تنويها به وتشريفا له وإظهارا للثناء عليه بين اهل السماءوالارض الوجه السابع والاربعون ما رواه ابو داود والترمذي من حديث ابي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وإن الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وقد رواه الوليد بن مسلم عن خالد بن يزيد عن عثمان ابن ايمن عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله يقول من غدا لعلم يتعلمه فتح الله له به طريقا الى الجنة وفرشت له الملائكة اكنافها وصلت عليه ملائكة السماء وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والعلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن اخذ بالعلم اخذ بحظ وافر وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة نسد ونجم طمس وموت قبيلة ايسر من موت عالم وهذا حديث حسن والطريق التي يسلكها الى الجنة جزاء على **سلوكه** في الدنيا طريق العلم الموصلة الى رضا ربه ووضع الملائكة اجنحتها له تواضعا له وتوقيرا وإكراما لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع اجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم تناسب فان الملائكة انصح خلق الله وانفعهم لبني آدم وعلى ايديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى ومن نفعهم لبني آدم ونصحهم انهم يستغفرون لمسيئهم ويثنون على مؤمنيهم ويعينونهم على اعدائهم من الشياطين ويحرصون

على مصالح العبد اضعاف حرصه على مصلحة نفسه بل يريدون له من خير الدنيا والاخرة ما لا يريده العبد ولا يخطر بباله كما قال بعض التابعين وجدنا الملائكة انصح خلق الله لعباده ووجدنا الشياطين اغش الخلق للعباد وقال تعالى الذين يحملون." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/٦٣>

"فكذلك العلماء زينة للآرض وهي رجوم للشياطين حائلة بينهم وبين استراق السمع لئلا يلبسوا بما يسترقونه من الوحي الوارد الى الرسل من الله على ايدي ملائكته وكذلك العلماء رجوم لشياطين الانس والجن الذي يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فالعلماء رجوم لهذا الصنف من الشياطين ولولاهم لطمست معالم الدين بتلبيس المضلين ولكن الله سبحانه اقامهم حراسا وحفظه لدينه ورجوما لاعدائه واعداء رسله فهذا وجه تشبيههم بالنجوم وأما تشبههم بالقمر فذلك كان في مقام تفضيلهم على اهل العبادة المجردة وموازنة ما بينهما من الفضل والمعنى انهم يفضلون العباد الذين ليسوا بعلماء كما يفضل القمر سائر الكواكب فكل من التشبهين لائق بموضعه والحمد لله وقوله ان العلماء ورثة الانبياء هذا من اعظم المناقب لاهل العلم فإن الانبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه الى ورثته اذهم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما ارسلوا به الا العلماء كانوا احق الناس بميراثهم وفي هذا تنبيه على انهم اقرب الناس اليهم فإن الميراث إنا يكون لاقرب الناس الى الموروث وهذا كما انه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذلك هو في ميراث النبوة والله يختص برحمته من يشاء وفيه ايضا ارشاد وامر للأمة بطاعهم واحترامهم وتعزيزهم وتوفيرهم وإجلالهم فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة وخلفاؤهم فيهم وفيه تنبيه على ان محبتهم من الدين وبغضهم مناف للدين كما هو ثابت لموروثهم وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في موروثهم قال على كرم الله وجهه ورضى عنه محبة العلماء دين يدان به وقال فيما يروى عن ربه عز وجل من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وورثة الانبياء سادات اولياء لله عز وجل وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدى الانبياء وطريقتهم في التبليغ من الصبر والاحتمال ومقابلة إساءة الناس اليهم بالاحسان والرفق بهم واستجلابهم الى الله باحسن الطرق وبذل ما يمكن من النصيحة لهم فإنه بذلك يحصل له نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره الجليل خطره وفيه ايضا تنبيه لاهل العلم على تربية الامة كما يربى الوالد ولده فيبربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره وتحميلهم منه ما يطيقون كما يفعل الاب بولده الطفل في ايصال الغذاء اليه فإن ارواح البشر بالنسبة الى الانبياء والرسل كالاطفال بالنسبة الى آبائهم بل دون هذه النسبة بكثير ولهذا كل روح لم تربها الرسل لم تفلح ولم تصلح لصالحه كما قيل

ومن لا يربيه الرسول ويسقه ... لبانا له قد در من ثدي قدسه فذاك لقيط ماله نسبة الولا ... ولا يتعدى طور ابناء جنسه

وقوله ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم هذا من كمال الانبياء وعظم." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٦٦/١>

"الجهل والا فمع العلم التام بان هذا الطعام مثلا مسموم من اكله قطع امعاءه في وقت معين لا يقدم على اكله وان قدر انه قدم عليه لغلبة جوع او استعجال وفاة فهو لعلمه بموافقة اكله لمقصوده الذي هو احب اليه من العذاب بالجوع او بغيره وهنا اختلف في مسئلة عظيمة وهي ان العلم هل يستلزم الاهتداء ولا يتخلف عنه الهدى إلا لعدم العلم اونقصه والا فمع المعرفة الجازمة لا يتصور الضلال وانه لا يستلزم الهدى فقد يكون الرجل عالما وهو ضال على عمد هذا مما اختلف فيه المتكلمون وارباب السلوك وغيرهم فقالت فرقة من عرف الحق معرفة لا يشك فيها استحال ان لا يهتدي وحيث ضل فلنقصان علمه واحتجوا من النصوص بقوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك فشهد تعالى لكل راسخ في العلم بالايمان وبقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وبقوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق وبقوله تعالى شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم وبقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى قسم الناس قسمين احدهما العلماء بان ما انزل اليه من ربه هوالحق والثاني العمى فدل على انه لا واسطة بينهما وبقوله تعالى في وصف الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون وبقوله وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وبقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وهذه مدارك العلم الثلاث قد فسدت عليهم وكذلك قوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقوله واضله الله على علم قال سعيد بن جبير على علمه تعالى فيه قال الزجاج أي على ما سبق في علمه تعالى انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه أي طبع عليه فلم يسمع الهدى وعلى قلبه فلم يعقل الهدى وعلى بصره غشاوة فلا يبصر اسباب الهدى وهذا في القرآن كثير مما يبين فيه منافاة الضلال للعلم ومنه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا اللذين اوتو العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلو كانوا علموا ما قال الرسل لم يسألوا اهل العلم ماذا قال ولما كان مطبوعا على قلوبهم وقال تعالى ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾ وقال تعالى قل آمنوا به أولا تؤمنوا أن الذين اوتو العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون

سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا فهذه شهادة من الله تعالى لاولى العلم بالايمان به وبكلامه وقال تعالى عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع اونعقل ما كنا في اصحاب السعير فدل على ان اهل الضلال لاسمع لهم ولا عقل وقال تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ اخبر تعالى أنه لا."
<مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/٨٨>

"عن الجاهلين والقبول من الناصحين واليقين والتوكل والطمأنينة والسكينة والتواصل والتعاطف والعدل في الاقوال والافعال والاخلاق والقوة في امره والبصيرة في دينه والقيام بأداء حقه واستخراجه من المانعين له والدعوة اليه وإلى مرضاته وجنته والتحذير عن سبل اهل الضلال وتبيين طرق الغي وحال سالكيها والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والحض على طعام المسكين وبر الوالدين وصلة الارحام وبذل السلام لكافة المؤمنين الى سائر الاخلاق المحمودة والافعال المرضية التي اقسم الله سبحانه على عظمها فقال تعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قالت عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله فقالت كان خلقه القرآن فاكتفى بذلك السائل وقال فهمت ان اقوم ولا أسال عن شيء بعدها فهذه الاخلاق ونحوها هي ثمرة شجرة العلم واما شجرة الجهل فتثمر كل ثمرة قبيحة من الكفر والفساد والشرك والظلم والبغي والعدوان والجزع والهلع والكنود والعجلة والطيش والحدة والفحش والبذاء والشح والبخل ولهذا قيل في حد البخل جهل مقرون بسوء الظن ومن ثمرته الغش للخلق والكبر عليهم والفخر والخيلاء والعجب والرياء والسمعة والنفاق والكذب واخلاف الوعد والغلظة على الناس والانتقام ومقابلة الحسنة بالسيئة والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وترك القبول من الناصحين وحب غير الله ورجائه والتوكل عليه وإيثار رضاه على رضا الله وتقديم امره على امر الله والتماوت عند حق الله والوثوق بما عند حق نفسه والغضب لها والانتصار لها فإذا انتهكت حقوق نفسه لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم بأكثر من حقه وإذا انتهكت محارم الله لم ينبض له عرق غضبا لله فلا قوة في امره ولا بصيرة في دينه ومن ثمرتها الدعوة الى سبيل الشيطان وإلى سلوك طرق البغي واتباع الهوى وايثار الشهوات على الطاعات وقيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ووأد البنات وعقوق الامهات وقطيعة الارحام وإساءة الجوار وركوب مركب الخزي والعار وبالحملة فالخير بمجموعه ثمر يجتنى من شجرة العلم والشر بمجموعه شوك يجتنى من شجرة الجهل فلو ظهرت صورة العلم للأبصار لزاد حسنها على صورة الشمس والقمر ولو ظهرت صورة الجهل لكان منظرها اقبح منظر بل كل خير في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرسل ومسبب عنه وكذلك كل خير يكون الى قيام الساعة وبعدها في القيامة وكل شر وفساد حصل في

العالم ويحصل الى قيام الساعة وبعدها في القيامة فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل في العلم والعمل ولو لم يكن للعلم اب ومرب وسائس ووزير الا العقل الذي به عمارة الدارين وهو الذي ارشد الى طاعة الرسل وسلم." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١١٦/١>

"استقر فيه العلم النافع استنارت بصيرته وقوى قلبه وهذان الاصلان هما قطب السعادة اعني العلم والقوة وقد وصف بهما سبحانه المعلم الاول جبريل صلوات الله وسلامه عليه فقال ﴿إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾ وقال تعالى في سورة التكوير ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾ فوصفه بالعلم والقوة وفيه معنى احسن من هذا وهو الاشبه بمراد على رضى الله عنه وهو ان هؤلاء ليسوا من اهل البصائر الذين استضاؤا بنور العلم ولا لجئوا الى عالم مستبصر فقلدوه ولا متبعين لمستبصر فإن الرجل اما ان يكون بصيرا او اعمى متمسكا ببصير يقوده او اعمى يسير بلا قائد وقوله رضى الله عنه العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال يعني ان العلم يحفظ صاحبه ويحميه من مواردالهلكة ومواقع العطب فإن الانسان لا يلقى نفسه في هلكة إذا كان عقله معه ولا يعرضها لمتلف إلا إذا كان جاهلا بذلك لا علم له به فهو كمن يأكل طعاما مسموما فالعالم بالسم وضرره يحرسه علمه ويمتنع به من اكله والجاهل به يقتله جهله فهذا مثل حراسة العلم للعالم وكذا الطبيب الحاذق يمتنع بعلمه عن كثير ما يجلب له الامراض والاسقام وكذا العالم بمخاوف طريق سلوكه ومعاطبها يأخذ حذره منها فيحرسه علمه من الهلاك وهكذا العالم بالله وبامره وبعدوه ومكائده ومداخله على العبد يحرسه علمه من وساوس الشيطان وخطراته والقاء الشك والريب والكفر في قلبه فهو بعلمه يمتنع من قبول ذلك فعلمه يحرسه من الشيطان فكلما جاء ليأخذه صاح به حرس العلم والايمان فيرجع خاسئا خائبا واعظم ما يحرسه من هذا العدو المبين العلم والايمان فهذا السبب الذي من العبد والله من وراء حفظه وحراسته وكلاءته فمتى وكله الى نفسه طرفة عين تخطفه عدوه قال بعض العارفين اجمع العارفون على ان التوفيق ان لا يكلك الله الى نفسك واجمعوا على ان الخذلان ان يخلى بينك وبين نفسك وقوله العلم يزكوا على الانفاق والمال تنقصه النفقة العالم كلما بذل علمه للناس وانفق منه تفجرت بنابيعه فازداد كثرة وقوة وظهورا فيكتسب بتعليمه حفظ ما علمه ويحصل له به علم ما لم يكن عنده وربما تكون المسئلة في نفسه غير مكشوفة ولا خارجة من حيز الاشكال فإذا تكلم بها وعلمها اتضحت له واضاءت وانفتح له منها علوم اخر وايضا فإن الجزاء من جنس العمل فكما علم الخلق من جهالتهم جزاه الله بان كلمة من جهالته كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار عن النبي انه قال في حديث طويل وان الله قال لي انفق انفق عليك وهذا يتناول نفقة العلم اما بلفظه وإما

بتنبيهه وإشارته وفحواه ولزكاء العلم ونحوه طريقان احدهما تعليمه والثاني العمل به فإن العمل به ايضا ينميه ويكثره ويفتح لصاحبه ابوابه وخباياه وقوله والمال تنقصه النفقة لا ينافي قول النبي ما نقصت صدقة من مال فإن المال إذا تصدقت منه وانفقت ذهب ذلك القدر." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١٢٨/١>

"لا تزال طائفة من امته على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة فلا يزال غرس الله الذين غرسهم في دينه يغرسون العلم في قلوب من اهلهم الله لذلك وارتضاهم فيكونوا ورثة لهم كما كانوا هم ورثة لمن قبلهم فلا تنقطع حجج الله والقائم بها من الاض وفي الاثر المشهور لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم بطاعته وكان من دعاء بعض من تقدم اللهم اجعلني من غرسك الذين تستعملهم بطاعتك ولهذا ما اقام الله لهذا الدين من يحفظه ثم قبضه اليه الا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة اما في قلوب امثاله واما في كتب ينتفع بها الناس بعده وبهذا وبغيره فضل العلماء العباد فإن العالم إذا زرع علمه عند غيره ثم مات جرى عليه اجره وبقي له ذكره وهو عمر ثان وحياة اخرى وذلك احق ما تنافس فيه المتنافسون ورغب فيه الراغبون وقوله هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا مما استوحش منه الجاهلون الهجوم على الرجل الدخول عليه بلا استئذان ولما كانت طريق الاخرة وعرة على أكثر الخلق لمخالفتها لشهواتهم ومباينتها لارادتهم ومألوفاتهم قل سالكوها وزاهدهم فيها قلة علمهم اوعدمه بحقيقة الامر وعاقبة العباد ومصيرهم وما هيئوا له وهيء لهم فقل علمهم بذلك واستلانوا مركب الشهوة والهوى على مركب الاخلاص والتقوى وتوعرت عليهم الطريق وبعدت عليهم الشقة وصعب عليهم مرتقي عقابها وهبوط اوديتها **وسلوك** شعابها فاخلدوا الى الدعة والراحة وآثروا العاجل على الاجل وقالوا عيشنا اليوم نقد وموعودنا نسيئة فنظروا الى عاجل الدنيا واغمضوا العيون عن آجلها ووقفوا مع ظاهرها ولم يتأملوا باطنها وذاقوا حلاوة مباديها وغاب عنهم مرارة عواقبها ودر لهم ثديها فطاب لهم الارتضاع واشتغلوا به عن التفكر في الفطام ومرارة الانقطاع وقال مغترهم بالله وجاحدهم لعظمته وربوبيته متمثلا في ذلك

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... وأما القائمون لله بحجته خلفاء نبيه في امته فانهم لكمال علمهم وقوته نفد بهم الى حقيقة الامر وهجم بهم عليه فعاينوا ببصائرهم ما عشيت عنه بصائر الجاهلين فاطمأنت قلوبهم به وعملوا على الوصول اليه لما باشرها من روح اليقين رفع لهم علم السعادة فشمروا اليه واسمعهم منادي الايمان النداء فاستبقوا اليه واستيقنت انفسهم ما وعدهم به ربهم فزهدوا فيما سواه ورغبوا فيما لديه علموا

ان الدنيا دار ممر لا دار مقر ومنزل عبور لا مقعد حبور وانها خيال طيف او سحابة صيف وان من فيها كراكب قال تحت ظل شجرة ثم راح عنها وتركها وتيقنوا انها احلام نوم او كظل زائل:

ان اللبيب بمثلها لا يخدع ...." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١٤٨/١>

"مباحاته كلها طاعات فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومته وصومه واجتهاده وهو دائما بين سراء يشكر الله عليها وضراء يصبر عليها فهو سائر إلى الله دائما في نومه ويقظنه قال بعض العلماء الاكياس عاداتهم عبادات الحمقي والحمقى عباداتهم عادات وقال بعض السلف حبذا نوم الأكياس وفطرهم يغبنون به سهر الحمقى وصومهم فالمحب الصادقان نطق نطق لله وبالله وان سكت سكت لله وان تحرك فبأمر الله وان سكن فسكونه استعانة على مرضات الله فهو لله وبالله ومع الله ومعلوم ان صاحب هذا المقام احوج خلق الله الى العلم فإنه لا تتميز له الحركة المحبوبة لله من غيرها ولا السكون المحبوب له من غيره الا بالعلم فليست حاجته الى العلم كحاجة من طلب العلم لذاته ولانه في نفسه صفة كمال بل حاجته اليه كحاجته الى ما به قوام نفسه وذاته ولهذا اشتدت وصاة شيوخ العارفين لمريديهم بالعلم وطلبه وانه من لم يطلب العلم لم يفلح حتى كانوا يعدون من لا علم له من السفلة قال ذو النون وقد سئل من السفلة فقال من لا يعرف الطريق الى الله تعالى ولا يتعرفه وقال ابو يزيد لو نظرتم الى الرجل وقد اعطى من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلات تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود ومعرفة الشريعة وقال ابو حمزة البزاز من علم طريق الحق سهل عليه **سلوكه** ولا دليل على الطريق الا متابعة الرسول في أقواله وأفعاله واحواله وقال محمد بن الفضل الصوفي الزاهد ذهاب الاسلام على يدي اربعة اصناف من الناس صنف لا يعملون بما يعلمون وصنف يعملون بما لا يعلمون وصنف لا يعملون ولا يعلمون وصنف يمنعون الناس من التعلم قلت الصنف الاول من له علم بلا عمل فهو اضر شيء على العامة فإنه حجة لهم في كل نقيصة ومنحسة والصنف الثاني العابد الجاهل فإن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله وهذان الصنفان ہما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون فان الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم فإذا كان العلماء فجرة والعباد جهلة عمت المصيبة بهما وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة والصنف الثالث الذين لا علم لهم ولا عملوإنما هم كالانعام السائمة والصنف الرابع نواب ابليس في الارض وهم الذي يثبطون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين فهؤلاء اضر عليهم من شياطين الجن فانهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه فهؤلاء الاربعة اصناف هم الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله عليه وهؤلاء كلهم

على شفا جرف هار وعلى سبيل الهلكة وما يلقى العالم الداعي الى الله ورسوله ما يلقاه من الاذى والمحاربة الا على ايديهم والله يستعمل من يشاء في سخطه كما يستعمل من يحب في مرضاته إنه بعباده خبير بصير ولا ينكشف سر هذه الطوائف وطريقتهم إلا بالعلم فع ا د الخير بحذافيره الى العلم وموجبه والشر." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/١٦٠>

"العادات وإن كان انتفاع ضعفاء العقول بالخوارق في الإيمان أعظم من انتفاعهم بنفس الدعوة وما جاء به من الإيمان فطرق الهداية متنوعة رحمة من الله بعباده ولطفا بهم لتفاوت عقولهم وأذهانهم وبصائرهم فمنهم من يهتدي بنفس ما جاء به وما دعا إليه من غير أن يطلب منه برهانا خارجا عن ذلك كحال الكمل من الصحابة كالصديق رضي الله عنه ومنهم من يهتدي بمعرفته بحاله وما فطر عليه من كمال الأخلاق والأوصاف والأفعال وأن عادة الله أن لا يخزي من قامت به تلك الأوصاف والأفعال لعلمه بالله ومعرفته به وإنه لا يخزي من كان بهذه المثابة كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها له إبشر فوالله لن يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضعيف وتعين على نوائب الحق فاستدلت بمعرفتها بالله وحكمته ورحمته على أن من كان كذلك فإن الله لا يخزيه ولا يفضحه بل هو جدير بكرامة الله واصطفائه ومحبته وتوبته وهذه المقامات في الإيمان عجز عنها أكثر الخلق فاحتاجوا إلى الآيات والخوارق والآيات المشهودة بالحس فآمن كثير منهم عليها وأضعف الناس إيمانا من كان إيمانه صادرا من المظهر ورؤية غلبته للناس فاستدلوا بذلك المظهر والغلبة والنصرة على صحة الرسالة فأين بصائر هؤلاء من بصائر من آمن به وأهل الأرض قد نصبوا له العداوة وقد ناله من قومه ضروب الأذى وأصحابه في غاية قلة العدد والمخافة من الناس ومع هذا فقلبه ممتلىء بالإيمان واثق بأنه سيظهر على الأمم وأن دينه سيعلو كل دين وأضعف من هؤلاء إيمانا من إيمانه إيمان العادة والمربا والمنشأ فإنه نشأ بين أبوين مسلمين وأقارب وجيران وأصحاب كذلك فنشأ كواحد منهم ليس عنده من الرسول والكتاب إلا اسمهما ولا من الدين إلا ما رأى عليه أقاربه وأصحابه فهذا دين العوائد وهو أضعف شيء وصاحبه بحسب من يقترن به فلو قيض له من يخرجه عنه لم يكن عليه كلفة في الانتقال عنه والمقصود أن خواص الأمة ولبابها لما شهدت عقولهم حسن هذا الدين وجلالته وكماله وشهدت قبح ما خالفه ونقصه ورداءته خالط الإيمان به ومحبته بشاشة قلوبهم فلو خير بين أن يلقى في النار وبين أن يختار دينها غيره لاختار أن يقذف في النار وتقطع أعضاؤه ولا يختار دينا غيره وهذا الضرب من الناس هم الذين استقرت أقدامهم في الإيمان وهم أبعد الناس عن الارتداد عنه وأحقهم بالثبات عليه إلى يوم لقاء الله ولهذا قال هرقل لأبي سفيان أيرتد أحد منهم عن دينه

سخطة له قال لا قال فكذلك الإيمان إذ خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد والمقصود أن الداخلين في الإسلام المستدلين على أنه من عند الله لحسنه وكماله وأنه دين الله الذي لا يجوز أن يكون من عند غيره هم خواص الخلق والنفاة سدوا على أنفسهم هذا الطريق فلا يمكنهم **سلوكه**." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢/١٣>

"الوجه الثاني والثلاثون قولكم أن غاية هذا أن يدل على قبح الكذب وحسن الصدق شاهدا ولا يلزم منه حسنه وقبحه وغائبا ألا بطريق قياس الغائب على الشاهد وهو باطل لوضوح الفرق واستنادكم في الفرق إلى ما ذكرتم من تخلية الله بين عباده يموج بعضهم في بعض ظلما وإفسادا وقبح ذلك مشاهد فياالله العجب كيف يجوز العقل التزام مذهب ملتزم معه جواز الكذب على رب العالمين وأصدق الصادقين وأنه لا فرق أصلا بالنسبة إليه بين الصدق والكذب بل جواز الكذب عليه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا كجواز الصدق وحسنه لحسنه وهل هذا ألا من أعظم الإفك والباطل ونسبته إلى الله تعالى جوازا كنسبة ما لا يليق بجلاله إليه من الولد والزوجة والشريك بل لنسبة أنواع الظلم والشر إليه جوازا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فمن اصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قيلا وهل هذا الإفك المفترى ألا رافع للوثوق بأخباره ووعده ووعيده وتجويزه عليه وعلى كلامه ما هو أقبح القبائح التي تنزه عنها بعض عبيده ولا يليق به فضلا عنه سبحانه فلو التزمتم كل إلزام بلزوم مسمى الحسن والقبح العقليين لكان أسهل من التزام هذا الإد التي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا ولا نسبة في القبح بين الولد والشريك والزوجة وبين الكذب ولهذا فطر الله عقول عباده على الازدراء والذم والمقت للكاذب دون من له زوجة وولد وشريك فتنزه أصدق الصادقين عن هذا القبيح كتنزهه عن الولد والزوجة والشريك بل لا يعرف أحد من طوائف هذا العالم جوز الكذب على الله لما فطر الله عقول البشر وغيرهم على قبحه ومقت فاعله وخسته ودناءته

ونسبة طوائف المشركين الشريك والولد إليه لما لم يكن قبحه عندهم كقبح الكذب وكفى بمذهب بطلانا وفسادا هذا القول العظيم والإفك المبين لازمة ومع هذا فأهله لا يتحاشون من التزامه فلو التزم القائل أن يذهب الذم كان خيرا له من هذا ونحن نستغفر الله من التقصير في رد أهل المذهب القبيح ولكن ظهور قبحه للعقول والفطر أقوى شاهد على رده وإبطاله ولقد كان كافينا من رده نفس تصويره وعرضه على عقول الناس وفطرهم فليتأمل اللبيب الفاضل ماذا يعود إليه نصر المقالات والتعصب لها والتزام لوازمها وإحسان الظن بأربابها بحيث يرى مساويهم محاسن وإساءة الظن بخصومهم بحيث يرى محاسنهم مساوي كم أفسد

هذا السلوك من فطرة وصاحبها من الذين يحسبون أنهم على شيء إلا انهم هم الكاذبون ولا يتعجب من هذا فان مرآة القلب لا يزال يتنفس فيها حتى يستحكم صداؤها فليس ببدع لها أن ترى الأشياء على خلاف ما هي عليه فمبدأ الهدى والفلاح صقال تلك المرآة ومنع الهوى من التنفس فيها وفتح عين البصيرة في أقوال من يسيء الظن بهم كما يقبحها في أقوال من يحسن الظن به وقيامك." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢/٧٥>

"في مرضاته فأين هذان المسلكان من ذينك المسلكين وانما أتى القوم من إنكارهم المحبة وذلك الذي حرمهم من العلم والأيمان ما حرمهم وأوجب لهم سلوك تلك الطرق المسدودة والله الفتاح العليم

الوجه التاسع والأربعون قولكم فلا تكون نعمه تعالى ثوابا بل ابتداء كلام يحتمل حقا وباطلا فان أردتم به أنه لا يثيبهم على أعمالهم بالجنة ونعيمها ويجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون فهو باطل والقرآن أعظم شاهد ببطلانه قال تعالى فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب وقال تعالى ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون وقال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقال تعالى أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين وقال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين وهذا في القرآن كثير يبين أن الجنة ثوابهم وجزاؤهم فكيف يقال لا تكون نعمه ثوابا على الإطلاق بل لا تكون نعمه تعالى في مقابلة الأعمال والأعمال ثمنا لها فانه لن يدخل أحدا الجنة عمله ولا يدخلها أحد إلا بمجرد فضل الله ورحمته وهذا لا ينافي ما تقدم من النصوص فأنها إنما تدل على أن الأعمال أسباب لا أعواض وأثمان والذي نفاه النبي في الدخول بالعمل هو نفي استحقاق العوض ببذل عوضه فالمثبت باء السببية والمنفي باء المعاوضة والمقابلة وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة والقدرية الجبرية تنفى باء السببية جملة وتنكر أن تكون الأعمال سببا في النجاة ودخول الجنة وتلك النصوص وأضعافها تبطل قولهم والقدرية النفاة تثبت باء المعاوضة والمقابلة وتزعم أن الجنة عوض الأعمال وأنها ثمن لها وأن دخولها إنما هو بمحض الأعمال والنصوص النافية لذلك تبطل قولهم والعقل والفطر تبطل قول الطائفتين ولا يصح في النصوص والعقول إلا ما ذكرناه من التفصيل وبه يتبين أن الحق مع الوسط بين الفرق في جميع المسائل لا يستثنى من ذلك شيء فما اختلفت الفرق

إلا كان الحق مع الوسط وكل من الطائفتين معه حق وباطل فأصاب الجبرية في نفي المعاوضة وأخطؤا في نفي السببية وأصاب المقدرية في إثبات السببية وأخطؤا في إثبات المعاوضة فإذا ضممت أحد نفي الجبرية إلى أحد إثباتي القدرية ونفيت باطلهما كنت أسعد بالحق منهما فان أردتم بأن نعمه لا تكون ثوابا هذا القدر وأنها لا تكون عوضا بل هو المنعم بالأعمال والثواب وله المنة." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٩٢/٢>

"بحسب بعض الزيجات درجة معينة حين وجد بحسب زيج آخر غير تلك الدرجة ربما حصل التفاوت بالبرج ولما كان علم الأحكام مبينا على مواضع الكواكب ومناسبتها ثم قد تبين أن التفاوت الكبير وقع في قطع الكواكب علم بطلان هذا العلم وفساده

الوجه التاسع أن المعقول من تأثير هذه الكواكب في العالم السفلي هو أنها بحسب مساقط شعاعاتها تسخن هذا العالم أنواعا من السخونة فأما تأثيراتها في حصول الأحوال النفسانية من الذكاء والبلادة والسعادة والشقاوة وحسن الخلق وقبحه والغنى والفقر والهم والسرور واللذة والألم فلو كان معلوما لكان طريق علمه أما بالخبر الذي لا يجوز عليه الكذب أو الحس الذي يشترك فيه الناس أو ضرورة العقل أو نظره وشيء من هذا كله غير موجود البتة فالقول به باطل ولا يمكن للآحكاميين أن يدعوا واحدا من الثلاثة الأول وغايتهم أن يدعوا أن النظر والتجربة قادهم إلي ذلك وأوقعهم عليه ونحن نبين فساد هذا النظر والتجربة بما لا يمكن دفعه من الوجوه التي ذكرناها ونذكر غيرها مما هو مثلها وأقوى منها وكل علم صحيح فله براهين يستند إليها تنتهى إلي الحس أو ضرورة العقل وأما هذا العلم فلا ينتهى إلا إلى جحد وتخمين وظنون لا تغنى من الحق شيئا وغاية أهله تقليد من لم يقم دليل على صدقه

الوجه العاشر أنا إذا فرضنا أن رجلين سألا منجمين في وقت واحد في بلد واحد عن خصمين أيهما الظافر بصاحبه فههنا يكون الطالع مشتركا بين كل واحد من ذينك الخصمين فان دل ذلك الطالع على حال الغالب والمغلوب مع كونه مشتركا بين الخصمين لزم كون كل منهما غالبا لخصمه ومغلوبا من جانبه وذلك محال فان قالوا بين حال كل واحد منهما اختلاف بسبب طالع الأصل أو طالع التحويل أو برج الانتهاء قلنا هذا تسليم لقول من يقول أن طالع الوقت لا يدل على شيء أصلا بل لا بد من رعاية الأحوال الماضية لكن الأحوال الماضية كثيرة غير مضبوطة فتوقف دلالة طالع الوقت على تلك الأحوال الماضية يقتضي التوقف على شرائط لا يمكن اعتبارها البتة وقد ساعد أصحاب الأحكام على الاعتراف بأن الاعتماد على طالع الوقت غير مفيد بل لا يتم الأمر إلا عند معرفة طالع الأصل فطالع التحويل وبرج الانتهاء ومعرفة

التيسيرات فعند اعتبار جملة هذه الأمور يتم الاستدلال ومع اعتبار جملتها وتحريرها بحيث يؤمن الغلط فيها يكون الاستدلال على سبيل الظن لا على سبيل القطع الوجه الحادي عشر أنا لو فرضنا جادة **مسلوكة** وطريقا يمشي فيه الناس ليلا ونهارا ثم حصل في تلك الجادة آثار متقاربة بحيث لا يقدر سالك ذلك الطريق على **سلوكه** إلا بتأمل كثير وتفكر شديد حتى يتخلص من الوقوع في تلك الآثار فان من المعلوم بالضرورة أن سلامة من يمشي في هذه الطريق من العميان لا يكون كسلامة من يمشي من البصراء بل ولا بد أن يكون عطب العميان في." <مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢/١٣١>

"فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعينه طريقا.

والصراط تارة يضاف إلى الله، إذ هو الذي شرعه ونصبه، كقوله تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيما﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله﴾ [الشورى: ٥٢] وتارة يضاف إلى العباد كما في الفاتحة، لكونهم أهل **سلوكه**، وهو المنسوب لهم، وهم المارون عليه.

الموضع الثامن: من ذكر المنعم عليهم، وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال.

فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة، لأن العبد إما أن يكون عالما بالحق، وإما جاهلا به، والعالم بالحق إما أن يكون عاملا بموجبه أو مخالفا له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة، فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه، وهو الذي زكى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو المفلح ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه، والجاهل بالحق هو الضال، والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به، ومن هنا كان اليهود أحق به، وهو متغلظ في حقهم، كقوله تعالى في حقهم ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب﴾ [البقرة: ٩٠] وقال تعالى ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٦٠] والجاهل بالحق أحق باسم الضلال، ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى ﴿قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في

دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧]." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٣٤>

"وعدل ومصلحة، ولو سلطكم علي فله من الحكمة في ذلك ما له الحمد عليه، لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم، لا يظلم ولا يفعل شيئا عبثا بغير حكمة.

فهكذا تكون المعرفة بالله، لا معرفة القدرية المجوسية، والقدرية الجبرية، نفاة الحكم والمصالح والتعليل، والله الموفق سبحانه.

[فصل رفيق طالب الصراط المستقيم هم الذين أنعم الله عليهم]

فصل

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريدا **لسلوك** طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين ﴿أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء: ٦٩] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية **وسلوك** الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه. وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرا." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٥>

"العبادات لكانت من جنس نفوس السباع والبهائم، والعبادات تخرجها عن مألوفاتها وعوائدها، وتنقلها إلى مشابهة العقول المجردة، فتصير عالمة قابلة لانتقاش صور العلوم والمعارف فيها، وهذا يقوله طائفتان:

إحداهما: من يقرب إلى النبوات والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وعدم انشقاق الأفلاك، وعدم الفاعل المختار.

الطائفة الثانية: من تفلسفت من صوفية الإسلام، وتقرب إلى الفلاسفة، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس وتجردها، ومفارقتها العالم الحسي، ونزول الواردات والمعارف عليها.

ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادات إلا لهذا المعنى، فإذا حصل لها بقي مخيرا في حفظه أو رده، أو الاشتغال بالوارد عنها، ومنهم من يوجب القيام بالأوراد والوظائف، وعدم الإخلال بها، وهم صنفان أيضا:

أحدهما: من يوجبونه حفظا للقانون، وضبطا للنفوس.

والآخرون: الذين يوجبونه حفظا للوارد، وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها له إلى حالتها الأولى من البهيمية. فهذه نهاية أقدام المتكلمين على طريق **السلوك**، وغاية معرفتهم بحكم العبادة وما شرعت لأجله، ولا تكاد تجد في كتب القوم غير هذه الطرق الثلاثة، على سبيل الجمع، أو على سبيل البدل.

[الطائفة المحمدية الإبراهيمية]

فصل

وأما الصنف الرابع: فهم الطائفة المحمدية الإبراهيمية، أتباع الخليلين، العارفون بالله وحكمته في أمره وشرعه وخلقه، وأهل البصائر في عبادته، ومراده بها.

فالطوائف الثلاث محجوبون عنهم بما عندهم من الشبه الباطلة، والقواعد الفاسدة، ما عندهم وراء ذلك شيء، قد فرحوا بما عندهم من المحال، وقنعوا بما ألفوه." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١١٧>

"وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك.

ف " ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] " التزام لأحكام هذه الأربعة، وإقرار بها، " ﴿وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] " طلب للإعانة عليها والتوفيق لها، و " ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] " متضمن للتعريف بالأمرين على التفصيل، وإلهام القيام بهما، **وسلوك** طريق السالكين إلى الله بها.

[فصل دعوة جميع الرسل إلى إياك نعبد وإياك نستعين]

فصل

وجميع الرسل إنما دعوا إلى " ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] " فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله

وإخلاص عبادته، من أولهم إلى آخرهم، فقال نوح عليه السلام لقومه ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف: ٥٩] وكذلك قال هود وصالح وشعيب عليهم السلام وإبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦] وقال ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم - وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٢] .

[فصل الله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه]

فصل

والله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه، وأقربهم إليه، فقال." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٢١>

"[فصل في منازل إياك نعبد]

[منزلة اليقظة]

﴾ [الفاتحة: ٥] التي ينتقل فيها القلب منزلة منزلة في حال سيره إلى الله

وقد أكثر الناس في صفة المنازل وعددها، فمنهم من جعلها ألفا، ومنهم من جعلها مائة، ومنهم من زاد ونقص، فكل وصفها بحسب سيره **وسلوكه**.

وسأذكر فيها أمرا مختصرا جامعا نافعا، إن شاء الله تعالى.

فأول منازل العبودية اليقظة وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، ولله ما أنفع هذه الروعة، وما أعظم قدرها وخطرها، وما أشد إعانتها على **السلوك**! فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة فإذا انتبه شمر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى، وأوطانه التي سبي منها.

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

فأخذ في أهبة السفر، فانتقل إلى منزلة العزم وهو العقد الجازم على المسير." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٤٢>

"بحبله الذي هو عهده ووصيته إلى عباده على تقريبه لك، تشاهد ذلك ليكون أقوى في المحبة والشكر، وبذل النصيحة في العبودية، وهذا كله من تمام البصيرة، فمن لا بصيرة له فهو بمعزل عن هذا.

قال: الدرجة الثالثة: بصيرة تفجر المعرفة، وتثبت الإشارة، وتنبت الفراسة.

يريد بالبصيرة في الكشف والعيان أن تتفجر بها ينابيع المعارف من القلب، ولم يقل " تفجر العلم " لأن المعرفة أخص من العلم عند القوم، ونسبتها إلى العلم نسبة الروح إلى الجسد، فهي روح العلم ولبه.

وصدق رحمه الله فإن بهذه البصيرة تتفجر من قلب صاحبها ينابيع من المعارف، التي لا تنال بكسب ولا دراسة، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبدا في كتابه ودينه، على قدر بصيرة قلبه.

وقوله " وتثبت الإشارة ".

يريد بالإشارة: ما يشير إليه القوم من الأحوال والمنازلات، والأذواق التي ينكرها الأجنبي من **السلوك**، ويثبتها أهل البصائر، وكثير من هذه الأمور ترد على السالك، فإن كان له بصيرة ثبتت بصيرته ذلك له وحققته عنده، وعرفته تفاصيله، وإن لم يكن له بصيرة بل كان جاهلا، لم يعرف تفصيل ما يرد عليه، ولم يهتد لتثبيته.

قوله " وتنبت الفراسة معناها ".

يعني أن البصيرة تنبت في أرض القلب الفراسة الصادقة، وهي نور يقذفه الله في القلب، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، قال الله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [الحجر: ٧٥] قال مجاهد: للمتفرسين، وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل ثم قرأ ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [الحجر: ٧٥] » .." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٤٨/١>

"والغي رشدا، قال تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] " والرين " " والران " هو الحجاب الكثيف المانع للقلب من رؤية الحق والانقياد له.

وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها تكون الفراسة، وهي نوعان:

فراسة علوية شريفة، مختصة بأهل الإيمان، وفراسة سفلية دنيئة مشتركة بين المؤمن والكافر، وهي فراسة أهل الرياضة والجوع والسهر والخلوة، وتجريد البواطن من أنواع الشواغل، فهؤلاء لهم فراسة كشف الصور، والإخبار ببعض المغيبات السفلية التي لا يتضمن كشفها والإخبار بها كمالا للنفس، ولا زكاة ولا إيمانا ولا معرفة، وهؤلاء لا تتعدى فراستهم هذه السفليات، لأنهم محجوبون عن الحق تعالى، فلا تصعد فراستهم إلى

التمييز بين أوليائه وأعدائه، وطريق هؤلاء وهؤلاء.

وأما فراسة الصادقين، العارفين بالله وأمره فإن همتهم لما تعلقت بمحبة الله ومعرفته وعبوديته، ودعوة الخلق إليه على بصيرة، كانت فراستهم متصلة بالله، متعلقة بنور الوحي مع نور الإيمان، فميزت بين ما يحبه الله وما يبغضه من الأعيان والأقوال والأعمال، وميزت بين الخبيث والطيب، والمحق والمبطل، والصادق والكاذب، وعرفت مقادير استعداد السالكين إلى الله، فحملت كل إنسان على قدر استعداده، علما وإرادة وعملا.

ففراسة هؤلاء دائما حائمة حول كشف طريق الرسول وتعرفها، وتخليصها من بين سائر الطرق، وبين كشف عيوب النفس، وآفات الأعمال العائقة عن **سلوك** طريق المرسلين، فهذا أشرف أنواع البصيرة والفراسة، وأنفعها للعبد في معاشه ومعاده.

[فصل القصد]

فإذا انتبه وأبصر أخذ في القصد وصدق الإرادة، وأجمع القصد والنية على سفر الهجرة إلى الله، وعلم وتيقن أنه لا بد له منه، فأخذ في أهبة السفر، وتعبئة الزاد ليوم المعاد، والتجرد عن عوائق السفر، وقطع العلائق التي تمنعه من الخروج.

وقد قسم صاحب المنازل القصد إلى ثلاث درجات، فقال:." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٥٠>

"الدرجة الأولى: قصد يبعث على الارتياض، ويخلص من التردد، ويدعو إلى مجانبة الأغراض.

فذكر له ثلاث فوائد: أنه يبعث على **السلوك** بلا توقف، ولا تردد، ولا علة غير العبودية، من رياء أو سمعة، أو طلب محمدة، أو جاه ومنزلة عند الخلق.

قال: الدرجة الثانية: قصد لا يلقى سببا إلا قطعه، ولا حائلا إلا منعه ولا تحاملا إلا سهله.

يعني أنه لا يلقى سببا يعوق عن المقصود إلا قطعه، ولا حائلا دونه إلا منعه ولا صعوبة إلا سهلها.

قال: الدرجة الثالثة: قصد الاستسلام لتهذيب العلم، وقصد إجابة داعي الحكم، وقصد اقتحام بحر الفناء.

يريد أنه ينقاد إلى العلم ليتهذب به ويصلح، ويقصد إجابة داعي الحكم الديني الأمري كلما دعاه، فإن للحكم في كل مسألة من مسائل العلم مناديا ينادي للإيمان بها علما وعملا، فيقصد إجابة داعيها، ولكن مراده بداعي الحكم: الأسرار والحكم الداعية إلى شرع الحكم، فإجابتها قدر زائد على مجرد الامتثال،

فإنها تدعو إلى المحبة والإجلال، والمعرفة والحمد، فالأمر يدعو إلى الامتثال، وما تضمنه من الحكم، والغايات تدعو إلى المعرفة والمحبة.

وقوله: وقصد اقتحام بحر الفناء.

هذا هو الغاية المطلوبة عند القوم، وهو عند بعضهم لازم من لوازم الطريق، وليس بغاية، وعند آخرين عارض من عوارض الطريق، وليس بغاية، ولا هو لازم لكل سالك، وأهل القوة والعزم لا يعرض لهم، وحال البقاء أكمل منه، ولهذا كان البقاء حال نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وقد رأى ما رأى، وحال موسى الفناء، ولهذا خر صعقا عند تجلي الله للجبل، وامرأة العزيز كانت أكمل حبا ليوسف من النسوة، ولم يعرض لها ما عرض لهن عند رؤية يوسف لفنائهن وبقائها، وسيأتي إن شاء الله تحقيق الكلام فيه.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٥١>

"لتأخيره، وعلمت بذلك أن المحاسبة متقدمة على التوبة بالرتبة أيضا، فإنه إذا حاسب العبد نفسه خرج مما عليه، وهي حقيقة التوبة، وأن منزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، لأنه يتوكل في حصولها، فالتوكل وسيلة، والإنابة غاية، وأن مقام التوحيد أولى المقامات أن يبدأ به، كما أنه أول دعوة الرسل كلهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي رواية " إلى أن يعرفوا الله " ولأنه لا يصح مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال إلا به، فلا وجه لجعله آخر المقامات، وهو مفتاح دعوة الرسل، وأول فرض فرضه الله على العباد، وما عدا هذا من الأقوال فخطأ، كقول من يقول: أول الفروض النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة، أو الشك الذي يوجب النظر.

وكل هذه الأقوال خطأ، بل أول الواجبات مفتاح دعوة المرسلين كلهم، وهو أول ما دعا إليه فاتحهم نوح، فقال ﴿ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف: ٥٩] وهو أول ما دعا إليه خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.

ولأرباب **السلوك** اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها، كل يصف منازل سيره،." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٥٤>

"وحال **سلوكه**، ولهم اختلاف في بعض منازل السير هل هي من قسم الأحوال؟ والفرق بينهما: أن المقامات كسبية، والأحوال وهبية، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملا كان أعلى مقاما، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا.

فمما اختلفوا فيه الرضا هل هو حال، أو مقام؟ فيه خلاف بين الخراسانيين والعراقيين.
وحكم بينهم بعض الشيوخ، فقال: إن حصل بكسب فهو مقام، وإلا فهو حال.
والصحيح في هذا أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٥٥>

"وكذلك الرغبة والرهبة كل منهما ملتئم من الرجاء والخوف، والرجاء على الرغبة أغلب، والخوف على الرهبة أغلب.
وكل مقام من هذه المقامات فالسالكون بالنسبة إليه نوعان: أبرار، ومقربون، فالأبرار في أذياله، والمقربون في ذروة سنامه، وهكذا مراتب الإيمان جميعها، وكل من النوعين لا يحصي تفاوتهم، وتفاضل درجاتهم إلا الله.
وتقسيمهم ثلاثة أقسام عام، وخاص، وخاص خاص إنما نشأ من جعل الفناء غاية الطريق، وعلم القوم الذي شمروا إليه، وسنذكر ما في ذلك، وأقسام الفناء محموده ومذمومه، فاضله ومفضوله، فإن إشارة القوم إليه، إن شاء الله، ومدارهم عليه.
على أن الترتيب الذي يشير إليه كل مرتب للمنازل لا يخلو عن تحكم، ودعوى من غير مطابقة، فإن العبد إذا التزم عقد الإسلام، ودخل فيه كله، فقد التزم لوازمه الظاهرة والباطنة، ومقاماته وأحواله، وله في كل عقد من عقوده وواجب من واجباته أحوال ومقامات، لا يكون موفيا لذلك العقد والواجب إلا بها، وكلما وفى واجبا أشرف على واجب آخر بعده، وكلما قطع منزلة استقبل أخرى.
وقد يعرض له أعلى المقامات والأحوال في أول بداية سيره، فينفتح عليه من حال المحبة والرضا والأنس والطمأنينة ما لم يحصل بعد لسالك في نهايته، ويحتاج هذا السالك في نهايته إلى أمور من البصيرة، والتوبة، والمحاسبة أعظم من حاجة صاحب البداية إليها، فليس في ذلك ترتيب كلي لازم **للسلوك**.
وقد ذكرنا أن التوبة التي جعلوها من أول المقامات هي غاية العارفين، ونهاية أولياء الله المقربين، ولا ريب أن حاجتهم إلى المحاسبة في نهايتهم، فوق حاجتهم إليها في بدايتهم.
فالأولى الكلام في هذه المقامات على طريق المتقدمين من أئمة القوم كلاما مطلقا في كل مقام مقام، ببيان حقيقته وموجبه، وآفته المانعة من حصوله، والقاطع عنه، وذكر عامه وخاصه.
فكلام أئمة الطريق هو على هذا المنهاج، فمن تأمله كسهل بن عبد الله." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٥٨>

"السلوك عن السلف الأول وكلماتهم وهديهم، ولو برز لهم هديهم وحالهم لأنكروه، ولعدوه سلوكا عاميا، وللخاصة سلوك آخر، كما يقول ضلال المتكلمين وجهلتهم: إن القوم كانوا أسلم، وإن طريقنا أعلم، وكما يقول من لم يقدر قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا لاستنباطه، وضبط قواعده وأحكامه، اشتغالا منهم بغيره، والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه.

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعن عمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن، و ﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ [الطلاق: ٣] .

فالأولى بنا: أن نذكر منازل العبودية الواردة في القرآن والسنة، ونشير إلى معرفة حدودها ومراتبها، إذ معرفة ذلك من تمام معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وقد وصف الله تعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق، فقال تعالى ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ [التوبة: ٩٦] فبمعرفة حدودها دراية، والقيام بها رعاية يستكمل العبد الإيمان، ويكون من أهل " ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] ".

ونذكر لها ترتيبا غير مستحق، بل مستحسن، بحسب ترتيب السير الحسي، ليكون ذلك أقرب إلى تنزيل المعقول منزلة المشهود بالحس، فيكون التصديق أتم، ومعرفته أكمل، وضبطه أسهل.

فهذه فائدة ضرب الأمثال، وهي خاصة العقل ولبه، ولهذا أكثر الله تعالى منها في القرآن، ونفى عقلها عن غير العلماء، فقال تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

فاعلم أن العبد قبل وصول الداعي إليه في نوم الغفلة، قلبه نائم وطرفه يقظان، فصاح به الناصح، وأسمعه داعي النجاح، وأذن به مؤذن الرحمن: حي على الفلاح.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٦٠>

"عدمين، وأنه ليس له من ذاته إلا العدم، فعدمه بالذات، ووجوده بإيجاد الحق له، فيفنى في علمه، كما كان فانيا في حال عدمه، فإذا فني في علمه ارتقى إلى درجة أخرى فوق ذلك، وهي جحد السوى وإنكاره، وهذه أبلغ من الأولى، لأنها غيبته عن السوى، فقد يغيب عنه وهو غير جاحد له، وهذه الثانية جحده وإنكاره.

ومن هاهنا دخل الاتحادي، وقال: المراد جحد السوى بالكلية، وأنه ما ثم غير بوجه ما.

وحاشا شيخ الإسلام من إلحاد أهل الاتحاد، وإن كانت عبارته موهمة، بل مفهمة ذلك، وإنما أراد بالجحد في الشهود، لا في الوجود، أي يجحده أن يكون مشهودا، فيجحد وجوده الشهودي العلمي، لا وجوده العيني الخارجي، فهو أولا يغيب عن وجوده الشهودي العلمي، ثم ينكر ثانيا وجوده في علمه، وهو اضمحلاله جحدا، ثم يرتقي من هذه الدرجة إلى درجة أخرى أبلغ منها، وهي اضمحلاله في الحقيقة، وأنه لا وجود له البتة، وإنما وجوده قائم بوجود الحق، فلولا وجود الحق لم يكن هو موجودا، ففي الحقيقة: الموجود إنما هو الحق وحده، والكائنات من أثر وجوده، هذا معنى قولهم " إنها لا وجود لها ولا أثر لها، وإنها معدومة وفانية ومضمحلة ".

والاتحادي يقول: إن السالك في أول **سلوكه** يرى أنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله، فهذا توحيد العلم، ولا يقدر في طوره الأول على أكثر من ذلك، ثم ينتقل عن هذا إلى الدرجة الثانية، وهي شهود عود الأفعال إلى الصفات، والصفات إلى الذات، فعاد الأمر كله إلى الذات، فيجحد وجود السوى بالكلية، فهذا هو الاضمحلال جحدا، ثم يرتقي عن هذه الدرجة إلى ركوب البحر الذي تغرق فيه الأفعال والأسماء والصفات، ولا يبقى إلا أمر مطلق لا يتقيد باسم ولا فعل ولا صفة، قد اضمحل فيه كل معنى وقيد وصفة ورسم، وهذا عندهم غاية السفر الأول، فحينئذ يأخذ في السفر الثاني، وهو البقاء.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٧٠>

"مشاهدة المعاينة، ويغيب بمعاينه عن معاينته، لأن مراده انتفاء التعدد، والتغاير بين المعاين والمعاين، وإنما مراده: انتفاء الحاجب عن درجة الشهود، لا عن حقيقة الوجود، ولكنه باب لإلحاد هؤلاء الملاحدة، منه يدخلون.

وفرق بين إسقاط الشيء عن درجة الوجود العلمي الشهودي، وإسقاطه عن رتبة الوجود الخارجي العيني، فشيخ الإسلام بل مشايخ القوم المتكلمين بلسان الفناء هذا مرادهم.

وأما أهل الوحدة، فمرادهم: أن حضرة الجمع والوحدة تنفي التعدد والتقييد في الشهود والوجود، بحيث يبقى المعروف والمعرفة والعارف من عين واحدة، لا بل ذلك هو نفس العين الواحدة، وإنما العلم والعقل والمعرفة حجب، بعضها أغلظ من بعض، ولا يصير السالك عندهم محققا حتى يخرق حجاب العلم والمعرفة والعقل، فحينئذ يفضي إلى ما وراء الحجاب من شهود الوحدة المطلقة التي لا تتقيد بقيد، ولا تختص بوصف.

قوله: الدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الفناء.

أي يشهد فناء كل ما سوى الحق تعالى في وجود الحق، ثم يشهد الفناء قد فني أيضا، ثم يفنى عن شهود الفناء، فذلك هو الفناء حقا.

وقوله: شائما برق العين.

يعني ناظرا إلى عين الجمع، فإذا شام برقه من بعد انتقل من ذلك إلى ركوب لجة بحر الجمع، وركوبه إياها هو فناؤه في جمعه.

ويعني بالجمع: الحقيقة الكونية والقدرية التي يجتمع فيها جميع المتفرقات، وتشمير القوم إلى شهودها والاستغراق والفناء فيها هو غاية **السلوك** والمعرفة عندهم.

وسنذكر إن شاء الله تعالى أن العبد لا يدخل بهذا الفناء والشهود في الإسلام،." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٧٣>

"عليهما وسلم لما خر صعقا حين تجلى ربه للجبل وجعله دكا.

[فصل أسباب الفناء]

فصل

وهذا الفناء له سببان:

أحدهما: قوة الوارد وضعف المورود، وهذا لا يذم صاحبه.

الثاني: نقصان العلم والتمييز، وهذا يذم صاحبه، لا سيما إذا أعرض عن العلم الذي يحول بينه وبين هذا الفناء، وذمه وذم أهله، ورأى ذلك عائقا من عوائق الطريق، فهذا هو المذموم المخوف عليه.

ولهذا عظمت وصية القوم بالعلم، وحذروا من **السلوك** بلا علم، وأمروا بهجر من هجر العلم وأعرض عنه، وعدم القبول منه، لمعرفتهم بمآل أمره، وسوء عاقبته في سيره، وعامة من تزندق من السالكين فلإعراضه عن دواعي العلم، وسيره على جادة الذوق والوجد، ذاهبة به الطريق كل مذهب، فهذا فتنته والفتنة به شديدة، وبالله التوفيق.

[فصل أصل الفناء]

فصل

وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية، وهو رؤية تفرد الله بخلق الأشياء، وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ما شاءه وكونه، فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها، ومشيئته لها،

وقدرته عليها، وشمول قيوميته وربوبيته لها، ولا يشهد ما افترقت فيه من محبة الله لهذا وبغضه لهذا، وأمره بما أمر به، ونهيه عما نهى عنه، وموالاته لقوم ومعاداته لآخرين.

فلا يشهد التفرقة في الجمع، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية، تفرقة موجب الإلهية في جمع الربوبية، تفرقة الإرادة الدينية في جمع الإرادة الكونية، تفرقة ما يحبه ويرضاه في جمع ما قدره وقضاه، لا يشهد الكثرة في الوجود، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، واقتضاؤها لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها.

فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته.

فهو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن العزيز، الجبار المتكبر، وكل اسم له صفة، وللصفة حكم، فهو سبحانه واحد الذات، كثير الأسماء والصفات، فهذه كثرة في وحدة.

والفرق بين مأموره ومنهيه، ومحبوبه ومبغوضه، ووليه وعدوه، تفرقة في جمع، فمن." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٧٨>

"العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، إذا تناهوا في حقيقتهم أضافوا الجميع إلى الله إضافة المحبة والرضى، وجعلوها عين المشيئة والخلق، ضاهئوا الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ [النحل: ٣٥] وقولهم عن آلهتهم ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ [الزخرف: ٢٠] وقوله ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ [الأعراف: ٢٨] فاحتجوا بإقرار الله لهم قدرا وكونا على رضاه ومحبته وأمره، وأنه لو كره ذلك منهم لحال بينهم وبينه، ولما أقرهم عليه، فجعلوا قضاءه وقدره عين محبته ورضاه، وورثهم من سوى بين المخلوقات، ولم يفرق بالفرق النبوي القرآني.

وطائفة من المشركين ذكرت ذلك معارضين لأمر الله ونهيه، وما بعث به رسله، بقضائه وقدره، فعارضوا الحقيقة الدينية الشرعية بالحقيقة الكونية القدرية، وورثهم من يحتج بالقضاء والقدر في مخالفة الأمر والنهي، وكلا الطائفتين أبطلت أمره ونهيه بقضائه وقدره.

وظنت طائفة ثالثة أن إثبات القضاء والقدر يبطل الشرائع والنبوات، وأن المشركين احتجوا على بطلانها بإثباته، فجعلت التكذيب به من أصول الإيمان، بل أعظم أصوله، فردت قضاء الله وقدره الشامل العام بأمره ونهيه.

فانظر إلى اقتسام الطوائف هذا الموضع، وافتراقهم في مفرق هذا الطريق علما وخبرا، **وسلوكا** وحقيقة، وتأمل أحوال الخلق في هذا المقام، تنكشف لك أسرار العالمين، وتعلم أين أنت وأين مقامك؟ وتعرف ما جنى هذا الجمع وهذا الفناء على الإيمان، وما خرب من القواعد والأركان، وتتحقق حينئذ أن الدين كله فرقان في القرآن، فرق في جمع، وكثرة في وحدة، كما تقدم بيانه، وأن أولى الناس بالله وكتبه ورسله ودينه أصحاب الفرق في الجمع، فيقومون بالفرق بين ما يحبه الله ويبغضه، ويأمر به وينهى عنه، ويواليه ويعاديه، علما وشهودا، وإرادة وعملا، مع شهودهم الجمع لذلك كله في قضائه وقدره، ومشيئته الشاملة العامة، فيؤمنون بالحقيقة الدينية والكونية، ويعطون كل حقيقة حظها من العبادة.

فحظ الحقيقة الدينية القيام بأمره ونهيه، ومحبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٨١>

"والحكم الكوني أيضا متضمن لمنته وحجته، فإذا حكم له كونا حكما مصحوبا باتصال الحكم الديني به فهو منة عليه، وإن لم يصحبه الديني فهو حجة منه عليه.

وكذلك حكمه الديني إذا اتصل به حكمه الكوني، فتوفيقه للقيام به منة منه عليه، وإن تجرد عن حكمه الكوني صار حجة منه عليه، فالمنة باقتران أحد الحكمين بصاحبه، والحجة في تجرد أحدهما عن الآخر، فكل علم صحبه عمل يرضي الله سبحانه فهو منة، وإلا فهو حجة.

وكل قوة ظاهرة وباطنة صحبها تنفيذ لمرضاته وأوامره فهي منة، وإلا فهي حجة.

وكل حال صحبه تأثير في نصرة دينه، والدعوة إليه فهو منة منه، وإلا فهو حجة.

وكل مال اقترن به إنفاق في سبيل الله وطاعته، لا لطلب الجزاء ولا الشكور، فهو منة من الله عليه، وإلا فهو حجة.

وكل فراغ اقترن به اشتغال بما يريد الرب من عبده فهو منة عليه، وإلا فهو حجة.

وكل قبول في الناس، وتعظيم ومحبة له، اتصل به خضوع للرب، وذل وانكسار، ومعرفة بعيب النفس والعمل، وبذل النصيحة للخلق فهو منة، وإلا فهو حجة.

وكل بصيرة وموعظة، وتذكير وتعريف من تعريفات الحق سبحانه إلى العبد، اتصل به عبرة ومزيد في العقل، ومعرفة في الإيمان فهي منة، وإلا فهي حجة.

وكل حال مع الله تعالى، أو مقام اتصل به السير إلى الله، وإيثار مراده على مراد العبد، فهو منة من الله، وإن صحبه الوقوف عنده والرضى به، وإيثار مقتضاه، من لذة النفس به وطمأنينتها إليها، وركونها إليه، فهو

حجة من الله عليه.

فليتأمل العبد هذا الموضع العظيم الخطر، ويميز بين مواقع المنن والمحن، والحجج والنعم، فما أكثر ما يلتبس ذلك على خواص الناس وأرباب **السلوك**، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[فصل الركن الثاني التمييز بين ما للعبد وما عليه]

فصل

الركن الثاني من أركان المحاسبة:

وهي أن تميز ما للحق عليك وبين ما لك وما عليك من وجوب العبودية، والتزام الطاعة، واجتناب."

<مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/١٩٠>

"ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه، وإساءة الظن به، فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق **السلوك** المحل الذي لا يجهل، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم، صلوات الله وسلامه عليه، والكامل من عد خطؤه، ولا سيما في مثل هذا المجال الضنك، والمعترك الصعب، الذي زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وافترقت بالسالكين فيه الطرقات، وأشرفوا - إلا أقلهم - على أودية الهلكات.

وكيف لا؟ وهو البحر الذي تجري سفينة راكبه في موج كالجبال، والمعترك الذي تضاءلت لشهوده شجاعة الأبطال، وتحيرت فيه عقول ألباء الرجال، ووصلت الخليقة إلى ساحله يبغون ركوبه.

فمنهم: من وقف مطرقا دهشا، لا يستطيع أن يملأ منه عينه، ولا ينقل عن موقفه قدمه، قد امتلأ قلبه بعظمة ما شاهد منه، فقال: الوقوف على الساحل أسلم، وليس بلبيب من خاطر بنفسه.

ومنهم: من رجع على عقبيه لما سمع هديره، وصوت أمواجه، ولم يطق نظرا إليه.

ومنهم: من رمى بنفسه في لجحه، تخفضه موجة، وترفعه أخرى.

فهؤلاء الثلاثة على خطر، إذ الواقف على الساحل عرضة لوصول الماء تحت قدميه، والهارب - ولو جد في الهرب - فما له مصير إلا إليه، والمخاطر ناظر إلى الغرقى كل ساعة بعينيه، وما نجا من الخلق إلا الصنف الرابع، وهم الذين انتظروا موافاة سفينة الأمر، فلما قربت منهم ناداهم الربان ﴿اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] فهي سفينة نوح حقا، وسفينة من بعده من الرسل، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، فركبوا سفينة الأمر بالقدر، تجري بهم في تصاريف أمواجه على حكم التسليم لمن بيده

التصرف في البحار، فلم يك إلا غفوة، حتى قيل لأرض الدنيا وسمائها: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على جودي دار القرار.

والمتخلفون عن السفينة – كقوم نوح – أغرقوا، ثم أحرقوا، ونودي عليهم على." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢١٦>

"أصبحت منفعلا لما تختاره ... مني ففعلي كله طاعات

فإذا ترقى مرتبة أخرى، وزال عنه الفرق بين الرب والعبد – كما زال عنه في المرتبة الثانية الفرق بين المحبوب والمسخوط، والمأمور والمحظور – قال: ما ثم طاعة، ولا معصية، إذ الطاعة والمعصية إنما يكونان بين اثنين ضرورة، والمطيع عين المطاع، فما هاهنا غير، فالوحدة المطلقة تنفي الطاعة والمعصية، فالصعود من وحدة الفعل إلى وحدة الوجود، يزيل عنه – بزعمه – توهم الانقسام إلى طاعة ومعصية، كما كان الصعود من تفرقة الأمر إلى وحدة الحكم يزيل عنه ثبوت المعصية.

وهذا عند القوم من الأسرار التي لا يستجيزون كشفها إلا لخواصهم، وأهل الوصول منهم.

لكن صاحب المنازل بريء من هؤلاء وطريقتهم، وهو مكفر لهم، بل مخرج لهم من جملة الأديان، ولكن ذكرنا ذلك لأنهم يحملون كلامه عليه، ويظنونه منهم.

فاعلم أن هذا مقام عظيم، زلت فيه أقدام طائفتين من الناس: طائفة من أهل الكلام والنظر، وطائفة من أهل **السلوك** والإرادة.

فنفى لأجله كثير من النظار التحسين والتقبيح العقليين، وجعلوا الأفعال كلها." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٤٤>

"[فصل غلط السالكين في الفرق الطبيعي والشرعي]

فصل وأما غلط من غلط من أرباب **السلوك** والإرادة في هذا الباب فحيث ظنوا أن شهود الحقيقة الكونية، والفناء في توحيد الربوبية، من مقامات العارفين، بل أجل مقاماتهم، فساروا شائمين لبرق هذا الشهود، سالكين لأودية الفناء فيه، وحثهم على هذا السير، ورغبهم فيه ما شهدوه من حال أرباب الفرق الطبعي فأنفوا من صحبتهم في الطريق، ورأوا مفارقتهم فرض عين لا بد منه، فلما عرض لهم الفرق الشرعي في طريقهم، ورد عليهم منه أعظم وارد فرق جمعيتهم، وقسم وحدة عزيمتهم، وحال بينهم وبين عين الجمع، الذي هو نهاية منازل سيرهم، فافترقت طرقهم في هذا الوارد العظيم.

فمنهم من اقتحمه ولم يلتفت إليه، وقال: الاشتغال بالأوراد عن عين الموروود انقطاع عن الغاية، والقصد من

الأوراد الجمعية على الآخر، فما الاشتغال عن المقصود بالوسيلة بعد الوصول إليه، والرجوع من حضرته إلى منازل السفر إليه؟ وربما أنشد بعضهم:

يطالب بالأوراد من كان غافلا ... فكيف بقلب كل أوقاته ورد

فإذا اضطر أحدهم إلى التفرقة بوارد الأمر، قال: ينبغي أن يكون الفرق على اللسان موجودا، والجمع في القلب مشهودا.

ثم من هؤلاء من يسقط الأوامر والنواهي جملة، ويرى القيام بها من باب ضبط ناموس الشرع، ومصلحة العموم، ومبادئ السير، فهي التي تحث أهل الغفلة على التشمير للسير، فإذا جد في المسير استغنى بقربه وجمعيته عنها.

ومنهم من لا يرى سقوطها إلا عمن شهد الحقيقة الكونية، ووصل إلى مقام الفناء فيها، فمن كان هذا مشهده سقط عنه الأمر والنهي عندهم.

وقد يقولون: شهود الإرادة يسقط الأمر، وفي هذا المشهد يقولون: العارف لا يستقبح قبيحة، ولا يستحسن حسنة.

ويقول قائلهم: العارف لا ينكر منكرا، لاستبصاره بسر الله في القدر.

ويقولون: القيام بالعبادة مقام التلبيس، ويحتجون بقوله تعالى ﴿وللبسنا عليهم م ا يلبسون﴾ [الأنعام: ٩] .." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٥٨>

"وأثر اسمه الحكيم في الخلق والأمر إنما قام بالأسباب، وكذلك الدنيا والآخرة، وكذلك الثواب والعقاب، فجعل الأسباب منصوبة للتلبيس من أعظم الباطل شرعا وقدرا.

وإن الذي أوقع هؤلاء في هذا الغلو هو نفرتهم من أرباب الفرق الأول، ومشاهدتهم قبح ما هم عليه.

وهم - لعمر الله - خير منهم، مع ما هم عليه، فإنهم مقرون بالجمع والفرق، وأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه فرق بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وإن كانوا كثيرا ما يفرقون بأهوائهم ونفوسهم، فهم في فرقهم النفسي خير من أهل هذا الجمع، إذ هم مقرون أن الله يأمر بالحسنات ويحبها، وينهى عن السيئات ويبغضها، وإذا فرقوا بحسب أهوائهم، وفرقوا بنفوسهم لم يجعلوا هذا الفرق دينا يسقط عنهم أمر الله ونهيه، بل يعترفون أنه ذنب قبيح، وأنهم مقصرون، بل مفرطون في الفرق الشرعي، ونهاية ما معهم صحة إيمان مع غفلة وفرق نفساني، وأولئك معهم جمع، وشهود يصحبه فساد إيمان، وخروج عن الدين.

ومن العجب أنهم فروا من فرق أولئك النفسي إلى جمع أسقط التفرقة الشرعية، ثم آل أمرهم إلى أن صار فرقهم كله نفسيا، فهم في الحقيقة راجعون إلى فرقهم، ولا بد، فإن الفرق أمر ضروري للإنسان ولا بد، فمن لم يفرق بالشرع فرق بالنفس والهوى، فهم أعظم الناس اتباعا لأهوائهم، يميلون مع الهوى حيث مال بهم ويزعمون أنه الحقيقة.

وبالجملة فلهذا **السلوك** لوازم عظيمة البطلان، منافية للإيمان، جالبة للخسران ﴿أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٦٠] وآخر أمر صاحبه الفناء في شهود الحقيقة العامة المشتركة بين الأبرار والفجار وبين الملائكة والشياطين، وبين الرسل وأعدائهم، وهي الحقيقة الكونية القدرية، ومن وقف معها ولم يصعد إلى الفرق الثاني - وهو الحقيقة الدينية النبوية - فهو زنديق كافر.

ومنهم من لم ير إسقاط الفرق الثاني جملة، بل إنما يسقطه عن الواصل إلى عين." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٦٠>

"فتدبر هذا الفصل، وأحط به علما، فإنه من قواعد **السلوك** والمعرفة، وكم قد زلت فيه من أقدام، وضلت فيه من أفهام، ومن عرف ما عند الناس، ونهض من مدينة طبعه إلى السير إلى الله، عرف مقداره، فمن عرفه عرف مجامع الطرق، ومفترق الطرق، التي تفرقت بالسالكين، وأهل العلم والنظر، والله سبحانه الموفق للصواب.

فصل أصل ذلك كله هو الفرق بين محبة الله ورضاه، ومشيئته وإرادته الكونية، ومنشأ الضلال في هذا الباب من التسوية بينهما، أو اعتقاد تلازمهما، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، وقالوا: المشيئة والمحبة سواء، أو متلازمان.

ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله - قضاؤه وقدره، طاعته ومعاصيه، خيره وشره - فهو محبوبه.

ثم من تعبد منهم، وسلك على هذا الاعتقاد رأى أن الأفعال جميعها محبوبة للرب، إذ هي صادرة عن مشيئته، وهي عين محبته ورضاه، وفني في هذا الشهود الذي كان اعتقادا، ثم صار مشهدا، فلزم من ذلك ما تقدم، من أنه لا يستقبح سيئة، ولا يستنكر منكرا، وتلك اللوازم الباطلة المنافية للشرائع جملة.

ولما ورد على هؤلاء قوله تعالى ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥] ، ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] وقوله: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ [الإسراء: ٣٨] واعتاص عليهم كيف يكون مكروها له، وقد أراد كونه؟ وكيف لا يحبه، وقد أراد وجوده؟ أولوا هذه الآيات ونحوها بأنه لا يحبها دينا،

ولا يرضاها شرعا، ويكرهها كذلك، بمعنى أنه لا يشرعها، مع كونه يحب وجودها ويريده.

فشهدوا في مقام الفناء كونها محبوبة الوجود، ورأوا أن المحبة تقتضي موافقة المحبوب فيما يحبه، والكون كله محبوبه، فأحبوا - بزعمهم - جميع ما في الكون، وكذبوا وتناقضوا، فإنما أحبوا ما تهواه نفوسهم وإرادتهم، فإذا كان في الكون ما لا يلائم أحدهم ويكرهه طبعه أبغضه، ونفر منه وكرهه، مع كونه مرادا للمحبوب، فأين الموافقة؟ وإنما وافقوا أهواءهم وإراداتهم.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٦٤>

"قسمان: منه ما يرضى به، ومنه ما لا يرضى به.

وهذا جواب من يقول: الفعل غير المفعول، والقضاء غير المقضي.

وأما من يقول: إن الفعل هو عين المفعول، والقضاء هو عين المقضي، فلا يمكنه أن يجيب بهذا الجواب.

ويقال ثالثا: القضاء له وجهان:

أحدهما: تعلقه بالرب تعالى، ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يرضى به كله.

الوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به، وإلى ما لا يرضى به.

مثال ذلك: قتل النفس - مثلا - له اعتباران، فمن حيث إنه قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه، وجعله أجلا للمقتول، ونهاية لعمره يرضى به، ومن حيث إنه صدر من القاتل، وباشره وكسبه، وأقدم عليه باختياره، وعصى الله بفعله يسخطه ولا يرضى به.

فهذه نهاية أقدام العالم، المقرين بالنبوات في هذه المسألة، ومفترق طرقهم، قد حصرت لك أقوالهم ومآخذهم، وأصول تلك الأقوال، بحيث لا يشذ منها شيء، وبالله التوفيق.

ولا تنكر الإطالة في هذا الموضع، فإنه مزلة أقدام الخلق، وما نجا من معاطبه إلا أهل البصائر والمعرفة بالله وصفاته وأمره وشرائعه.

[فصل توبة العامة]

ثم قال صاحب المنازل:

فتوبة العامة الاستكثار من الطاعة، وهو يدعو إلى جحود نعمة الستر والإمهال، ورؤية الحق على الله، والاستغناء - الذي هو عين الجبروت - والتوثب على الله.

" العامة " عندهم من عدا باب الجمع والفناء، وإن كانوا أهل سلوك وإرادة وعلم، هذا مرادهم بالعامة،

ويسمونهم " أهل الفرق " ويسميهم غلاتهم " المحجوبين ".." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٦٩>

"درجة، وحط عنك بها خطيئة» .

فصل وهذه الطريقة في الإرادة والطلب نظير طريقة التجهم في العلم والمعرفة، تلك تعطيل للصفات والتوحيد، وهذه تعطيل للأمر والعبودية، وانظر إلى هذا النسب والإخاء الذي بينهما، كيف شرك بينهما في اللفظ، كما شرك بينهما في المعنى؟ فتلك طريقة النفي، وهذه طريقة الفناء، تلك نفي لصفات المعبود، وهذه فناء عن عبوديته.

وأما نفي خواص العبيد وفناؤهم فأمر وراء نفي أولئك وفنائهم، لأن نفيهم لصفات النقائص، وما يضاد أوصاف الكمال، وفناءهم عن إرادة غيره ومحبته، وخوفه ورجائه، ففناؤهم عن كل ما يخالف أمره ومحابه، ونفيهم لكل ما يضاد كماله وجلاله، ومن له فرقان فهو يعرف هذا وهذا، وغيره لا اعتبار به.

وصاحب المنازل – رحمه الله – كان شديد الإثبات للأسماء والصفات، مضادا للجهمية من كل وجه، وله كتاب الفاروق استوعب فيه أحاديث الصفات وآثارها، ولم يسبق إلى مثله، وكتاب ذم الكلام وأهله طريقته فيه أحسن طريقة، وكتاب لطيف في أصول الدين، يسلك فيه طريقة أهل الإثبات ويقررها، وله مع الجهمية المقامات المشهودة، وسعوا بقتله إلى السلطان مرارا عديدة، والله يعصمه منهم، ورموه بالتشبيه والتجسيم، على عادة بهت الجهمية والمعتزلة لأهل السنة والحديث، الذين لم يتحيزوا إلى مقالة غير ما دل عليه الكتاب والسنة.

ولكنه – رحمه الله – كانت طريقته في السلوك مضادة لطريقته في الأسماء والصفات، فإنه لا يقدم على الفناء شيئا، ويراه الغاية التي يشمر إليها السالكون، والعلم الذي يؤمه السائرون، واستولى عليه ذوق الفناء وشهود الجمع، وعظم موقعه عنده، واتسعت إشاراته إليه، وتنوعت به الطرق الموصلة إليه، علما وحالا وذوقا، فتضمن ذلك تعطيلا من العبودية، باديا على صفحات كلامه. وزان تعطيل الجهمية لما اقتضته أصولهم من نفي الصفات.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٧٥>

"والذي ساقهم إلى ذلك سلوك وادي الفناء في الشهود، فلا يشهد مع الحق سببا، ولا وسيلة ولا رسما البتة.

ونحن لا ننكر ذوق هذا المقام، وأن السالك ينتهي إليه، ويجد له حلاوة ووجدا ولذة لا يجدها لغيره البتة،

وإنما يطالب أربابه والمشمرون إليه بأمر وراءه، وهو أن هذا هو الكمال، وهو أكمل من حال من شهد أفعاله ورآها، ورأى تفاصيلها مشاهدا لها، صادرة عنه بمشيئة الله وإرادته ومعونته، فشهد عبوديته مع شهود معبوده، فكلاهما نقص، والكمال: أن تشهد العبودية حاصلة بمنة المعبود وفضله ومشيئته، فيجتمع لك الشهودان، فإن غبت بأحدهما عن الآخر فالمقام مقام توبة، وهل في الغيبة عن العبودية إلا هضم لها؟ .

والواجب: أن يقع التحاكم في ذلك إلى الله ورسوله، وإلى حقائق الإيمان دون الذوق، فإننا لا ننكر ذوق هذه الحال، وإنما ننكر كونها أكمل من غيرها، فأين الإشارة في القرآن، أو في السنة، أو في كلام سادات العارفين من الصحابة ومن تبعهم إلى هذا الفناء، وأنه هو الكمال، وأن رؤية العبد لفعله بالله وحوله وفضله وشهوده له كذلك علة تجب التوبة منها؟ .

وهذا القدر مما يصعب إنكاره على القوم جدا، ويرمون منكره بأنه محجوب من أهل الفرق، وأنه لم يصل إلى هذا المقام، ولو وصل إليه لما أنكره، وليس في شيء من ذلك حجة لتصحيح قولهم، ولا جواب المطالبة، فقد سألك هذا المحجوب عن مسألة شرعية، وما ذكرتموه ليس بجواب لها.

ولعمر الله إنه يراكم محجوبين عن حال أعظم من هذه الحال، ومقام أرفع منه، وليس في مجرد الفناء والاستغراق في شهود القيومية، وإسقاط الأسباب والعلل والحكم والوسائط كثير علم، ولا معرفة ولا عبودية، وهل المعرفة كل المعرفة، والعبودية إلا شهود الأشياء على ما هي عليه؟ والقرآن كله مملوء من دعاء العباد إلى التفكر في الآيات، والنظر في أحوال المخلوقات، ونظر الإنسان في نفسه وتفاصيل أحواله، وأخص من ذلك نظره فيما قدم لغده، ومطالعته لنعم الله عليه بالإيمان والتوفيق والهداية، وتذكر ذلك والتفكر فيه، وحمد الله وشكره عليه، وهذا لا يحصل مع الفناء حتى عن رؤية الرؤية، وشهود الشهود.

ثم إن هذا غير ممكن البتة، فإنكم إذا جعلتم رؤيته لتوبته علة يتوب منها، فإن رؤيته لتلك الرؤية أيضا علة توجب عليه توبة، وهلم جرا، فلا ينتهي الأمر إلا بسقوط." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٨١>

"ونظير هذا هدايته لعبده قبل الاهتداء، فيهتدي بهدايته، فتوجب له تلك الهداية هداية أخرى يثيبه الله بها هداية على هدايته، فإن من ثواب الهدى الهدى بعده، كما أن من عقوبة الضلالة الضلالة بعدها، قال الله تعالى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ [محمد: ١٧] فهداهم أولا فاهتدوا، فزادهم هدى ثانيا، وعكسه في أهل الزيغ كقوله تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥] فهذه الإزاغة الثانية عقوبة لهم على زيغهم.

وهذا القدر من سر اسميه الأول والآخر، فهو المعد، وهو الممد، ومنه السبب والمسبب، وهو الذي يعيذ من نفسه بنفسه، كما قال أعرف الخلق به: «وأعوذ بك منك،» والعبد تواب، والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد.

[فصل مبدأ التوبة ومنتهاها]

والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها الرجوع إلى الله **بسلوك** صراطه المستقيم الذي نصبه لعباده، موصلا إلى رضوانه، وأمرهم **بسلوكه** بقوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ [الأنعام: ١٥٣] وبقوله: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ [الشورى: ٥٢] وبقوله: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾ [الحج: ٢٤] .

ونهايتها الرجوع إليه في المعاد، **وسلوك** صراطه الذي نصبه موصلا إلى جنته، فمن رجع إلى الله في هذه الدار بالتوبة رجع إليه في المعاد بالثواب، وهذا هو أحد التأويلات في قوله تعالى ﴿ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾ [الفرقان: ٧١] قال البغوي وغيره: يتوب إلى الله متابا يعود إليه بعد الموت، متابا حسنا يفضل على غيره فالتوبة الأولى - وهي قوله: ومن تاب - رجوع عن الشرك، والثانية: رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٣٢٠>

"يحمي العبد ويمنعه، ويعصمه ويدفع عنه، فإن ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد، والله يدافع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه، فتفقد في حقه أسباب العطب، فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها، ويدفع عنه قدره بقدره، وإرادته بإرادته، ويعيذه به منه.

فصل.

وأما صاحب المنازل فقال: الاعتصام بالله الترقي عن كل موهوم.

الموهوم عنده ما سوى الله تعالى، والترقي عنه الصعود من شهود نفعه وضره وعطائه ومنعه وتأثيره إلى الله تعالى، وهذه إشارة إلى الفناء. ومراده: الصعود عن شهود ما سوى الله إلى الله. والكمال في ذلك: الصعود عن إرادة ما سوى الله إلى إرادته.

والاتحادي يفسره بالصعود عن وجود ما سواه إلى وجوده، بحيث لا يرى لغيره وجودا البتة، ويرى وجود كل

موجود هو وجوده، فلا وجود لغيره إلا في الوهم الكاذب عنده.

قال: وهو على ثلاث درجات: اعتصام العامة بالخبر، استسلاما وإذعانا، بتصديق الوعد والوعيد، وتعظيم الأمر والنهي، وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف.

يعني أن العامة اعتصموا بالخبر الوارد عن الله، استسلاما من غير منازعة، بل إيمانا واستسلاما، وانقادوا إلى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لهما، والتصديق بالوعد والوعيد، وأسسوا معاملتهم على اليقين، لا على الشك والتردد، وسلوك طريقة الاحتياط، كما قال القائل:

زعم المنجم والطبيب كلاهما ... لا تبعث الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولي فالخسار عليكما." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٦٠>

"ويبيح له ما فيه أعظم السقم؟ والمنصف يعلم أنه لا نسبة بين سقم الأرواح بسكر الشراب، وسقمها بسكر السماع. وكلامنا مع واجد لا فاقد، فهو المقصود بالخطاب.

وأعجب من هذا: استدلالكم على إباحة السماع المركب مما ذكرنا من الهيئة الاجتماعية بغناء بنيتين صغيرتين دون البلوغ، عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح، بأبيات من أبيات العرب، في وصف الشجاعة والحروب، ومكارم الأخلاق والشيم، فأين هذا من هذا؟ .

والعجب أن هذا الحديث من أكبر الحجج عليهم، فإن الصديق الأكبر رضي الله عنه سمى ذلك مزمورا من مزامير الشيطان وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه التسمية ورخص فيه لجويريتين غير مكلفتين، ولا مفسدة في إنشادهما، ولا استماعهما، أفيدل هذا على إباحة ما تعملونه وتعلمونه من السماع المشتمل على ما لا يخفى؟ فيا سبحان الله! كيف ضلت العقول والأفهام؟ .

وأعجب من هذا كله: الاستدلال على إباحته بما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحداء المشتمل على الحق والتوحيد؟ ! وهل حرم أحد مطلق الشعر، وقوله واستماعه؟ فكم في هذا التعلق ببيوت العنكبوت؟ .

وأعجب من هذا: الاستدلال على إباحته بإباحة أصوات الطيور اللذيذة، وهل هذا إلا من جنس قياس الذين قالوا ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] وأين أصوات الطيور إلى نغمات الغيد الحسان، والأوتار والعيدان، وأصوات أشباه النساء من المردان، والغناء بما يحدو الأرواح والقلوب إلى مواصلة كل محبوبة ومحبوب؟ وأين الفتنة بهذا إلى الفتنة بصوت القمري والبلبل والهزار ونحوها؟ .

بل نقول: لو كانا سواء لكان اتخاذ هذا السماع قربة وطاعة تستنزل به المعارف والأذواق والمواجيد، وتحرك به الأحوال بمنزلة التقرب إلى الله بأصوات الطيور، ومعاذ الله أن يكونا سواء.

والذي يفصل النزاع في حكم هذه المسألة ثلاث قواعد، من أهم قواعد الإيمان **والسلوك**، فمن لم يبن عليها فبناؤه على شفا جرف هار.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٩١>

"القاعدة الأولى:

أن الذوق والحال والوجد: هل هو حاكم أو محكوم عليه، فيحكم عليه بحاكم آخر، ويتحاكم إليه؟ .

فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة، حيث جعلوه حاكما، فتحاكموا إليه فيما يسوغ ويمتنع، وفيما هو صحيح وفاسد، وجعلوه محكا للحق والباطل، فنبذوا لذلك موجب العلم والنصوص، وحكموا فيها الأذواق والأحوال والمواجيد، فعظم الأمر، وتفاقم الفساد والشر، وطمست معالم الإيمان **والسلوك** المستقيم، وانعكس السير، وكان إلى الله فصيره إلى النفوس، فالناس المحجوبون عن أذواقهم يعبدون الله، وهؤلاء يعبدون نفوسهم.

ومن العجب أنهم دخلوا في أنواع الرياضات والمجاهدات والزهد، ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها، فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها، ومن حظوظ إلى حظوظ أحط منها، وكان حالهم في شهوات نفوسهم التي انتقلوا عنها أكمل، وحال أربابها خيرا من حال هؤلاء، لأنهم لم يعارضوا بها العلم، ولا قدموها على النصوص، ولا جعلوها دينا وقربة، ولا ازدروا من أجلها العلم وأهله. والشهوات التي انتقلوا إليها جعلوها أعلى ما يشمرون إليها، فهي قبلة قلوبهم، فهم حولها عاكفون، واقفون مع حظوظهم من الله، فانون بها عن مراد الله منهم، الناس يعبدون الله، وهم يعبدون أنفسهم، عائبون على أهل الحظوظ والشهوات ومزدرون لهم، وهم أعظم الناس حظوظا، وإنما زهدوا في حظ إلى حظ أعلى منه، وإنما تركوا شهوة لشهوة أحط.

فليتدبر اللبيب هذا الموضع في نفسه وفي غيره، فكل ما خالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته، مالا كان، أو رياسة، أو صورة، أو حالا، أو ذوقا، أو وجدا.

ثم من قدمه على مراد الله فهو أسوأ حالا ممن عرف أنه نقص ومحنة، وأن مراد الله أولى بالتقديم منه، فهو يتوب منه كل وقت إلى الله.

ثم إنه وقع من تحكيم الذوق من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، فإن الأذواق مختلفة في أنفسها، كثيرة الألوان، متباينة أعظم التباين، فكل طائفة لهم أذواق وأحوال ومواجيد، بحسب معتقداتهم **وسلوكهم**.

فالقائلون بوحدة الوجود لهم ذوق وحال ووجد في معتقدهم بحسبه، والنصارى لهم ذوق في النصرانية بحسب رياضتهم وعقائدهم، وكل من اعتقد شيئا أو سلك." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٩٢>

"سلوكا حقا كان أو باطلا فإنه إذا ارتاض وتجرد لزمه، وتمكن من قلبه، وبقي له فيه حال وذوق ووجد، فيذوق من يزن الحقائق إذن ويعرف الحق من الباطل.

وهذا سيد أهل الأذواق والمواجيد، والكشوف والأحوال، من هذه الأمة المحدث المكاشف عمر رضي الله عنه لا يلتفت إلى ذوقه ووجده ومخاطبته في شيء من أمور الدين، حتى ينشد عنه الرجال والنساء والأعراب، فإذا أخبروه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يلتفت إلى ذوقه، ولا إلى وجده وخطابه، بل يقول " لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره " ويقول " أيها الناس، رجل أخطأ وامرأة أصابت " فهذا فعل الناصح لنفسه وللأمة رضي الله عنه، ليس كفعل من غش نفسه والدين والأمة.

القاعدة الثانية:

أنه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال، أو حال من الأحوال، أو ذوق من الأذواق، هل هو صحيح أو فاسد؟ وحق أو باطل؟ وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله وعند عباده المؤمنين، وهي وحيه الذي تتلقى أحكام النوازل والأحوال والواردات منه، وتعرض عليه وتوزن به، فما زكاه منها وقبله ورجحه وصححه فهو المقبول، وما أبطله ورده فهو الباطل المردود، ومن لم يبن على هذا الأصل علمه وسلوكه وعمله فليس على شيء من الدين، وإن وإن، وإنما معه خدع وغرور ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ [النور: ٣٩] .

القاعدة الثالثة:

إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم؟ فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته، فإن كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة، فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته، بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي، ولاسيما إذا كان طريقا مفضيا إلى ما يغضب الله ورسوله موصلا إليه عن قرب." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٩٣>

"وسر ذلك أن الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالى ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا﴾ [المجادلة: ١٠] ونهى النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث، لأن ذلك

يحزنه. فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن» فهو قرين الهم، والفرق بينهما أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مفتر للعزم.

ولكن نزول منزلته ضروري بحسب الواقع، ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤] فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما يصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم.

وأما قوله تعالى ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون﴾ [التوبة: ٩٢] فلم يمدحوا على نفس الحزن، وإنما مدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن إلا كفر الله به من خطاياه» فهذا يدل على أنه مصيبة من الله يصيب بها العبد." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٥٠١/١>

"وأما قوله تعالى عن نبيه إسرائيل ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ [يوسف: ٨٤] فهو إخبار عن حاله بمصابه بفقد ولده، وحبيبه، وأنه ابتلاه بذلك كما ابتلاه بالتفريق بينه وبينه.

وأجمع أرباب السلوك على أن حزن الدنيا غير محمود إلا أبا عثمان الحيري، فإنه قال: الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن، ما لم يكن بسبب معصية، قال: لأنه إن لم يوجب تخصيصا، فإنه يوجب تمحيصا. فيقال: لا ريب أنه محنة وبلاء من الله، بمنزلة المرض والهم والغم، وأما إنه من منازل الطريق فلا، والله سبحانه أعلم.

فصل

قال صاحب المنازل: الحزن توجع لفائت، وتأسف على ممتنع.

يريد أن ما يفوت الإنسان قد يكون مقدورا له، وقد لا يكون، فإن كان مقدورا توجع لفوته، وإن كان غير مقدور تأسف لامتناعه.

قال: وله ثلاث درجات، الأولى: حزن العامة، وهو حزن على التفريط في الخدمة، وعلى التورط في الجفاء،

وعلى ضياع الأيام.

التفريط في الخدمة عندهم فوق التفريط في العمل وتضييعه، بل هذا الحزن يكون مع القيام والعمل، فإن الخدمة عندهم من باب الأخلاق والآداب، لا من باب الأفعال، وهي حق العبودية، وأدبها وواجبها، وصاحب هذا الحزن بالأولى: أن يحزن لتضييع العمل.

وأما التورط في الجفاء فهو أيضا أخص من المعصية بارتكاب المحظور لأنه قد يكون لفقد أنس سابق مع الله، فإذا توارى عنه تورط في الجفوة، فإن الشيخ ذكر الحزن في قسم الأبواب وهو عنده من قسم البدايات.

وأما تضييع الأيام فنوعان أيضا: تضييعها بخلوها عن الطاعات، وتضييعها." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٥٠٣>

"ومعارضات القصود، واعتراضات الأحكام.

هذه ثلاثة أمور، بحسب الشهود والإرادة.

الأول: حزن المعارضات، فإن القلب يعترضه وارد الرجاء مثلا، فلم ينشب أن يعارضه وارد الخوف، وبالعكس، ويعترضه وارد البسط، فلم ينشب أن يعترضه وارد القبض، ويرد عليه وارد الأنس، فيعترضه وارد الهيبة، فيوجب له اختلاف هذه المعارضات عليه حزنا لا محالة.

وليست هذه المعارضات من قبيل الخواطر، بل هي من قبيل الواردات الإلهية، فلذلك قال " دون الخواطر " فإن معارضات الخواطر غير هذا.

وعند القوم هذا من آثار الأسماء والصفات، واتصال أشعة أنوارها بالقلب، وهو المسمى عندهم بالتجلي.

وأما معارضات القصود فهي أصعب ما على القوم، وفيه يظهر اضطرارهم إلى العلم فوق كل ضرورة، فإن الصادق يتحرى في سلوكه كله أحب الطرق إلى الله، فإنه سالك به وإليه، فيعترضه طريقان لا يدري أيهما أرضى لله وأحب إليه، فمنهم من يحكم العلم بجهده استدلالا، فإن عجز فتقليدا، فإن عجز عنهما سكن ينتظر ما يحكم له به القدر، ويخلي باطنه من المقاصد جملة.

ومنهم من يلقي الكل على شيخه، إن كان له شيخ.

ومنهم من يلجأ إلى الاستخارة والدعاء، ثم ينتظر ما يجري به القدر.

وأصحاب العزائم يبذلون وسعهم في طلب الأرضى علما ومعرفة، فإن أعجزهم قنعوا بالظن الغالب، فإن تساوى عندهم الأمران، قدموا أرجحهما مصلحة.

ولترجيح المصالح رتب متفاوتة، فتارة تترجح بعموم النفع، وتارة تترجح بزيادة الإيمان، وتارة تترجح بمخالفة

النفس، وتارة تترجح باستجلاب مصلحة أخرى لا تحصل من غيرها، وتارة تترجح بأمنها من الخوف من مفسدة لا تؤمن في غيرها.

فهذه خمس جهات من الترجيح، قل أن يعدم واحدة منها.

فإن أعوزه ذلك كله تخلى عن الخواطر جملة، وانتظر ما يحركه به محرك القدر." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٥٠٥>

"فإذا صح له عمله وخلقه وإرادته استقام سلوكه وقلبه وحاله، والله المستعان.

[فصل منزلة الخشوع]

ومن منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة الخشوع

قال الله تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ [الحديد: ١٦] قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين، وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وقال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ١] .

والخشوع في أصل اللغة الانخفاض، والذل، والسكون، قال تعالى ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ [طه: ١٠٨] أي سكنت، وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات، قال تعالى ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ [فصلت: ٣٩] .

والخشوع: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والجمعية عليه

وقيل: الخشوع الانقياد للحق، وهذا من موجبات الخشوع.

فمن علاماته أن العبد إذا خولف ورد عليه بالحق استقبل ذلك بالقبول والانقياد.

وقيل: الخشوع خمود نيران الشهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٥١٦>

"[الدرجة الثالثة تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة]

قال: الدرجة الثالثة تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة، والاستغراق في قصد الوصول، والنظر إلى أوائل الجمع.

لما جعل الدرجة الأولى انقطاعا عن الخلق، والثانية انقطاعا عن النفس، جعل الثالثة طلبا للسبق. وجعله

بتصحيح الاستقامة. وهي الإعراض عما سوى الحق. ولزوم الإقبال عليه، والاشتغال بمحابه. ثم بالاستغراق في قصد الوصول.

وهو أن يشغله طلب الوصول عن كل شيء بحيث يستغرق همومه وعزائمه وإرادته وأوقاته. وإنما يكون ذلك بعد بدو برق الكشف المذكور له.

وأما النظر إلى أوائل الجمع فالجمع هو قيام الخلق كلهم بالحق وحده. وقيامه عليهم بالربوبية والتدبير.

والنظر إلى أوائل ذلك هو الالتفات إلى مقدماته وبداياته. وهي العقبة التي ينحدر منها على وادي الفناء.

وقد قيل: إنها وقفة تعترض القاطع لأودية التفرقة قبل وصوله إلى الجمع. ومنها يشرف عليه.

وهذه الوقفة تعترض كل طالب مجد في طلبه. فمنها يرجع على عقبه، أو يصل إلى مطلبه كما قيل:

لابد للعاشق من وقفة

ما بين سلوان وبين غرام ... وعندها ينقل أقدامه إما إلى خلف وإما أمام

والذي يظهر لي من كلامه أن أوائل الجمع مبادئه ولوائحه وبوارقه.

وبعد هذا درجة رابعة. وهي الانقطاع عن مراده من ربه. والفناء عنه إلى مراد ربه منه، والفناء به. فلا يريد منه، بل يريد ما يريده، منقطعا به عن كل إرادة. فينظر في أوائل الجمع في مراده الديني الأمري الذي يحبه ويرضاه.

وأكثر أرباب **السلوك** عندهم: ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥] فرق، ﴿وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] جمع.

ثم منهم من يرى أن ترك الجمع زندقة وكفر. فهو يعرض عن الجمع إلى الفرق.

ومنهم من يرى أن مقام التفرقة ناقص مرغوب عنه. ويرى سوء حال أهله." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٤>

"ولكن أراد أن رضاه بمراد محبوبه منه - ولو كان عذابه - لم يدع فيه للرجاء موضعا ولا للخوف.

بل يقول: أنا أحب ما تريده بي، ولو أنه عذابي. وقد كشف بعض المغرورين عن هذا بقوله:

وتعذيبي مع الهجران عندي ... أحب إلي من طيب الوصال

لأني في الوصال عبيد حظي وفي الهجران عبد للموالي

فأخبر أن التعذيب بالهجران أحب إليه من طيب الوصال، لكون الوصال فيه ما تشتهيه النفس. وأما التعذيب فليس للنفس فيه مقصود.

ثم أخبر أنه لم يأت في القرآن والسنة إلا لفائدة واحدة. وهي تبريده لحرارة الخوف. حتى لا يفضي بصاحبه

إلى الإياس.

وهذا وجه كلامه، وحمله على أحسن المحامل.

فيقال: هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق، وصحة المعاملة، وقوة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس. إحداهما حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار. وأساءوا الظن بهم مطلقا، وهذا عدوان وإسراف. فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.

والطائفة الثانية: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم، ونقصانها. فسحبوا عليها ذيل المحاسن. وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها. واستظهروا بها في سلوكهم.

وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة: - وهم أهل العدل والإنصاف - الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح. بل قبلوا ما يقبل. وردوا ما يرد.

وهذه الشحطات ونحوها هي التي حذر منها سادات القوم، وذموا عاقبتها. وتبرءوا." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٠>

"الرغبة هي من الرجاء بالحقيقة؛ لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق والرغبة سلوك على التحقيق.

أي الرغبة تتولد من الرجاء. لكنه طمع. وهي سلوك وطلب.

وقوله: الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق أي طمع في مغيب عنه مشكوك في حصوله، وإن كان متحققا في نفسه، كرجاء العبد دخول الجنة. فإن الجنة متحققة لا شك فيها. وإنما الشك في دخوله إليها. وهل يوافي ربه بعمل يمنعه منها أم لا؟ بخلاف الرغبة فإنها لا تكون إلا بعد تحقق ما يرغب فيه. فالإيمان في الرغبة أقوى منه في الرجاء. فلذلك قال: والرغبة سلوك على التحقيق.

هذا معنى كلامه. وفيه نظر.

فإن الرغبة أيضا طلب مغيب، هو على شك من حصوله. فإن المؤمن يرغب في الجنة وليس بجازم بدخولها.

فالفرق الصحيح أن الرجاء طمع والرغبة طلب. فإذا قوي الطمع صار طلبا.

[درجات الرغبة]

[الدرجة الأولى رغبة أهل الخبر]

قال: والرغبة على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: رغبة أهل الخبر. تتولد من العلم. فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود. وتصون السالك عن وهن الفترة وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص.

أراد بالخبر هاهنا الإيمان الصادر عن الأخبار. ولهذا جعل تولدها من العلم. ولكن هذا الإيمان متصل بمنزلة الإحسان منه، يشرف عليه، ويصل إليه. ولهذا قال: المنوط بالمشهود. أي المقترن بالشهود. وذلك الشهود: هو مشهد مقام الإحسان. وهو أن تعبد الله كأنك تراه. ولا مشهد للعبد في الدنيا أعلى من هذا. وعند كثير من الصوفية أن فوقه مشهدا أعلى منه. وهو شهود الحق مع غيبته عن كل ما سواه، وهو مقام الفناء. وقد عرفت ما فيه.

ولو كان فوق مقام الإحسان مقام آخر لذكره النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل. ولسأله جبريل عنه. فإنه جمع مقامات الدين كلها في الإسلام والإيمان والإحسان.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٥٦>

"ففرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة، وبين الكيف الذي لا يعقله البشر. وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه شاف، عام في جميع مسائل الصفات.

فمن سأل عن قوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] كيف يسمع ويرى؟ أجيب بهذا الجواب بعينه. فقيل له: السمع والبصر معلوم. والكيف غير معقول.

وكذلك من سأل عن العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والنزول، والغضب، والرضا، والرحمة، والضحك، وغير ذلك. فمعانيها كلها مفهومة. وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها. فإذا كان ذلك غير معقول للبشر، فكيف يعقل لهم كيفية الصفات؟

والعصمة النافعة في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه. وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل تثبت له الأسماء والصفات، وتنفى عنه مشابهة المخلوقات. فيكون إثباتك منزها عن التشبيه. ونفيك منزها عن التعطيل. فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل. ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق فهو ممثل. ومن قال: استواء ليس كمثله شيء. فهو الموحد المنزه.

وهكذا الكلام في السمع، والبصر، والحياة، والإرادة، والقدرة، واليد، والوجه، والرضا، والغضب، والنزول والضحك، وسائر ما وصف الله به نفسه.

والمنحرفون في هذا الباب قد أشار الشيخ إليهم بقوله: لا يتحمل البحث عنها تعسفا؛ أي لا يتكلف التعسف عن البحث عن كيفياتها. والتعسف **سلوك** غير الطريق. يقال: ركب فلان التعاسيف في سيره. إذا كان يسير يمينا وشمالا، جائرا عن الطريق.

ولا يتكلف لها تأويلا. أراد بالتأويل هاهنا التأويل الاصطلاحي. وهو صرف اللفظ عن ظاهره وعن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٨٥>

"مشاهدا للحكم: مشهد: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير: ٢٩] .

وأما قوله: حرا من رق الرسم، فالحرية التي يشيرون إليها: هي عدم الدخول تحت عبودية الخلق والنفس، والدخول تحت رق عبودية الحق وحده.

ومرادهم بالرسم: ما سوى الله، فكله رسوم. فإن الرسوم هي الآثار. ورسوم المنازل والديار: هي الآثار التي تبقى بعد سكانها. والمخلوقات بأسرها في منزل الحقيقة رسوم وآثار للقدرة؛ أي فتخلص نفسك من عبودية كل ما سوى الله، وتكون بقلبك مع القادر الحق وحده. لا مع آثار قدرته التي هي رسوم. فلا تشتغل بغيره لتشغلها بعبوديته. ولا تطلب بعبوديتك له حالا ولا مقاما. ولا مكاشفة، ولا شيئا سواه.

فهذه أربعة أمور: بذل الجهد، وتحكيم العلم، والنظر إلى الحقيقة، والتخلص من الالتفات إلى غيره. والله الموفق والمعين.

[فصل حقيقة الإخلاص توحيد المطلوب]

فصل

الإخلاص عدم انقسام المطلوب. والصدق عدم انقسام الطلب.

فحقيقة الإخلاص: توحيد المطلوب. وحقيقة الصدق: توحيد الطلب والإرادة. ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة.

فهذه الأركان الثلاثة: هي أركان السير، وأصول الطريق التي من لم يبن عليها **سلوكه** وسيره فهو مقطوع. وإن ظن أنه سائر، فسيره إما إلى عكس جهة مقصوده، وإما سير المقعد والمقيد، وإما سير صاحب الدابة الجموح. كلما مشت خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى الخلف.

فإن عدم الإخلاص والمتابعة: انعكس سيره إلى خلف. وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه: سار سير المقيد. وإن اجتمعت له الثلاثة: فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٩٧/٢>

"[فصل تشبيه الاستقامة للحال بمنزلة الروح للبدن]

فصل

قال: الاستقامة: روح تحيا به الأحوال، كما تربو للعامة عليها الأعمال. وهي برزخ بين وهاد التفرق، وروابي الجمع.

شبه الاستقامة للحال بمنزلة الروح للبدن. فكما أن البدن إذا خلا عن الروح فهو ميت، فكذلك الحال إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد، وكما أن حياة الأحوال بها، فزيادة أعمال الزاهدين أيضا وربوها وزكاؤها بها. فلا زكاء للعمل ولا صحة للحال بدونها.

وأما كونها برزخا بين وهاد التفرق، وروابي الجمع، فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين متغايرين. والوهاد: الأمكنة المنخفضة من الأرض. واستعارها للتفرق؛ لأنها تحجب من يكون فيها عن مطالعة ما يراه من هو على الروابي، كما أن صاحب التفرق محجوب عن مطالعة ما يراه صاحب الجمع ويشاهده.

وأيضا فإن حاله أنزل من حاله. فهو كصاحب الوهاد. وحال صاحب الجمع أعلى. فهو كصاحب الروابي. وشبه حال صاحب الجمع بحال من على الروابي لعلوه. ولأن الروابي تكشف لمن عليها القريب والبعيد، وصاحب الجمع تكشف له الحقائق المحجوبة عن صاحب التفرقة.

إذا عرف هذا فمعنى كونها برزخا: أن السالك يكون في أول **سلوكه** في أودية التفرقة، سائرا إلى روابي الجمع. فيستقيم في طريق سيره غاية الاستقامة. ليصل باستقامته إلى روابي الجمع. فاستقامته برزخ بين تلك التفرقة التي كان فيها. وبين الجمع الذي يؤمه ويقصده. وهذا بمنزلة تفرقة المقيم في البلد في أنواع التصرفات. فإذا عزم على السفر، وخرج وفارق البلد. واستمر على السير: كان طريق سفره برزخا بين البلد الذي كان فيه، والبلد الذي يقصده ويؤمه.

[فصل درجات الاستقامة]

[الدرجة الأولى الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد]

فصل

قال: وهي على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد. لا عاديا رسم العلم،

ولا متجاوزا حد الإخلاص، ولا مخالفا نهج السنة.

هذه درجة تتضمن ستة أمور: عملا واجتهادا فيه، وهو بذل المجهود، واقتصادا." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٠٧/٢>

"وهو السلوك بين طرفي الإفراط، وهو الجور على النفوس، والتفريط بالإضاعة، ووقوفا مع ما يرسمه العلم، لا وقوفا مع داعي الحال. وإفراد المعبود بالإرادة، وهو الإخلاص، ووقوع الأعمال على الأمر، وهو متابعة السنة.

فبهذه الأمور الستة تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم. وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة: إما خروجا كليا، وإما خروجا جزئيا.

والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا – وهما الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة – فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره. فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام بها. وإن رأى فيه حرصا على السنة، وشدة طلب لها: لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فأمره بالاجتهاد، والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها، قائلا له: إن هذا خير وطاعة. والزيادة والاجتهاد فيها أكمل. فلا تفتر مع أهل الفتور. ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه ويحرضه، حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها. كما أن الأول خارج هذا الحد. فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر.

وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم. وقراءتهم مع قراءتهم. وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة. لكن هذا إلى بدعة التفريط، والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف.

وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «يا عبد الله بن عمرو، إن لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة. فمن كانت فترته إلى سنة أفلح، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر» . قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل.

فكل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع. كما قال بعض الصحابة: اقتصاد في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم.

وكذلك الرياء في الأعمال يخرجه عن الاستقامة. والفتور والتواني يخرجه عنها أيضا.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٠٨>

"[فصل الدرجة الثانية استقامة الأحوال]

فصل

قال: الدرجة الثانية: استقامة الأحوال. وهي شهود الحقيقة لا كسبا. ورفض الدعوى لا علما. والبقاء مع نور اليقظة لا تحفظا.

يعني أن استقامة الحال بهذه الثلاثة.

أما شهود الحقيقة فالحقيقة حقيقتان: حقيقة كونية، وحقيقة دينية، يجمعهما حقيقة ثالثة، وهي مصدرهما ومنشؤهما، وغايتهما. وأكثر أرباب **السلوك** من المتأخرين: إنما يريدون بالحقيقة الحقيقة الكونية. وشهودها هو شهود تفرد الرب بالفعل. وأن ما سواه محل جريان أحكامه وأفعاله. فهو كالحفير الذي هو محل لجريان الماء حسب.

وعندهم أن شهود هذه الحقيقة والفناء فيها غاية السالكين.

ومنهم من يشهد حقيقة الأزلية والدوام، وفناء الحادثات وطيها في ضمن بساط الأزلية والأبدية، وتلاشيها في ذلك. فيشهدها معدومة، ويشهد تفرد موجدها بالوجود الحق بالحق، وأن وجود ما سواه رسوم وظلال.

فالأول: شهد تفرده بالأفعال. وهذا شهد تفرده بالوجود.

وصاحب الحقيقة الدينية في طور آخر. فإنه في مشهد الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة، والفرق بين ما يحبه الله ويرضاه، وبين ما يبغضه ويسخطه. فهو في مقام الفرق الثاني الذي لا يحصل للعبد درجة الإسلام - فضلا عن مقام الإحسان - إلا به.

فالمعرض عنه صفحا لا نصيب له في الإسلام ألبتة، وهو كالذي كان الجنيد يوصي به أصحابه، فيقول: عليكم بالفرق الثاني. وإنما سمي ثانيا لأن الفرق الأول: فرق بالطبع والنفس. وهذا فرق بالأمر.

والجمع أيضا جمعان: جمع في فرق، وهو جمع أهل الاستقامة والتوحيد. وجمع بلا فرق، وهو جمع أهل الزندقة والإلحاد.

فالناس ثلاثة: صاحب فرق بلا جمع، فهو مذموم ناقص مخذول.

وصاحب جمع بلا فرق. وهو جمع أهل الزندقة، والإلحاد. فصاحبه ملحد زنديق.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٠٩>

"وكل تلك الحكايات الصحيحة التي تحكى عن القوم فهي جزئية حصلت لهم أحيانا، ليست طريقا مأمورا **بسلوكها**، ولا مقدورة، وصارت فتنة لطائفتين.

طائفة ظنتها طريقا ومقاما، فعملوا عليها. فمنهم من انقطع، ومنهم من رجع، ولم يمكنه الاستمرار عليها، بل انقلب على عقبيه.

وطائفة قدحوا في أربابها، وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل. مدعين لأنفسهم حالا أكمل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إذ لم يكن فيهم أحد قط يفعل ذلك. ولا أخل بشيء من الأسباب. وقد «ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين يوم أحد» . ولم يحضر الصف قط عريانا. كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة. واستأجر دليلا مشركا على دين قومه، يدله على طريق الهجرة. وقد هدى الله به العالمين، وعصمه من الناس أجمعين، «وكان يدخر لأهله قوت سنة» وهو سيد المتوكلين. وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٣٤>

"أصعب المنازل على العامة. وأوحشها في طريق المحبة. وأنكرها في طريق التوحيد

وإنما كان صعبا على العامة لأن العامي مبتدئ في الطريق. وما له دربة في **السلوك**. ولا تهذيب المرتاض بقطع المنازل. فإذا أصابته المحن أدركه الجزع. وصعب عليه احتمال البلاء. وعز عليه وجدان الصبر. لأنه ليس من أهل الرياضة. فيكون مستوطنا للصبر. ولا من أهل المحبة، فيلتذ بالبلاء في رضا محبوبه.

وأما كونه وحشة في طريق المحبة: فلأنها تقتضي التذاذ المحب بامتحان محبوبه له، والصبر يقتضي كراهيته لذلك، وحبس نفسه عليه كرها. فهو وحشة في طريق المحبة.

وفي الوحشة نكتة لطيفة؛ لأن الالتذاذ بالمحنة في المحبة هو من موجبات أنس القلب بالمحبوب. فإذا أحس بالألم - بحيث يحتاج إلى الصبر - انتقل من الأنس إلى الوحشة. ولولا الوحشة لما أحس بالألم المستدعي للصبر.

وإنما كان أنكرها في طريق التوحيد لأن فيه قوة الدعوى. لأن الصابر يدعي بحاله قوة الثبات. وذلك ادعاء منه لنفسه قوة عظيمة. وهذا مصادمة لتجريد التوحيد. إذ ليس لأحد قوة ألبتة. بل لله القوة جميعا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهذا سبب كون الصبر منكرا في طريق التوحيد. بل من أنكر المنكر - كما قال - لأن التوحيد يرد الأشياء إلى الله، والصبر يرد الأشياء إلى النفس. وإثبات النفس في التوحيد منكر.

هذا حاصل كلامه محررا مقررا. وهو من منكر كلامه.

بل الصبر من آكد المنازل في طريق المحبة، وألزمها للمحبين. وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة. وهو من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبينها.

وحاجة المحب إليه ضرورية.

فإن قيل: كيف تكون حاجة المحب إليه ضرورية، مع منافاته لكمال المحبة. فإنه لا يكون إلا مع منازعات النفس لمراد المحبوب؟

قيل: هذه هي النكتة التي لأجلها كان من آكد المنازل في طريق المحبة وأعلقها بها. وبه يعلم صحيح المحبة من معلولها، وصادقها من كاذبها. فإن بقوة الصبر على." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٦١>

"وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يحكيهما على قولين لأصحاب أحمد. وكان يذهب إلى القول باستحبابه.

قال: ولم يجئ الأمر به، كما جاء الأمر بالصبر. وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم.

قال: وأما ما يروى من الأثر: من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربا سوائي. فهذا أثر إسرائيلي، ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: ولا سيما عند من يرى أنه من جملة الأحوال التي ليست بمكتسبة، بل هو موهبة محضة. فكيف يؤمر به. وليس مقدورا عليه؟

وهذه مسألة اختلف فيها أرباب **السلوك** على ثلاث طرق

فالخراسانيون قالوا: الرضا من جملة المقامات. وهو نهاية التوكل. فعلى هذا: يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

والعراقيون قالوا: هو من جملة الأحوال. وليس كسبيا للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

والفرق بين المقامات والأحوال: أن المقامات عندهم من المكاسب. والأحوال مجرد المواهب.

وحكمت فرقة ثالثة بين الطائفتين. منهم القشيري – صاحب الرسالة – وغيره، فقالوا: يمكن الجمع بينهما، بأن يقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد. وهي من جملة المقامات. ونهايته من جملة الأحوال. وليست مكتسبة. فأوله مقام، ونهايته حال.

واحتج من جعله من جملة المقامات: بأن الله مدح أهله، وأثنى عليهم وندبهم إليه. فدل ذلك على أنه مقدور لهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا» .." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٧٠>

"وقوله: وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص يعني أن **سلوك** أهل الخصوص: هو بالخروج عن النفس، والخروج عن الإرادة: هو مبدأ الخروج عن النفس. فإذا الرضا - بهذا الاعتبار - من أوائل مسالك الخاصة.

وهذا على أصله في كون الفناء غاية مطلوبة فوق الرضا.

والصواب: أن الرضا أجل منه وأعلى. وهو غاية لا بداية.

نعم فوقه مقام الشكر فهو منزلة بينه وبين منزلة الصبر.

وقوله: وأشقها على العامة وذلك لمشقة الخروج عن الحظوظ على العامة، والرضا أول ما فيه: الخروج عن الحظوظ. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[فصل درجات الرضا]

[الدرجة الأولى رضا العامة]

فصل درجات الرضا

قال: وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: رضا العامة. وهو الرضا بالله ربا، وتسخط عبادة ما دونه، وهذا قطب رحى الإسلام. وهو يطهر من الشرك الأكبر.

الرضا بالله ربا: أن لا يتخذ ربا غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره. وينزل به حوائجه. قال الله تعالى: ﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء﴾ [الأنعام: ١٦٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيدا وإلها. يعني فكيف أطلب ربا غيره، وهو رب كل شيء؟ وقال في أول السورة ﴿قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض﴾ [الأنعام: ١٤] يعني معبودا وناصرا ومعينا وملجأ. وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة. وقال في وسطها ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾ [الأنعام: ١١٤] أي: أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه؟ وهذا كتابه سيد الحكام، فكيف نتحاكم إلى غير كتابه؟ وقد أنزله مفصلا، مبينا كافيا شافيا.

وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل، رأيتها هي نفس الرضا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، ورأيت الحديث يترجم عنها، ومشتقا منها. فكثير من الناس يرضى بالله ربا،

ولا يبغي ربا سواه، لكنه لا يرضى به وحده وليا." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٧٨/٢>

"أحدها: أن يكون الله عز وجل أحب شيء إلى العبد. وهذه تعرف بثلاثة أشياء أيضا.

أحدها: أن تسبق محبته إلى القلب كل محبة. فتتقدم محبته المحاب كلها.

الثاني: أن تقهر محبته كل محبة. فتكون محبته إلى القلب سابقة قاهرة، ومحبة غيره متخلفة مقهورة مغلوبة منطوية في محبته.

الثالث: أن تكون محبة غيره تابعة لمحبته. فيكون هو المحبوب بالذات والقصد الأول. وغيره محبوبا تبعا لحبه. كما يطاع تبعا لطاعته. فهو في الحقيقة المطاع المحبوب.

وهذه الثلاثة في كونه أولى الأشياء بالتعظيم والطاعة أيضا.

فالحاصل: أن يكون الله وحده المحبوب المعظم المطاع. فمن لم يحبه ولم يطعه. ولم يعظمه: فهو متكبر عليه. ومتى أحب معه سواه، وعظم معه سواه، وأطاع معه سواه: فهو مشرك. ومتى أفرده وحده بالحب والتعظيم والطاعة فهو عبد موحد. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[فصل الدرجة الثانية الرضا عن الله]

فصل

قال: الدرجة الثانية: الرضا عن الله. وبهذا نطقت آيات التنزيل. وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر. وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص.

الشيخ جعل هذه الدرجة أعلى من الدرجة التي قبلها.

ووجه قوله: أنه لا يدخل في الإسلام إلا بالدرجة الأولى. فإذا استقر قدمه عليها دخل في مقام الإسلام.

وأما هذه الدرجة: فمن معاملات القلوب. وهي لأهل الخصوص. وهي الرضا عنه في أحكامه وأقضيته.

وإنما كان من أول مسالك أهل الخصوص لأنه مقدمة للخروج عن النفس، والذي هو طريق أهل الخصوص، فمقدمته بداية سلوكهم. لأنه يتضمن خروج العبد عن حظوظه، ووقوفه مع مراد الله عز وجل. لا مع مراد نفسه.

هذا تقرير كلامه. وفي جعله هذه الدرجة أعلى من التي قبلها نظر لا يخفى، وهو نظير جعله الصبر بالله أعلى من الصبر لله.

والذي ينبغي: أن تكون الدرجة الأولى أعلى شأنا وأرفع قدرا. فإنها مختصة وهذه." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١٨٠>

"بنفسه، وأن من لم يكن كيف يشكر من لم يزل – علم أن الشكر من منازل العامة. ولو أن السلطان كسا عبدا من عبيده ثوبا من ثيابه. فأخذ يشكر السلطان على ذلك: لعد مخطئا، مسيئا للأدب. فإنه مدع بذلك مكافأة السلطان بشكره. فإن الشكر مكافأة. والعبد أصغر قدرا من المكافأة. والشهود للحقيقة يقتضي اتحاد نسبة الأخذ والعطاء، ورجوعها إلى وصف المعطي وقوته. فالخاصة يسقط عندهم الشكر بالشهود، وفي حقهم ما هو أعلى منه.

هذا غاية تقرير كلامهم. وكسوته أحسن عبارة. لئلا يتعدى عليهم بسوء التعبير الموجب للتنفير.

ونحن معنا العصمة النافعة: أن كل أحد – غير المعصوم صلى الله عليه وسلم – فمأخوذ من قوله ومتروك. وكل سبيل لا يوافق سبيله فمهجور غير مسلوك.

فأما تضمن الشكر لنوع دعوى. فإن أريد بهذه الدعوى إضافة العبد الفعل إلى نفسه، وأنه كان به وغاب بذلك عن كونه بحول الله وقوته ومنته على عبده: فلعمر الله هذه علة مؤثرة. ودعوى باطلة كاذبة.

وإن أريد: أن شهوده لشكره شهوده لنعمة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وإذنه له به، ومشيئته عليه ومنته. فشهد عبوديته وقيامه بها، وكونها بالله. فأي دعوى في هذا؟ وأي علة؟ .

نعم غايته: أنه لا يجامع الفناء. ولا يخوض تياره. فكان ماذا؟ .

فأنتم جعلتم الفناء غاية. فأوجب لكم ما أوجب. وقدمتموه على ما قدمه الله ورسوله. فتضمن ذلك تقديم ما أخر، وتأخير ما قدم. وإلغاء ما اعتبر، واعتبار ما ألغي.

ولولا منة الله على الصادقين منكم بتحكيم الرسالة، والتقيد بالشرع لكان أمرا غير هذا. كما جرى لغير واحد من السالكين على هذه الطريق الخطرة. فلا إله إلا الله. كم فيها من قتيل وسليب، وجريح وأسير وطريد؟ .

وأما قولكم: إن الشاكر فيه بقية من بقايا رسمه.

فيقال: إذا كانت هذه البقية محض العبودية ومركبها، والحاملة لها: فأي نقص في هذا؟ فإن العبودية لا تقوم بنفسها. وإنما تقوم بهذا الرسم. فلا نقص في حمل العبودية عليه، والسير به إلى الله عز وجل.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٤٠>

"إذا علمت حقيقة الشكر وأن جزء حقيقته: الاستعانة بنعم المنعم على طاعته ومرضاته: علمت اختصاص أهل الإسلام بهذه الدرجة. وأن حقيقة الشكر على المحاب ليست لغيرهم.

نعم لغيرهم منها بعض أركانها وأجزائها، كالاعتراف بالنعمة، والثناء على المنعم بها. فإن جميع الخلق في نعم الله، وكل من أقر بالله ربا، وتفرده بالخلق والإحسان. فإنه يضيف نعمته إليه، لكن الشأن في تمام حقيقة الشكر. وهو الاستعانة بها على مرضاته. وقد كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه: إن أقل ما يجب للمنعم على من أنعم عليه: أن لا يجعل ما أنعم عليه سبيلا إلى معصيته.

وقد عرف مراد الشيخ. وهو أن هذا الشكر مشترك. وهو الاعتراف بنعمه سبحانه، والثناء عليه بها، والإحسان إلى خلقه منها. وهذا بلا شك يوجب حفظها عليهم والمزيد منها. فهذا الجزء من الشكر مشترك. وقد تكون ثمرته في الدنيا بعاجل الثواب. وفي الآخرة: بتخفيف العقاب. فإن النار دركات في العقوبة مختلفة.

[فصل الدرجة الثانية الشكر في المكاره]

فصل

قال: الدرجة الثانية: الشكر في المكاره. وهذا ممن تستوي عنده الحالات: إظهارا للرضا. وممن يميز بين الأحوال: لكظم الغيظ، وستر الشكوى. ورعاية الأدب. **وسلوك** مسلك العلم. وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة.

يعني أن الشكر على المكاره: أشد وأصعب من الشكر على المحاب. ولهذا كان فوقه في الدرجة. ولا يكون إلا من أحد رجلين:

إما رجل لا يميز بين الحالات: بل يستوي عنده المكروه والمحبوب. فشكر هذا: إظهار منه للرضا بما نزل به. وهذا مقام الرضا.

الرجل الثاني: من يميز بين الأحوال. فهو لا يحب المكروه. ولا يرضى بنزوله به. فإذا نزل به مكروه شكر الله تعالى عليه، فكان شكره كظما للغيظ الذي أصابه، وسترا للشكوى، ورعاية منه للأدب، **وسلوكا** لمسلك العلم. فإن العلم والأدب يأمران بشكر الله على السراء والضراء. فهو يسلك بهذا الشكر مسلك العلم. لأنه شاكر لله شكر من رضي بقضائه، كحال الذي قبله. فالذي قبله: أرفع منه.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٤٣>

"[فصل الحياء أول مدارج أهل الخصوص]

فصل

قال صاحب " المنازل ":

الحياء: من أول مدارج أهل الخصوص. يتولد من تعظيم منوط بود.

إنما جعل الحياء من أول مدارج أهل الخصوص: لما فيه من ملاحظة حضور من يستحيي منه. وأول سلوك أهل الخصوص: أن يروا الحق سبحانه حاضرا معهم، وعليه بناء سلوكهم.

وقوله: إنه يتولد من تعظيم منوط بود.

يعني: أن الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة. فإذا اقترنا تولد بينهما الحياء.

والجنيد يقول: إن تولده من مشاهدة النعم. ورؤية التقصير.

ومنهم من يقول: تولده من شعور القلب بما يستحيي منه. فيتولد من هذا الشعور والنفرة حالة تسمى الحياء.

ولا تنافي بين هذه الأقوال. فإن للحياء عدة أسباب. قد تقدم ذكرها فكل أشار إلى بعضها. والله أعلم.

[فصل درجات الحياء]

[الدرجة الأولى حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه]

فصل

قال: وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه. فيجذبه إلى تحمل هذه المجاهدة. ويحمله على استقباح الجناية. ويسكته عن الشكوى.

يعني: أن العبد متى علم أن الرب تعالى ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه. يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده، فإنه يكون نشيطا فيه، محتملا لأعبائه. ولا سيما مع الإحسان من سيده إليه، ومحبته لسيده. بخلاف ما إذا كان غائبا عن سيده. والرب تعالى لا يغيب نظره عن عبده. ولكن يغيب نظر القلب والتفاته إلى نظره سبحانه إلى العبيد. فإن القلب إذا غاب نظره، وقل التفاته إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه: تولد من ذلك قلة الحياء والقحة.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٥٣>

"ترى أنه ينفعك. فإنه يضرك. وقيل: ما أملق تاجر صدوق.

[فصل تعريف الصدق]

فصل

قال صاحب " المنازل ":

الصدق: اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولا ووجودا.

الصدق: هو حصول الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه، كما يقال: عزيمة صادقة. إذا كانت قوية تامة، وكذلك: محبة صادقة، وإرادة صادقة. وكذا قولهم: حلاوة صادقة: إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة. لم ينقص منها شيء.

ومن هذا أيضا: صدق الخبر. لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته في ذهن السامع.

فالتمام والوجود نوعان: خارجي، وذهني. فإذا أخبرت المخاطب بخبر صادق حصلت له حقيقة المخبر عنه بكماله وتمامه في ذهنه.

ومن هذا: وصفهم الرمح بأنه صادق الكعوب إذا كانت كعوبه صلبة قوية ممتلئة.

[درجات الصدق]

[الدرجة الأولى صدق القصد]

قال: وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: صدق القصد. وبه يصح الدخول في هذا الشأن. ويتلافى به كل تفريط. ويتدارك به كل فائت. ويعمر كل خراب. وعلامة هذا الصادق: أن لا يتحمل داعية تدعو إلى نقض عهد. ولا يصبر على صحبة ضد. ولا يقعد عن الجد بحال.

يعني بصدق القصد: كمال العزم، وقوة الإرادة، بأن يكون في القلب داعية صادقة إلى **السلوك**، وميل شديد يقهر السر على صحة التوجه. فهو طلب لا يمازجه رياء ولا فتور. ولا يكون فيه قسمة بحال. ولا يصح الدخول في شأن السفر إلى الله، والاستعداد للقائه إلا به.

ويتلافى به كل تفريط. فإنه حامل على كل سبب ينال به الوصول، وقطع كل سبب يحول بينه وبينه. فلا يترك فرصة تفوته. وما فاته من الفرص السابقة تداركها بحسب الإمكان. فيصلح من قلبه ما مزقته يد الغفلة والشهوة. ويعمر منه ما خربته." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٦٧>

"فهذا معنى كون أصدق أحوال الصادق: زورا. وإذا عرف هذا في الحال: عرف مثله في كون أحسن أعماله: ذنبا. فإنه - لصدقه في الطلب، وبذله الجهد في العمل، واستفراغه الوسع فيه - يغيب بذلك عن شهود الحقيقة الكونية، وأن المحرك له سواه، وأنه آلة ومجرى للمشيئة، وأن نفسه أعجز وأضعف من أن يكون لها، أو بها، أو منها فعل، أو إرادة، أو حركة. فإذا رجع إلى الحقيقة فشهد منة الله عليه، وأنه هو المحرك له، وأن مشيئته هي التي أوجبت سعيه، رأى أحسن أعماله: ذنبا بهذا الاعتبار.

وأما رؤيته أصفى قصوده قعودا فلأن القاصد إلى الحقيقة متى شهد مقصوده: قعد عن قصده. فإن المقصود المراد: أقرب إلى اللسان من نطقه، وإلى القلب من قصده. فالقصد إليه: هو عين القعود عن القصد. لأن

القصد إنما يكون لبعيد عن القاصد. أما من هو أقرب إلى القاصد من ذاته: فمتى شاهد القاصد الحقيقة: علم أن قصده عين القعود عن قصده. والعبارة تزيد هذا المعنى جفوة. والحوالة فيه على الحال والذوق.
فالجواب أن يقال: من أحالك على الحال فما أنصفك. فإنه أحالك على أمر مشترك بين الحق والباطل. فإن كل من اعتقد شيئا وطلبه طلبا صادقا، واستفرغ وسعه في الوصول إليه: كان له لا محالة فيه حال ليست لغيره. بحسب صدقه في طلبه، وجمع همته وقصده عليه. وهذا يكون للأبرار والفجار، بل لأولياء الله وأعدائه. فيكون الرجل له شهود بمشهوده، وحال في طلبه، لا يوجب كونه حقا ولا باطلا. فإن كل من اعتقد عقيدة، وارتاض وصقل قلبه بأنواع الرياضة. وجزم بما اعتقده: تجلت له صورة معتقده في عالم نفسه. فيظن ذلك كشفا صحيحا. وإن كان صادقا في طلبه وحبه لما اعتقده: كان له فيه حال وتأثير بحسبه. فالحوالة على الحال حوالة مفلس من العلم على غير مليء به.
ومن هاهنا دخل الداخل على أكثر السالكين. وانعكس سيرهم، حيث أحالوا العلم على الحال. وحكموه عليه.
وسير أولياء الله وعباده الأبرار والمقربين بخلاف هذا. وهو إحالة الحال على العلم، وتحكيمه عليه وتقديمه، ووزنه به وقبول حكمه. فإن وافقه العلم، وإلا كان حالا فاسدا، منحرفا عن أحوال الصادقين بحسب بعده عن العلم. فالعلم حاكم والحال محكوم عليه. والعلم راع والحال من رعيته. فمن لم يكن هذا أصل بناء **سلوكه** **فسلوكه** فاسد. وغايته: الانسلاخ من العلم والدين. كما جرى ذلك لمن جرى له. وبالله المستعان. ونحن لا ننكر ما ذكرتم – من غيبة الشاهد بمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٧٤>
"من خير الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] .
فهذه الثلاثة أشياء: بها يدرك التصوف، والتصوف: زاوية من زوايا **السلوك** الحقيقي، وتزكية النفس وتهذيبها. لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه. فإن المرء مع من أحب. كما قال سمنون: ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة. فإن المرء مع من أحب. والله أعلم.

[فصل درجات الخلق]
[الدرجة الأولى أن تعرف مقام الخلق]

فصل

قال وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن تعرف مقام الخلق. وأنهم بأقدارهم مربوطون. وفي طاقتهم محبوسون. وعلى الحكم موقوفون. فتستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء: أمن الخلق منك، حتى الكلب. ومحبة الخلق إياك، ونجاة الخلق بك.

فبهذه الدرجة: يكون تحسين الخلق مع الخلق في معاملتهم، وكيفية مصاحبتهم.

وبالثانية: تحسين الخلق مع الله في معاملته.

وبالثالثة: درجة الفناء على قاعدته وأصله.

يقول: إذا عرفت مقام الخلق، ومقاديرهم، وجريان الأحكام القدرية عليهم، وأنهم مقيدون بالقدر، لا خروج لهم عنه ألبتة، ومحبوسون في قدرتهم وطاقتهم. لا يمكنهم تجاوزها إلى غيرها، وأنهم موقوفون على الحكم الكوني القدري لا يتعدونه، استفدت بهذه المعرفة ثلاثة أشياء:

أمن الخلق منك. وذلك: أنه إذا نظر إليهم بعين الحقيقة. لم يطالبهم بما لا يقدرون عليه. وامتثل فيهم أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأخذ العفو منهم. فأمنوا من تكليفه إياهم. وإلزامه لهم ما ليس في قواهم وقدرهم.

وأيضا فإنهم يأمنون لائمته. فإنه في هذه الحال عاذر لهم فيما يجري عليهم من الأحكام فيما لم يأمر الشرع بإقامته فيهم. لأنهم إذا كانوا محبوسين في طاقتهم فينبغي مطالبتهم بما يطالب به المحبوس، وعذرهم بما يعذر به المحبوس. وإذا بدا منهم في حقك تقصير أو إساءة، أو تفريط. فلا تقابلهم به ولا تخاصمهم. بل اغفر لهم ذلك." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٠٢>

"لئن ساءني أن نلتني بمساءة ... لقد سرني أني خطرت ببالكا

فكيف إذا ناله محبوبه بمسرة – وإن دقت – فإنه لا يراها إلا جليلة خطيرة. فكيف هذا مع الرب تعالى الذي لا يأتي أبدا إلا بالخير؟ ويستحيل خلاف ذلك في حقه. كما يستحيل عليه خلاف كماله. وقد أفصح أعرف الخلق بربه عن هذا بقوله: «والشر ليس إليك» أي لا يضاف إليك. ولا ينسب إليك. ولا يصدر منك. فإن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها فضل وعدل، وحكمة ورحمة ومصلحة. فبأي وجه ينسب الشر إليه سبحانه وتعالى؟ فكل ما يأتي منه فله عليه الحمد والشكر. وله فيه النعمة والفضل.

قوله: وأن لا يرى من الوفاء بدا.

يعني: أن معاملتك للحق سبحانه بمقتضى الاعتذار من كل ما منك، والشكر على ما منه - عقد مع الله تعالى لازم لك أبدا، لا ترى من الوفاء به بدا. فليس ذلك بأمر عارض، وحال يحول. بل عقد لازم عليك الوفاء به إلى يوم القيامة.

[فصل الدرجة الثالثة التخلق بتصفية الخلق]

فصل

قال الدرجة الثالثة: التخلق بتصفية الخلق. ثم الصعود عن تفرقة التخلق. ثم التخلق بمجاوزة الأخلاق.

هذه الدرجة ثلاثة أشياء.

أحدها: تصفية الخلق بتكميل ما ذكر في الدرجتين قبله. فيصفيه من كل شائبة وقذى ومشوش. فإذا فعلت ذلك صعدت من تفرقته إلى جمعيتك على الله. فإن التخلق والتصوف تهذيب واستعداد للجمعية. وإنما سماه تفرقة: لأنه اشتغال بالغير. **والسلوك** يقتضي الإقبال بالكلية، والاشتغال بالرب وحده عما سواه.

ثم يصعد إلى ما فوق ذلك. وهو مجاوزة الأخلاق كلها بأن يغيب عن الخلق والتخلق. وهذه الغيبة لها مرتبتان عندهم.

إحداهما: الاشتغال بالله عز وجل عن كل ما سواه.

والثانية: الفناء في الفردانية التي يسمونها حضرة الجمع وهي أعلى الغايات." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٠٩>

"عندهم. وهي موهبية لا كسبية. لكن العبد إذا تعرض وصدق في الطلب: رجي له الظفر بمطلوبه. والله أعلم.

[فصل مدار حسن الخلق مع الحق]

فصل

ومدار حسن الخلق مع الحق، ومع الخلق: على حرفين. ذكرهما عبد القادر الكيلاني فقال: كن مع الحق بلا خلق. ومع الخلق بلا نفس.

فتأمل. ما أجل هاتين الكلمتين، مع اختصارهما، وما أجمعهما لقواعد **السلوك** ولكل خلق جميل؟ وفساد الخلق إنما ينشأ من توسط الخلق بينك وبين الله تعالى. وتوسط النفس بينك وبين خلقه. فمتى عزلت الخلق - حال كونك مع الله تعالى - وعزلت النفس - حال كونك مع الخلق - فقد فزت بكل ما أشار

إليه القوم. وشمروا إليه. وحاموا حوله. والله المستعان.

[فصل منزلة التواضع]

[التواضع في الكتاب والسنة]

فصل منزلة التواضع

ومن منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة التواضع

قال الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي سكينة ووقارا متواضعين، غير أشرين، ولا مرحين ولا متكبرين. قال الحسن: علماء حلماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون. وإن سفه عليهم حلموا.

والهون بالفتح في اللغة: الرفق واللين. والهون بالضم: الهوان. فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان. والمضموم: صفة أهل الكفران. وجزاؤهم من الله النيران.

وقال تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] .

لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال. فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل. وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول، فالمؤمن ذلول. كما في الحديث «المؤمن كالجمل الذلول. والمنافق." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣١٠>

"هذه ثلاثة أمور اشتملت عليها هذه الدرجة.

أما عدم تعلقه في السير بدليل: فقد بين مراده به في آخر الباب، إذ يقول: وفي علم الخصوص: من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم يحل له دعوى الفتوة أبدا.

وهذا موضع عظيم يحتاج إلى تبيين وتقدير.

والمراد: أن السائر إلى الله يسير على قدم اليقين، وطريق البصيرة والمشاهدة. فوقوفه مع الدليل: دليل على أنه لم يشم رائحة اليقين. والمراد بهذا: أن المعرفة عندهم ضرورية لا استدلالية. وهذا هو الصواب. ولهذا لم تدع الرسل قط الأمم إلى الإقرار بالصانع سبحانه وتعالى، وإنما دعوهم إلى عبادته وتوحيده. وخاطبوهم خطاب من لا شبهة عنده قط في الإقرار بالله تعالى. ولا هو محتاج إلى الاستدلال عليه. ولهذا ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض﴾ [إبراهيم: ١٠] وكيف يصح الاستدلال على مدلول هو

أظهر من دليله؟ حتى قال بعضهم: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ فتقيد السائر بالدليل وتوقفه عليه، دليل على عدم يقينه. بل إنما يتقيد بالدليل الموصل له إلى المطلوب بعد معرفته به. فإنه يحتاج – بعد معرفته – إلى دليل يوصله إليه، ويدله على طريق الوصول إليه. وهذا الدليل: هو الرسول صلى الله عليه وسلم. فهو موقوف عليه يتقيد به. لا يخطو خطوة إلا وراءه.

وأيضا فالقوم يشيرون إلى الكشف، ومشاهدة الحقيقة. وهذا لا يمكن طلبه بالدليل أصلا. ولا يقال: ما الدليل على حصول هذا؟ وإنما يحصل **بالسلوك** في منازل السير، وقطعها منزلة منزلة، حتى يصل إلى المطلوب. فوصوله إليه بالسير لا بالاستدلال، بخلاف وصول المستدل. فإنه إنما يصل إلى العلم، ومطلوب القوم وراءه. والعلم منزلة من منازلهم –كما سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى – ولهذا يسمون أصحاب الاستدلال: أصحاب القال. وأصحاب الكشف: أصحاب الحال. والقوم عاملون على الكشف الذي يحصل نور العيان، لا على العلم الذي ينال بالاستدلال والبرهان.

وهذا موضع غلط واشتباه. فإن الدليل في هذا المقام شرط، وكذلك العلم. وهو باب لا بد من دخوله إلى المطلوب، ولا يوصل إلى المطلوب إلا من بابه، كما قال تعالى:." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٣٠>

"﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ [البقرة: ١٨٩] .

ثم إنه يخاف على من لا يقف مع الدليل ما هو أعظم الأمور وأشدها خطرا. وهو الانقطاع عن الطلب بالكلية، والوصول إلى مجرد الخيال والمحال. فمن خرج عن الدليل: ضل سواء السبيل.

فإن قيل: تعلقه في المسير بالدليل: يفرق عليه عزمه وقلبه. فإن الدليل يفرق والمدلول يجمع. فالسالك يقصد الجمعية على المدلول. فما له ولتفرقة الدليل؟

قيل: هذه البلية التي لأجلها أعرض من أعرض من السالكين عن العلم ونهى عنه. وجعلت علة في الطريق، ووقع هذا من زمن الشيوخ القدماء العارفين فأنكروه غاية الإنكار. وتبرءوا منه ومن قائله. وأوصوا بالعلم. وأخبروا أن طريقهم مقيدة بالعلم. لا يفلح فيها من لم يتقيد بالعلم. والجنيد كان من أشد الناس مبالغة في الوصية بالعلم، وحثا لأصحابه عليه.

والتفرق في الدليل خير من الجمعية على الوهم والخيال. فإنه لا يعرف كون الجمعية حقا إلا بالدليل والعلم. فالدليل والعلم ضروريان للصادق. لا يستغني عنهما.

نعم يقينه ونور بصيرته وكشفه: يغنيه عن كثير من الأدلة التي يتكلفها المتكلفون، وأرباب القال. فإنه مشغول

عنها بما هو أهم منها. وهو الغاية المطلوبة.

مثاله: أن المتكلم يفني زمانه في تقرير حدوث العالم، وإثبات وجود الصانع. وذلك أمر مفروغ منه عند السالك الصادق صاحب اليقين. فالذي يطلبه هذا بالاستدلال - الذي هو عرضة الشبه، والأسئلة، والإيرادات التي لا نهاية لها - هو كشف ويقين للسالك، فتقيده في **سلوكه** بحال هذا المتكلم انقطاع، وخروج عن الفتوة.

وهذا حق لا ينازع فيه عارف، فترى المتكلم يبحث في الزمان والمكان، والجواهر والأعراض، والأكوان، وهمته مقصورة عليها لا يعدوها ليصل منها إلى المكون وعبوديته. والسالك قد جاوزها إلى جمع القلب على المكون وعبوديته بمقتضى أسمائه وصفاته. لا يلتفت إلى غيره. ولا يشتغل قلبه بسواه.

فالمتكلم متفرق مشتغل في معرفة حقيقة الزمان والمكان. والعارف قد شح بالزمان أن يذهب ضائعا في غير السير إلى رب الزمان والمكان.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم <٣٣١/٢

"[فصل منزلة الإرادة]

[حقيقة الإرادة]

ومن منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة الإرادة

قال الله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى - إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى - ولسوف يرضى﴾ [الليل: ١٩ - ٢١] . وقال تعالى: ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٢٩] .

وقد أشكل على المتكلمين تعلق الإرادة بالله. وكون وجهه تعالى مرادا.

قالوا: الإرادة لا تتعلق إلا بالحادث. وأما بالقديم: فلا؛ لأن القديم لا يراد.

وأولوا الإرادة المتعلقة به بإرادة التقرب إليه. ثم إنه لا يتصور عندهم التقرب إليه. فأولوا ذلك بإرادة طاعته الموجبة لجزائه.

هذا حاصل ما عندهم. وحجابهم في هذا الباب غليظ كثيف من أغلظ الحجب وأكثفها. ولهذا تجدهم أهل قسوة. ولا تجد عليهم روح **السلوك**، ولا بهجة المحبة.

والطلب والإرادة عند أرباب **السلوك**: هي التجرد عن الإرادة. فلا تصح عندهم الإرادة إلا لمن لا إرادة له.

ولا تظن أن هذا تناقض. بل هو محض الحق. واتفاق كلمة القوم عليه.

وقد تنوعت عبارات القوم عنها. وغالبهم يخبر عنها بأنها ترك العادة.

ومعنى هذا: أن عادة الناس غالبا التعريج على أوطان الغفلة، وإجابة داعي الشهوة، والإخلاد إلى أرض الطبيعة. والمريد منسلخ عن ذلك. فصار خروجه عنه: أمارة ودلالة على صحة الإرادة. فسمي انسلاخه وتركه إرادة.

وقيل: نهوض القلب في طلب الحق.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٤٥/٢<

"وقد ذكر عن الجنيد كلمتان في الإرادة مجملتان. تحتاج كل منهما إلى تفسير. الكلمة الواحدة: قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت محمد بن مخلد يقول: سمعت جعفرا يقول: سمعت الجنيد يقول: المريد الصادق غني من العلماء.

وقال أيضا: سمعت الجنيد يقول: إذا أراد الله بالمريد خيرا: أوقعه إلى الصوفية. ومنعه صحبة القراء.

قلت: إذا صدق المريد، وصح عقد صدقه مع الله: فتح الله على قلبه ببركة الصدق، وحسن المعاملة مع الله: ما يغنيه عن العلوم التي هي نتائج أفكار الناس وآرائهم. وعن العلوم التي هي فضلة ليست من زاد القبر. وعن كثير من إشارات الصوفية وعلومهم، التي أفنوا فيها أعمارهم: من معرفة النفس وآفاتها وعيوبها، ومعرفة مفسدات الأعمال، وأحكام السلوك. فإن حال صدقه، وصحة طلبه: يريه ذلك كله بالفعل.

ومثال ذلك: رجل قاعد في البلد يدأب ليله ونهاره في علم منازل الطريق وعقباتها وأوديتها، ومواضع المتاهات فيها، والموارد والمفاوز. وآخر: حمله الوجد وصدق الإرادة على أن ركب الطريق وسار فيها. فصدقه يغنيه عن علم ذلك القاعد، ويريه إياها في سلوكه عيانا.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٤٧/٢<

"وشهواتها، ورعوناتها وبطالاتها. ولا يمكن ذلك إلا بهذه الأشياء التي أشار إليها. وهي: صحبة العلم ومعانقته. فإنه النور الذي يعرف العبد مواقع ما ينبغي إيثار طلبه. وما ينبغي إيثار تركه. فمن لم يصحبه العلم: لم تصح له إرادة باتفاق كلمة الصادقين. ولا عبرة بقطاع الطريق.

وقال بعضهم: متى رأيت الصوفي الفقير يقدح في العلم. فاتهمه على الإسلام.

ومنها: التعلق بأنفاس السالكين. ولا ريب أن كل من تعلق بأنفاس قوم انخرط في مسلكهم. ودخل في جماعتهم.

وقال أنفاس السالكين ولم يقل: أنفاس العابدين. فإن العابدين من شأنهم القيام بالأعمال. وشأن السالكين مراعاة الأحوال.

وقوله: مع صدق القصد.

يكون بأمرين. أحدهما: توحيده. والثاني: توحيد المقصود. فلا يقع في قصدك قسمة. ولا في مقصودك.

وقوله: وخلع كل شاغل من الإخوان، ومشتت من الأوطان.

يشير إلى ترك الموانع، والقواطع العائقة عن **السلوك**: من صحبة الأغيار، والتعلق بالأوطان، التي ألف فيها البطالة والنذالة. فليس على المريد الصادق أضر من عشرائه ووطنه، القاطعين له عن سيره إلى

[فصل الدرجة الثانية تقطع بصحبة الحال]

فصل

قال: الدرجة الثانية تقطع بصحبة الحال، وترويح الأنس، والسير بين القبض والبسط.

أي ينقطع إلى صحبة الحال. وهو الوارد الذي يرد على القلب من تأثيره بالمعاملة، السالب لوصف الكسل والفتور، الجالب له إلى مرافقة الرفيق الأعلى، الذين أنعم الله عليهم. فينتقل من مقام العلم إلى مقام الكشف، ومن مقام رسوم الأعمال إلى." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٥٣/٢>

"ركب إلى الله، ولا ثبت لأحد قدم في **السلوك** إلا به.

وإنما جعله آخر درجات العامة: لأنهم إليه ينتهون. ثم حكى قول من قال: إنه أول خطوة للخاصة.

يعني: أنه ليس بمقام لهم. وإنما هو مبدأ **لسلوكهم**. فمنه يبتدئون **سلوكهم** وسيرهم. وهذا لأن الخاصة عنده سائرون إلى عين الجمع والفناء في شهود الحقيقة. لا تقف بهم دونها همة. ولا يعرجون دونها على رسم. فكل ما دونها فهو عندهم من مشاهد العامة، ومنازلهم ومقاماتهم. حتى المحبة.

وحسبك بجعل اليقين نهاية للعامة. وبداية لهم. قال:

[درجات اليقين]

[الدرجة الأولى علم اليقين]

وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: علم اليقين. وهو قبول ما ظهر من الحق. وقبول ما غاب للحق. والوقوف على ما قام بالحق.

ذكر الشيخ في هذه الدرجة ثلاثة أشياء، هي متعلق اليقين وأركانه.

الأولى: قبول ما ظهر من الحق تعالى. والذي ظهر منه سبحانه: أوامره ونواهيه وشرعه، ودينه الذي ظهر لنا منه على ألسنة رسله. فنتلقاه بالقبول والانقياد، والإذعان والتسليم للربوبية. والدخول تحت رق العبودية.
الثاني: قبول ما غاب للحق وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك: من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك: من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك: من أمور البرزخ، ونعيمه وعذابه.
فقبول هذا كله - إيمانا وتصديقا وإيقانا - هو اليقين. بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة. ولا شك ولا تناس، ولا غفلة عنه. فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه.
الثالث: الوقوف على ما قام بالحق سبحانه من أسمائه وصفاته وأفعاله.
وهو علم التوحيد، الذي أساسه: إثبات الأسماء والصفات. وضده: التعطيل والنفي، والتهجم. فهذا التوحيد يقابله التعطيل.
وأما التوحيد القصدي الإرادي، الذي هو إخلاص العمل لله، وعبادته وحده: فيقابله الشرك، والتعطيل شر من الشرك، فإن المعطل جاحد للذات أو لكمالها. وهو جحد لحقيقة الإلهية. فإن ذاتا لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا ترضى، ولا تغضب،." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٧٨/٢>

"مستأنس، وكل عاص مستوحش، كما قيل:
فإن كنت قد أوحشتك الذنوب ... فدعها إذا شئت واستأنس
والقرب يوجب الأنس والهيبة والمحبة.
قال صاحب " المنازل " رحمه الله.

[درجات الأنس]
[الدرجة الأولى الأنس بالشواهد]
وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: الأنس بالشواهد، وهو استحلاء الذكر. والتغذي بالسماع، والوقوف على الإشارات.
هذه اللفظة يجرونها في كلامهم - أعني لفظة الشواهد - ومرادهم بها أمران.
أحدهما: الحقيقة. وهي ما يقوم بقلب العبد، حتى كأنه يشاهده ويبصره لغلبته عليه. فكل ما يستولي على

قلب صاحبه ذكره: فإنه شاهده. فمنهم من يكون شاهده العمل. ومنهم من يكون شاهده الذكر. ومنهم من يكون شاهده المحبة. ومنهم من يكون شاهده الخوف.

فالمريد: يأنس بشاهده. ويستوحش لفقده.

والثاني: شاهد الحال. وهو الأثر الذي يقوم به. ويظهر عليه من عمله، **وسلوكه** وحاله. فإن شاهده لا بد أن يظهر عليه.

ومراد صاحب " المنازل ": الشاهد الأول. الذي يأنس به المريد، وهو الحامل له على استحلاء الذكر، طلبا لظفره بحصول المذكور. فهو يستأنس بالذكر طلبا لاستئناسه بالمذكور، ويتغذى بالسماع كما يتغذى الجسم بالطعام والشراب.

فإن كان محبا صادقا، طالبا لله، عاملا على مرضاته: كان غذاؤه بالسماع القرآني، الذي كان غذاء سادات العارفين من هذه الأمة، وأبرها قلوبا، وأصحها أحوالا. وهم الصحابة رضي الله عنهم.

وإن كان منحرفا فاسد الحال، ملبوسا عليه، مغرورا مخدوعا: كان غذاؤه بالسماع الشيطاني. الذي هو قرآن الشيطان، المشتمل على محاب النفوس، ولذتها وحظوظها. وأصحابه: أبعد الخلق من الله. وأغلظهم عنه حجابا وإن كثرت إشاراتهم إليه.

وهذا السماع القرآني سماع أهل المعرفة بالله، والاستقامة على صراطه المستقيم. ويحصل للأذهان الصافية من معان وإشارات، ومعارف وعلوم. تتغذى بها القلوب المشرقة بنور الأنس. فيجد بها ولها لذة روحانية. يصل نعيمها إلى القلوب والأرواح. وربما فاض حتى وصل إلى الأجسام. فيجد من اللذة ما لم يعهد مثله من اللذات الحسية.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٨٢>

"والذي لا ريب فيه: أن البقاء في الذكر أكمل من الفناء فيه والغيبة به؛ لما في البقاء من التفصيل والمعارف وشهود الحقائق على ما هي عليه، والتمييز بين الرب والعبد وما قام بالعبد وما قام بالرب تعالى وشهود العبودية والمعبود. وليس في الفناء شيء من ذلك، والفناء – كاسمه – الفناء، والبقاء بقاء كاسمه، والفناء مطلوب لغيره والبقاء مطلوب لنفسه والفناء وصف العبد والبقاء وصف الرب. والفناء عدم والبقاء وجود والفناء نفي والبقاء إثبات **والسلوك** على درب الفناء مخطر، وكم به من مفازة ومهلكة، **والسلوك** على درب البقاء آمن؛ فإنه درب عليه الأعلام والهداة والخفراء، ولكن أصحاب الفناء يزعمون أنه طويل ولا يشكون في سلامته وإيصاله إلى المطلوب، ولكنهم يزعمون أن درب الفناء أقرب وراكبه طائر وراكب درب البقاء سائر، والكمل من السائرين يرون الفناء منزلة من منازل الطريق وليس نزولها عاما لكل سائر، بل منهم

من لا يراها ولا يمر بها، وإنما الدرب الأعظم والطريق الأقوم هو درب البقاء. ويحتجون على صاحب الفناء بالانتقال إليه من الفناء، وإلا فهو عندهم على خطر، والله المستعان وهو سبحانه أعلم.

[فصل منزلة الفقر]

[حقيقة الفقر]

فصل منزلة الفقر

ومن منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة الفقر

هذه المنزلة أشرف منازل الطريق عند القوم، وأعلاها وأرفعها. بل هي روح كل منزلة وسرها ولبها وغايتها.

وهذا إنما يعرف بمعرفة حقيقة الفقر. والذي تريد به هذه الطائفة أخص من معناه الأصلي. فإن لفظ الفقر وقع في القرآن في ثلاثة مواضع.

أحدها: قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ [البقرة: ٢٧٣]- الآية أي الصدقات لهؤلاء. كان فقراء المهاجرين نحو أربعمائة. لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر. وكانوا قد حبسوا." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٠٩>

"أحدها: أنه إذا تركها – وهو بشر لا ملك – تعلق قلبه بما يقيمه ويقيته ويعيشه. وما هو محتاج إليه. فيبقى في مجاهدة شديدة مع نفسه لترك معلومها وحظها من الدنيا. وهذه قلة فقه في الطريق، بل الفقيه العارف: يردها عنه بلقمة. كما يرد الكلب إذا نبح عليه بكسرة. ولا يقطع زمانه بمجاهدته ومدافعته، بل أعطها حظها، وطالبها بما عليها من الحق.

هذه طريقة الرسل صلى الله عليهم وسلم. وهي طريقة العارفين من أرباب **السلوك**. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن لنفسك عليك حقا. ولربك عليك حقا. ولزوجك عليك حقا. ولضيفك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه» .

والعارف البصير يجعل عوض مجاهدته لنفسه في ترك شهوة مباحة: مجاهدته لأعداء الله من شياطين الإنس والجن، وقطاع الطريق على القلوب. كأهل البدع من بني العلم، وبني الإرادة، ويستفرغ قواه في حربهم ومجاهدتهم. ويتقوى على حربهم بإعطاء النفس حقها من المباح. ولا يشتغل بها.

ومن آفات الترك: تطلعه إلى ما في أيدي الناس إذا مسته الحاجة إلى ما تركه، فاستدامتها كان أنفع له من هذا الترك.

ومن آفات تركها، وعدم أخذها: ما يداخله من الكبر والعجب والزهو. وهذا يقابل الزهد فيها وتركها. كما أن كسرة الآخذ وذلته وتواضعه: يقابل الآخذ التارك. ففي الأخذ آفات. وفي الترك آفات.

فالفقر الصحيح: السلامة من آفات الأخذ والترك. وهذا لا يحصل إلا بفقه في الفقر.

قوله رحمه الله: فهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه.

يعني تكلم فيه أرباب **السلوك**. وفضلوه ومدحوه.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤١٦>

"وهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم: بالتحكيم له والتسليم والتفويض، والانقياد لحكمه، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته. فيكون تعبده به أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر في ظلم الليل، ومتاهات الطريق.

فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه الرماد. وليراجع الإيمان من أصله. فيرجع وراءه ليقتبس نورا، قبل أن يحال بينه وبينه، ويقال له ذلك على الصراط من وراء السور. والله المستعان.

[فصل منزلة العلم]

[حقيقة العلم والأقوال فيه]

فصل منزلة العلم

ومن منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة العلم.

وهذه المنزلة إن لم تصحب السالك من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه: **فسلوكه** على غير طريق. وهو مقطوع عليه طريق الوصول، مسدود عليه سبل الهدى والفلاح، مغلقة عنه أبوابها. وهذا إجماع من الشيوخ العارفين. ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق منهم، ونواب إبليس وشرطه.

قال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد بن محمد رحمه الله: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة.

وقال أبو حفص رحمه الله: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة. ولم يتهم خواطره. فلا يعد في ديوان الرجال.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما. فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب، والسنة.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء – طاعة كان أو معصية – فهو عيش النفس، وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء: فهو عذاب على النفس.

وقال السري: التصوف اسم لثلاثة معان: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٣٤>

"وقال أبو حمزة البغدادي – من أكابر الشيوخ. وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل: ما تقول يا صوفي – من علم طريق الحق سهل عليه **سلوكه**. ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأقواله وأفعاله.

ومر الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الواسطي يوم الجمعة إلى الجامع. فانقطع شسع نعله. فأصلحه له رجل صيدلاني. فقال: تدري لم انقطع شسع نعلي؟ فقلت: لا. فقال: لأني ما اغتسلت للجمعة. فقال: هاهنا حمام تدخله؟ فقال: نعم. فدخل واغتسل.

وقال أبو إسحاق الرقي، من أقران الجنيد: علامة محبة الله: إيثار طاعته، ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: أفضل الأحوال: ما قارن العلم.

وقال أبو القاسم النصراباذي شيخ خراسان في وقته: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة. وترك الأهواء والبدع. وتعظيم كرامات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

وقال أبو بكر الطمستاني – من كبار شيوخ الطائفة –: الطريق واضح والكتاب." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٣٧>

"وأكثر ما يكون: هذا عند الحاجة. وصدق الرغبة من السائل، والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله، والإسراع بقلبه إلى بين يديه، وحضرته، مع تجرده من الأهواء، وتجريده النصيحة لله ولرسوله، ولعباده المؤمنين، وإزالة نفسه من البين.

ومن جرب هذا عرف منفعته وعظمها. وساء ظنه بما يحسن به الغافلون ظنونهم من كثير من كلام الناس.

قوله: وليست شيئا يملك

يعني هي موهبة من الله تعالى ليست بسببية ولا كسبية. وليست كالسكينة التي كانت في التابوت تنقل معهم كيف شاءوا.

وقوله: تلقي على لسان المحدث الحكمة أي تجري الصواب على لسانه.

وقوله: كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء عليهم السلام.

يعني: أنها بواسطة الملائكة. بحيث تلقي في قلوب أربابها الحكمة عنهم والطمأنينة والصواب. كما أن الأنبياء تتلقى الوحي عن الله بواسطة الملائكة. ولكن ما للأنبياء مختص بهم. ولا يشاركهم فيه غيرهم. وهو نوع آخر.

وقوله: تنطق المحدثين بنكت الحقائق، مع ترويج الأسرار وكشف الشبه

قد تقدم في أول الكتاب: ذكر مرتبة المحدث، وأن هذا التحديث من مراتب الهداية العشرة، وأن المحدث هو الذي يحدث في سره بالشيء، فيكون كما يحدث به. والحقائق هي حقائق الإيمان **والسلوك**. ونكتها عيونها ومواضع الإشارات منها. ولا ريب أن تلك توجب للأسرار روحا تحيا به وتتنعم. وتكشف عنها شبهات لا يكشفها المتكلمون ولا الأصوليون. فتسكن الأرواح والقلوب إليها. ولهذا سميت سكينة ومن لم يفز من الله بذلك لم تنكشف عنه شبهاته. فإنها لا يكشفها إلا سكينة الإيمان واليقين.

[فصل السكينة الثالثة هي التي نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وسلم]

فصل

قال السكينة الثالثة: هي التي نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وقلوب المؤمنين. وهي شيء يجمع قوة وروحا، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين والضجر. ويسكن إليه العصي والجرئ والأبي.

هذا من عيون كلامه وغرره الذي تثنى عليه الخناصر. وتعقد عليه القلوب. وتظفر." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٧٤>

"قوله " وتنمو على الإجابة بالفاقة " الإجابة بالفاقة: أن يجيب الداعي بموفور الأعمال. وهو خال منها. كأنه لم يعملها، بل يجيب دعوته بمجرد الإفلاس والفقر التام. فإن طريقة الفقر والفاقة: تأبى أن يكون لصاحبها عمل، أو حال أو مقام. وإنما يدخل على ربه بالإفلاس المحض، والفاقة المجردة. ولا ريب أن المحبة تنمو على هذا المشهد، وهذه الإجابة. وما أعزه من مقام. وأعلاه من مشهد. وما أنفعه للعبد! وما أجلبه للمحبة! والله المستعان.

[فصل الدرجة الثانية محبة تبعث على إيثار الحق على غيره]

فصل

قال: الدرجة الثانية: محبة تبعث على إيثار الحق على غيره، وتلهج اللسان بذكره. وتعلق القلب بشهوده. وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات، والنظر إلى الآيات، والارتياض بالمقامات.

هذه الدرجة أعلى مما قبلها، باعتبار سببها وغايتها. فإن سبب الأولى: مطالعة الإحسان والمنة. وسبب هذه: مطالعة الصفات. وشهود معاني آياته المسموعة، والنظر إلى آياته المشهودة. وحصول الملكة في مقامات السلوك، وهو الارتياض بالمقامات. ولذلك كانت غايتها أعلى من غاية ما قبلها.

فقوله " تبعث على إيثار الحق على غيره " أي لكمالها وقوتها فإنها تقتضي من المحب أن يترك لأجل الحق ما سواه، فيؤثره على غيره. ولا يؤثر غيره عليه. ويجعل اللسان لهجا بذكره. فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره.

" وتعلق القلب بشهوده " لفرط استيلائه على القلب. وتعلقه به، حتى كأنه لا يشاهد غيره.

وقوله " وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات " يعني: إثباتها أولا. ومعرفتها ثانيا. ونفي التحريف والتعطيل عن نصوصها ثالثا، ونفي التمثيل والتكييف عن معانيها رابعا. فلا يصح له مطالعة الصفات الباعثة على المحبة الصحيحة إلا بهذه الأمور الأربعة. وكلما أكثر قلبه من مطالعتها، ومعرفة معانيها: ازدادت محبته للموصوف بها. ولذلك كانت الجهمية - قطاع طريق المحبة - بين المحبين وبينهم السيف الأحمر.

وقوله " والنظر إلى الآيات " أي نظر الفكر والاعتبار إلى آياته المشهودة.

وفي آياته." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٠>

"وقيل: إنها على وجه إقامة الحجة على قومه. فتصور بصورة الموافق، ليكون أدعى إلى القبول. ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصا آفلا. فإن المعبود الحق: لا يجوز أن يغيب عن عابديه وخلقه ويأفل عنهم. فإن ذلك مناف لربوبيته لهم. أو أنه انتقل من مراتب الاستدلال على المعبود حتى أوصله الدليل إلى الذي فطر السماوات والأرض. فوجه إليه وجهه حنيفا موحدا، مقبلا عليه، معرضا عما سواه. والله سبحانه أعلم.

[فصل درجات العطش]

[الدرجة الأولى عطش المريد إلى شاهد يرويه]

فصل

قال: العطش: كناية عن غلبة ولوع بمأمول.

الولوع بالشيء: هو التعلق به بصفة المحبة، مع أمل الوصول إليه.

وقيل في حد الولوع: إنه كثرة ترداد القلب إلى الشيء المحبوب. كما يقال: فلان مولع بكذا، وقد أولع به.

وقيل: هو لزوم القلب للشيء. فكأنه مثل: أغري به، فهو مغرى.

قال: وهو على ثلاث درجات. الأولى: عطش المريد إلى شاهد يرويه. أو إشارة تشفيه. أو عطفة تؤويه.

ولما كان المريد من أهل طلب الشواهد على الاعتبار، ومثير العزمات، وتعلق العباد بالأعمال.

وقوله " شاهد يرويه " يحتمل: أنه من الرواية. أي يرويه عمن أقامه له. فيكون ذلك إشارة إلى شواهد العلم. فهو شديد العطش إلى شواهد يرويها عن الصادقين من أهل **السلوك**، يزداد بها تثبيتا وقوة بصيرة. فإن المريد إذا تجددت له حالة، أو حصل له." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٦٣/٣>

"وارد: استوحش من تفرده بها. فإذا قام عنده بمثلها شاهد حال لمريد آخر صادق، قد سبقه إليها: استأنس بها أعظم استئناس. واستدل بشاهد ذلك المريد على صحة شاهده. فلذلك يشتد عطشه إلى شاهد يرويه عن الصادقين.

ويحتمل: أنه من الري – فيكون مضموم الياء – يعني: إذا حصل له الري بذلك الشاهد. ونزل على قلبه منزلة الماء البارد من الظمآن. فقرر عنده صحته، وأنه شاهد حق.

ويرجح هذا: ذكر الري مع العطش. ويرجح الأول: ذكره لفظة الري في قوله " أو عطفة ترويه " والأمر قريب.

قوله " أو إشارة تشفيه " أي تشفي قلبه من علة عارضة. فإذا وردت عليه الإشارة – إما من صادق مثله، أو من عالم، أو من شيخ مسلك، أو من آية فهمها، أو عبرة ظفر بها –: اشتفى بها قلبه. وهذا معلوم عند من له ذوق.

قوله " أو إلى عطفة ترويه " أي عطفة من جانب محبوبه عليه، تروي لهيب عطشه وتبرده. ولا شيء أروى لقلب المحب من عطف محبوبه عليه. ولا شيء أشد للهيبه وحريقه من إعراض محبوبه عنه. ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم: أشد عليهم مما هم فيه من العذاب الجسماني. كما أن نعيم أهل الجنة – برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله – أعظم من نعيمهم الجسماني.

[فصل الدرجة الثانية عطش السالك إلى أجل يطويه]

فصل

قال: الدرجة الثانية: عطش السالك إلى أجل يطويه. ويوم يريه ما يغنيه. ومنزل يستريح فيه.

إما أن يريد بالأجل الذي يطويه: انقضاء مدة سجن القلب والروح في البدن، حتى تصل إلى ربها وتلقاه، وهذا هو الظاهر من كلامه.

وإما أن يريد به: عطشه إلى مقصود **السلوك** من وصوله إلى محبوبه وقرة عينه وجمعيته عليه. فهو يطوي مراحل سيره حثيثا، ليصل إلى هذا المقصود، وحينئذ يعود إليه سير آخر وراء هذا السير، مع عدم مفارقته له. فإنه إنما وصل به إليه. فلو فارقه لانقطع انقطاعا كليا. ولكن يبقى له سير، وهو مستلق على ظهره، يسبق بـه السعاة.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٦٤>

"عندهم فوق الوجد. فإن الوجد مصادفة. والمواجيد ثمرات الأوراد. وكلما كثرت الأوراد قويت المواجيد.

و " الوجود " عندهم فوق ذلك. وهو الظفر بحقيقة المطلوب، ولا يكون إلا بعد خمود البشرية. وانسلاخ أحكام النفس انسلاخا كليا.

قال الجنيد: علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده مباين لعلمه.

ولا يريد بالمباينة: المخالفة والمناقضة. فإنه يطابقه مطابقة العلم للمعلوم.

وإنما يريد بالمباينة: أن حال الموحد وذوقه للتوحيد، وانصباغ قلبه بحاله: أمر وراء علمه به، ومعرفته به. والمباينة بينهما كالمباينة بين علم الشوق والتوكل والخوف ونحوها، وبين حقائقها ومواجيدها.

فالمراتب أربعة. أضعفها التواجد وهو نوع تكلف وتعمل واستدعاء.

واختلفوا فيه: هل يسلم لصاحبه أم لا؟ على قولين.

فطائفة قالت: لا يسلم لصاحبه. وينكر عليه، لما فيه من التكلف والتصنع المباين لطريق الصادقين. وبناء هذا الأمر على الصدق المحض.

وطائفة قالت: يسلم لصاحبه إذا كان قصده استدعاء الحقيقة، لا التشبه بأهلها. واحتجوا «بقول عمر - رضي الله عنه - وقد رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر يبكيان في شأن أسارى بدر، وما قبلوا منهم من الفداء: أخبراني ما يبكيكما؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإلا تباكيت» . ورووا أثرا «ابكوا؛ فإن لم تبكوا فتباكوا» .

قالوا: والتكلف والتعمل في أوائل السير **والسلوك** لا بد منه. إذ لا يطالب صاحبه بما يطالب به صاحب

الحال. ومن تأمله بنية حصول الحقيقة لمن رصد الوجد لا يذم. والتواجد يكون بما يتكلفه العبد من حركات ظاهرة " والمواجيد " لمن يتأوله من أحكام باطنة.
المرتبة الثانية: المواجيد، وهي نتائج الأوراد وثمرتها.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٦٩>

"صاحبه بالكلية: فأفناه عنه، وأخذه منه: أنساه اسمه. لأن الاسم تبع للحقيقة. فإذا سلب الحقيقة نسي اسمها، وإن لم يسلبه بالكلية، بل أبقى منه رسما، فهو معار عنده بصدد الاسترجاع. فإن العواري يوشك أن تسترد. ويشير بالأول: إلى حالة الفناء الكامل. وبالثاني: إلى حالة الغيبة التي يؤوب منها غائبها. والله أعلم.

[فصل الدهش]

[حقيقة الدهش]

فصل الدهش

وقد تعرض للسالك دهشة في حال **سلوكه**، شبيهة بالبهتة التي تحصل للعبد عند مفاجأة رؤية محبوبه. وليست من منازل **السلوك**. خلافا لأبي إسماعيل الأنصاري حيث جعلها من المنازل. بل من غاياتها. فإن هذه الحالة ليست مذكورة في القرآن ولا في السنة ولا في كلام السالكين. ولا عدها أحد من المتقدمين من المنازل والمقامات. ولهذا لم يجد ما يستشهد به عليها سوى حال النسوة مع يوسف عليه السلام، لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.
فصدر الباب بقوله تعالى ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ [يوسف: ٣١] أي أعظمنه.
فإن كان المقصود: ما حصل لهن من إعظامه وإجلاله: فذلك منزلة التعظيم. وإن كان مراده: ما ترتب على رؤيته لهن، من غيبتهن عن أنفسهن وعن أيديهن، وما فيها حتى قطعنها: فتلك منزلة الفناء.
وإن كان مقصوده: الدهشة والبهتة التي حصلت لهن عند مفاجأته - وهو الذي قصده - فذلك أمر عارض من عوارض الطريق عند مفاجأة ما يغلب على صبر الإنسان وعقله. ولا ريب أن ذلك عارض من عوارض الطريق ليس بمقام للسالكين، ولا منزل مطلوب لهم. فعوارض الطريق شيء. ومنازلها ومقاماتها شيء.
فلهذا قال في تعريفه الدهش: بهتة تأخذ العبد عند مفاجأة ما يغلب على عقله، أو صبره، أو علمه.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٧٥>

"و " العطية " هاهنا: هي الواردات التي ترد في لطف وخفاء على قلب العبد من قبل الحق تعالى. وهي ألطاف يعامل المحبوب بها محبه، وتوجب قربا خالصا هو المسمى بالاتصال. فيصول ذلك القرب على لطف العطية. فيغيب العبد عنها وعن شهودها. وينسيه إياها. لما أوجبه له ذلك القرب من الدهش. وقد يكون سبب ذلك: تواتر أنواع العطايا عليه، حتى يدهشه كثرتها وتنوعها. فتوجب له كثرتها دهشة، تمنعه من مطالعتها، مع انضمام ذلك إلى صولة القرب. وهي واردات وأنوار يتصل بعضها ببعض. تمحو ظلم نفسه ورسمه.

وأما صولة نور القرب على نور العطف فهو قريب من هذا. أو هو بعينه وإنما كرر المعنى بلفظ آخر. فإن لطف العطية كله نور عطف، والاتصال هو القرب نفسه. تعالى الله عن غير ذلك من اتصال يتوهمه ملاحدة الطريق وزنادقتهم.

وأما صولة شوق العيان على شوق الخبر.

فمراده بها: أن المريد في أول الأمر سالك على شوق الخبر في مقام الإيمان. فإذا ترقى عنه إلى مقام الإحسان، وتمكن منه: بقي شوقه بشوق العيان. فصال هذا الشوق على الشوق الأول. فإن كان هذا مراده، وإلا فالعيان في الدنيا لا سبيل للبشر إليه ألبتة.

ومن زعم خلاف ذلك فأحسن أحواله: أن يكون ملبوسا عليه وليس فوق الإحسان للصديقين مرتبة إلا بقاؤهم فيه. فإن سمي ذلك عيانا فالتسمية الشرعية المخلصة التي لا لبس فيها أولى وأحرى.

وأكثر آفات الناس من الألفاظ. ولا سيما في هذه المواضع التي يعز فيها تصور الحق على ما هو عليه، والتعبير المطابق، فيتولد من ضعف التصور، وقصور التعبير: نوع تخبيط. ويتزايد على ألسنة السامعين له وقلوبهم، بحسب قصورهم، وبعدهم من العلم. فتفاقم الخطب، وعظم الأمر. والتبس طريق أولياء الله الصادقين بطرائق الزنادقة الملحدين. وعز المفرق بينهما. فدخل على الدين من الفساد من ذلك ما لا يعلمه إلا الله. وأشير إلى أعظم الخلق كفرا بالله عز وجل وإلحادا في دينه: بأنه من شيوخ التحقيق والمعرفة **والسلوك**.

ولولا ضمان الله بحفظ دينه، وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه، ويحيي منه ما أماته المبطلون. وينعش ما أخمله الجاهلون: لهدمت أركانه، وتداعى بنيانه، ولكن الله ذو فضل على العالمين.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٧٨>

"قصد الطريق، مع ملاحظة العبد خسة قدره، وسفالة منزلته. وتفاهة قيمته

يريد: أن القاصد للسلوك إذا نظر إلى مواقع لطف ربه به - حيث أهله لما لم يؤهل له أهل البلاء، وهم أهل الغفلة والإعراض عنه - أورثه ذلك النظر تعجبا يوقعه في نوع من الهيمان.

قال بعض العارفين في الأثر المروي " «إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية» " تدرون من هم أهل البلاء؟ هم أهل الغفلة عن الله.

وتقوى هذه الحال إذا انضاف إليها شهود العبد خسة قدر نفسه. فاستصغرها أن تكون أهلا لما أهلت له. وكذلك شهود سفالة منزلته أي انحطاط رتبته، وكذلك شهود تفاهة قيمته أي خستها وقلتها.

وحاصل ذلك كله: احتقاره لنفسه، واستعظامه للطف ربه به، وتأهيله له. فيتولد من بين هذين: الهيمان المذكور. ولا ريب أنه يتولد من بين هذين الشهودين: أمور أخرى، أجل وأعظم، وأشرف من الهيمان - من محبة وحمد وشكر، وعزم وإخلاص، ونصيحة في العبودية. وسرور وفرح بربه، وأنس به - هي مطلوبة لذاتها. بخلاف عارض الهيمان. فإنه لا يطلب لذاته. وليس هو من منازل العبودية.

[فصل الدرجة الثانية هيمان في تلاطم أمواج التحقيق عند ظهور براهينه]

فصل

قال: الدرجة الثانية: هيمان في تلاطم أمواج التحقيق، عند ظهور براهينه، وتواصل عجائبه، ولوامع أنواره.

يريد: أن السالك والمريد إذا لاحت له أنوار تحقق العلم والمعرفة: اهتدى بها إلى القصد، عن بصيرة مستجدة، ويقظة مستعدة. فاستنار بها قلبه، وأشرق لها سره. فتلاطمت عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين. فهام قلبه فيها. وهذا أمر يعرفه بالذوق كل طالب لأمر عظيم انفتحت له الطرق والأبواب إلى تحصيله.

ويريد بتواصل عجائبه: تتابع عجائب التحقيق، وأن بعضها لا يحجب عن." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٨٠>

"واستشهد عليه بقوله تعالى ﴿وهل أتاك حديث موسى - إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا﴾ [طه: ٩ - ١٠] .

ووجه الاستشهاد: أن النار التي رآها موسى كانت مبدأ في طريق نبوته.

و " البرق " مبدأ في طريق الولاية التي هي وراثة النبوة.

وقوله " باكورة: الباكورة هي أول الشيء، ومنه باكورة الثمار. وهو لما سبق نوعه في النضج.

وقوله " يلمع للعبد " أي يبدو له ويظهر " فتدعوه إلى الدخول في هذه الطريق " ولم يرد طريق أهل البدايات. فإن تلك هي اليقظة التي ذكرها في أول كتابه، وإنما أراد: طريق أرباب التوسط والنهايات.

وعلى هذا: فالبرق – الذي أشار إليه – هو برق الأحوال، لا برق الأعمال، أو برق لا سبب له من السالك. إنما هو مجرد موهبة.

والدليل على أنه أراد ما يحصل لأرباب التوسط والنهايات: أنه أخذ – بعد تعريفه – يفرق بينه وبين الوجد. فقال: والفرق بينه وبين الوجد: أن الوجد يقع بعد الدخول فيه. والبرق قبله. فالوجد زاد. والبرق إذن.

يريد: أن البرق نور يقذفه الله في قلب العبد، ويبديه له. فيدعوه به إلى الدخول في الطريق. والوجد هو شدة الطلب، وقوته الموجبة لتأجيج اللهيب من الشهود، كما تقدم.

و " الوجد زاد " يعني: أنه يصحب السالك كما يصحبه زاده. بل هو من نفائس زاده و " البرق إذن " يعني إذنا في **السلوك**، والإذن إنما يفسح للسالك في المسير لا غير.

[درجات البرق]

[الدرجة الأولى برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء]

قال: وهو ثلاث درجات. الأولى: برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء. فيستكثر فيه العبد القليل من العطاء، ويستقل فيه الكثير من الإعياء، ويستحلي فيه مرارة القضاء.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٨٢>

"وهذا يذكر العباد بالتطهر للموافاة والقدوم عليه، والدخول وقت اللقاء لمن عقل عن الله، وفهم أسرار العبادات. فإذا كان العبد لا يدخل عليه حتى يستقبل بيته المحرم بوجهه، ويستر عورته، ويطهر بدنه وثيابه، وموضع مقامه بين يديه. ثم يخلص له النية. فهكذا الدخول عليه وقت اللقاء، لا يحصل إلا بأن يستقبل ربه بقلبه كله. ويستر عوراته الباطنة بلباس التقوى. ويطهر قلبه وروحه وجوارحه من أدناسها الظاهرة والباطنة. ويتطهر لله طهرا كاملا. ويتأهب للدخول أكمل تأهب. وأوقات الصلاة نظير وقت الموافاة.

فإذا تأهب العبد قبل الوقت: جاءه الوقت وهو متأهب. فيدخل على الله. وإذا فرط في التأهب: خيف عليه من خروج الوقت قبل التأهب. إذ هجوم وقت الموافاة مضيق لا يقبل التوسعة. فلا يمكن العبد من التطهر والتأهب عند هجوم الوقت. بل يقال له: هيهات، فات ما فات، وقد بعدت بينك وبين التطهر المسافات.

فمن شام برق الوعيد بقصر الأمل: لم يزل على طهارة.

وأما " تزهيده في الخلق على القرب " وإن كانوا أقاربه أو مناسبيه، أو مجاوريه وملاصقيه، أو معاشريه

ومخالطيه: فلكمال حذره، واستعداده واشتغاله بما أمامه، وملاحظة الوعيد من أفق ذلك البارق الذي ليس بخلب، بل هو أصدق بارق.

ويحتمل أن يريد بقوله عن قرب أي عن أقرب وقت. فلا ينتظر بزهده فيهم: أملا يؤمله. ولا وقتا يستقبله.

قوله " ويرغب في تطهير السر " يعني تطهير سره عما سوى الله. وقد تقدم بيانه.

[فصل الدرجة الثالثة برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار]

فصل

قال: الدرجة الثالثة: برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار. فينشئ سحاب السرور. ويمطر مطر الطرب. ويجري من نهر الافتخار

هذا البرق يلمع من أفق ملاطفة الرب تعالى لعبده بأنواع الملاطفات. ومطلع هذا البرق: في عين الافتخار، الذي هو باب **السلوك** إلى الله تعالى، والطريق الأعظم الذي لا يدخل عليه إلا منه. وكل طريق سواه فمسدود. ومع هذا فلا يصل العبد منه إلا بالمتابعة. فلا طريق إلى الله ألبتة أبدا - ولو تعنى المتعنون، وتمنى المتمنون - إلا." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٨٤>

"بها، كالتذاذ من زال عقله بالمسكر، أو بالخيالات الباطلة.

وفي الحديث المرفوع «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني» .

ولا يرضى بالأماني عن الحقائق إلا ذوو النفوس الدنيئة الساقطة. كما قيل:

واترك منى النفس لا تحسبه يشبعها ... إن المنى رأس أموال المفاليس.

وأمنية الرجل تدل على علو همته وخستها. وفي أثر إلهي «إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى همته» والعامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسنه. والعارفون يقولون: قيمة كل امرئ ما يطلب.

[فصل الدرجة الثانية ذوق الإرادة طعم الأنس]

فصل

قال: الدرجة الثانية: ذوق الإرادة طعم الأنس. فلا يعلق به شاغل. ولا يفسده عارض. ولا تكدره تفرقة.

الإرادة وصف المريد. والفرق بين هذه الدرجة والتي قبلها: أن الأولى وصف حال العابد الذي ذاق بتصديقه طعم وعد الرب عز وجل، فجد في العبادة. وأعمال البر، لثقته بالوعد عليها. وصاحب هذه الدرجة: ذاقت

إرادته طعم الأنس. فهي حال المريد.
ولهذا علق حال صاحب الدرجة الأولى: بالوعد الجميل. وعلق حال صاحب هذه الدرجة: بالأنس بالله. والأنس به سبحانه أعلى من الأنس بما يرجوه العابد من نعيم الجنة. فإذا ذاق المريد طعم الأنس جد في إرادته، واجتهد في حفظ أنسه، وتحصيل الأسباب المقوية له.
فلا يعلق به شاغل: أي لا يتعلق به شيء يشغله عن **سلوكه**، وسيره إلى الله." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٩٤>
"ما سواه: ظن أن ذلك هو الغاية المطلوبة بالأوراد والعبادات. وقد حصلت له الغاية. فرأى قيامه بها أولى به. وأنفع له من الاشتغال بالوسيلة. فالعبادات البدنية عنده: وسيلة لغاية، وقد حصلت. فلا معنى للاشتغال بالوسيلة بعدها، كما يقول كثير من الناس: إن العلم وسيلة إلى العمل. فإذا اشتغلت بالغاية لم تحتج إلى الوسيلة.
وقد اشتد نكير السلف – من أهل الاستقامة من الشيوخ – على هذه الفرقة. وحذروا منهم. وجعلوا أهل الكبائر وأصحاب الشهوات خيرا منهم، وأرجى عاقبة.
وأما الصديق الموحد: فإذا وصل إلى هناك، صارت أعماله القلبية والروحية أعظم من أعماله البدنية، ولم يسقط من أعماله شيئا. ولكنه استراح من كد المجاهدات بملاحظة عين الجمع.
وصار بمنزلة مسافر طلب ملكا عظيما رحيما جوادا، فجد في السفر إليه، خشية أن يقتطع دونه. فلما وصل إليه ووقع بصره عليه: بقي له سير آخر في مرضاته ومحابه. فالأول: كان سيرا إليه. وهذا سير في محابه ومراضيه. فهذا أقرب ما يقال في كلام الشيخ وأمثاله في ذلك.
وبعد، فالعبد – وإن لاحظ عين الجمع، ولم يغب عنها – فهو سائر إلى الله ولا ينقطع سيره إليه ما دام في قيد الحياة. ولا يصل العبد ما دام حيا إلى الله وصولا يستغني به عن السير إليه ألبتة، وهذا عين المحال.
بل يشتد سيره إلى الله كلما زادت ملاحظته لتوحيده، وأسمائه وصفاته. ولهذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعظم الخلق اجتهادا، وقياما بالأعمال، ومحافظة عليها إلى أن توفاه الله. وهو أعظم ما كان اجتهادا وقياما بوظائف العبودية. فلو أتى العبد بأعمال الثقلين جميعها لم تفارقه حقيقة السير إلى الله. وكان بعد في طريق الطلب والإرادة.
وتقسيم السائرين إلى الله: إلى طالب، وسائر، وواصل. أو إلى مريد، ومراد: تقسيم فيه مساهلة لا تقسيم حقيقي، فإن الطلب **والسلوك** والإرادة لو فارق العبد: لانقطع عن الله بالكلية.

ولكن هذا التقسيم باعتبار تنقل العبد في أحوال سيره وإلا فإرادة العبد المراد، وطلبه وسيره: أشد من إرادة غيره، وطلبه وسيره.

وأيضا فإنه مراد أولا، حيث أقيم في مقام الطلب، وجذب إلى السير. فكل مريد مراد. وكل واصل وسالك وطالب لا يفارقه طلبه ولا سيره، وإن تنوعت طرق السير، بحسب اختلاف حال العبد.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١١٤>

"قوله: " وتفيد مطالعة البدايات " يحتمل كلامه أمرين.

أحدهما: أن ملاحظة عين الجمع: تفيد صاحبها مطالعة السوابق التي ابتدأه الله بها. فتفيده ملاحظة عين الجمع نظرة إلى أولية الرب تعالى في كل شيء.

ويحتمل أن يريد بالبدايات: بدايات سلوكه، وحدة طلبه. فإنه في حال سلوكه لا يلتفت إلى ما وراءه، لشدة شغله بما بين يديه. وغلبة أحكام الهمة عليه. فلا يتفرغ لمطالعة بداياته. فإذا لاحظ عين الجمع: قطع السلوك الأول. وبقي له سلوك ثان. فتفرغ حينئذ إلى مطالعة بداياته. ووجد اشتياقا منه إليها، كما قال الجنيد: واشوقاه إلى أوقات البداية.

يعني: لذة أوقات البداية، وجمع الهمة على الطلب، والسير إلى الله. فإنه كان مجموع الهمة على السير والطلب. فلما لاحظ عين الجمع فنيت رسومه، وهو لا يمكنه الفناء عن بشريته، وأحكام طبيعته. فتقاضت طباعه ما فيها. فلزمته الكلف. فارتاح إلى أوقات البدايات، لما كان فيها من لذة الإعراض عن الخلق، واجتماع الهمة.

ومر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه على رجل، وهو يبكي من خشية الله. فقال: هكذا كنا حتى قست قلوبنا.

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - «إن لكل عامل شرة. ولكل شرة فترة» .

فالطالب الجاد: لا بد أن تعرض له فترة. فيشتاق في تلك الفترة إلى حاله وقت الطلب والاجتهاد.

«ولما فتر الوحي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يغدو إلى شواهق الجبال ليلقي نفسه. فيبدو له جبريل عليه السلام، فيقول له: إنك رسول الله. فيسكن لذلك جأشه، وتطمئن نفسه» .." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٢١>

"صاف غير مكدر. والرجاء الصافي هو الذي لا يشوبه كدر توهم معاوضة منك، وأن عملك هو الذي بعثك على الرجاء. فصفاء الرجاء يخرجه عن ذلك. بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئك بالنعم

من غير استحقاقك. والفضل كله له ومنه، وفي يده – أسبابه وغاياته، ووسائله، وشروطه، وصرف موانعه – كلها بيد الله. لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توفيقه، وإذنه ومشيئته.

وملخص ذلك: أن الوقت في هذه الدرجة الأولى: عبارة عن وجد صادق، سببه رؤية فضل الله على عبده. لأن رجاءه كان صافيا من الأكدار.

قوله " أو لعصمة جذبها صدق خوف " اللام في قوله " أو لعصمة " معطوف على اللام في قوله " أو لإيناس ضياء فضل " أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف. فاللام ليست للتعليل. بل هي على حدها في قولك: ذوق لكذا، ورؤية لكذا. فمتعلق الوجد عصمة وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن. جذبها صدق خوف من الرب سبحانه.

والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها: أن الوجد في الأولى: جذبه صدق الرجاء. وفي الثانية: جذبه صدق الخوف. وفي الثالثة – التي ستذكر – جذبه صدق الحب. فهو معنى قوله: أو لتلهب شوق جذبه اشتعال محبة.

وخدمته التورية في اللهيب والاشتعال. والمحبة متى قويت اشتعلت نارها في القلب. فحدث عنها لهيب الاشتياق إلى لقاء الحبيب.

وهذه الثلاثة، التي تضمنتها هذه الدرجة – وهي: الحب والخوف والرجاء – هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الأولى لصاحبه والأنفع له، وهي أساس **السلوك**، والسير إلى الله. وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء: ٥٧] وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية. وعليها دارت رحى الأعمال. والله أعلم.

[فصل المعنى الثاني اسم لطريق سالك]

فصل

قال: والمعنى الثاني: اسم لطريق سالك. يسير بين تمكن وتلون، لكنه إلى التمكن ما هو. يسلك الحال، ويلتفت إلى العلم. فالعلم يشغله في حين، والحال." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٢٨/٣>

"ويتصرف حاله في علمه. فلا يدعه أن يقف معه. بل يدعوه إلى غاية العلم. فيجيبه ويلبي دعوته. فهذه حال الكمل من هذه الأمة. ومن استقرأ أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدها كذلك.

فلما فرق المتأخرون بين الحال والعلم: دخل عليهم النقص والخلل. والله المستعان ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور - أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠] فكذلك يهب لمن يشاء علما. ولمن يشاء حالا. ويجمع بينهما لمن يشاء. ويخلي منهما من يشاء.

قوله " فالعلم يشغله في حين " أي يشغله عن **السلوك** إلى تمكن الحال. لأن العلم متنوع التعلقات فهو يفرق. والحال يجمع. لأنه يدعوه إلى الفناء. وهناك سلطان الحال.

قوله " والحال يحمله في حين " أي يغلب عليه الحال تارة. فيصير محمولا بقوة الحال وسلطانه على **السلوك**. فيشتد بحكم الحال، يعني: وإذا غلبه العلم شغله عن **السلوك**. وهذا هو المعهود من طريقة المتأخرين: أن العلم عندهم يشغل عن **السلوك**. ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا عن العلم.

وأما على ما قررناه - من أن العلم يعين على **السلوك**، ويحمل عليه، ويكون صاحبه سالكا به وفيه - فلا يشغله العلم عن **سلوكه**. وإن أضعف سيره على درب الفناء. فلا ريب أن العلم لا يجامع الفناء. فالفناء ليس هو غاية السالكين إلى الله. بل ولا هو لازم من لوازم الطريق، وإن كان عارضا من عوارضها. يعرض لغير الكمل، كما تقدم تقرير ذلك.

فبينا أن الفناء الكامل، الذي هو الغاية المطلوبة: هو الفناء عن محبة ما سوى الله وإرادته. فيفنى بمحبة الله عن محبة ما سواه. وبإرادته ورجائه، والخوف منه، والتوكل عليه، والإنابة إليه: عن إرادة ما سواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه.

وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال. ولا يحول بين العبد وبينه. بل قد يكون في أغلب الأحوال من أعظم أعوانه. وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين، بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه. ولكن لم يخل الله الأرض من قائم به، داع إليه.

قوله " فبلاؤه بينهما " أي عذابه وألمه: بين داعي الحال وداعي العلم. فإيمانه." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٣٠>

"[فصل المعنى الثالث: الوقت الحق]

قال: والمعنى الثالث، قالوا: الوقت الحق. أرادوا به: استغراق رسم الوقت في وجود الحق. وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي. لكنه هو اسم في هذا المعنى الثالث، لحين تتلاشى فيه الرسوم كشفا. لا

وجودا محضا. وهو فوق البرق والوجد. وهو يشارف مقام الجمع، لو دام وبقي. ولا يبلغ وادي الوجود، لكنه يكفي مؤنة المعاملة، ويصفي عين المسامرة. ويشم روائح الوجود.

هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله. وأصعب تصورا وحصولا. فإن الأول: وقت **سلوك** يتلون. وهذا وقت كشف يتمكن. ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قلب صاحبه. فلا يحس برسم الوقت، بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه، لما قهره من نور الكشف.

فقوله: قالوا: الوقت هو الحق.

يعني: أن بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت، ثم فسر مرادهم بذلك. وأنهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق. ومعنى هذا: أن السالك بهذا المعنى الثالث للحق: إذا اشتد استغراقه في وقت يتلاشى عنه وقته بالكلية.

وتقريب هذا إلى الفهم: أنه إذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان. فقد استغرق الزمان رسم الوقت إلى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه، وانغمر فيه. كما تنغمر القطرة في البحر. ثم إن الزمان – المحدود الطرفين – يستغرق رسمه في وجود الدهر. وهو ما بين الأزل والأبد. ثم إن الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله. وذلك الدوام: هو صفة الرب. فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت. ولا يبقى له نسبة إلى دوام الرب جل جلاله ألبتة. فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي، كما تضمحل الأنوار المخلوقة في نوره، وكما يضمحل علم الخلق في علمه، وقدرتهم في قدرته، وجمالهم في جماله، وكلامهم في كلامه، بحيث لا يبقى للمخلوق نسبة ما إلى صفات الرب جل جلاله.

والقوم إذا أطلق أهل الاستقامة منهم " ما في الوجود إلا الله " أو " ما ثم موجود على الحقيقة إلا الله " أو " هناك: يفنى من لم يكن. ويبقى من لم يزل " ونحو ذلك من العبارات، فهذا مرادهم. لا سيما إذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم <١٣٢/٣

"الشيء، وتصفيته مما يشوبه. ومنه: اصطفى الشيء لنفسه. أي خلصه من شوب شركة غيره له فيه. ومنه الصفي وهو السهم الذي كان يصطفيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لنفسه من الغنيمة. ومنه: الشيء الصافي. وهو الخالص من كدر غيره.

قوله: الصفاء: اسم للبراءة من الكدر.

البراءة: هي الخلاص. والكدر امتزاج الطيب بالخبيث.

قوله: وهو في هذا الباب: سقوط التلوين.

التلوين هو التردد والتذبذب، كما قيل:

كل يوم تتلون ... ترك هذا بك أجمل

[درجات الصفاء]

[الدرجة الأولى صفاء علم يهذب لسلوك الطريق]

قال: وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: صفاء علم يهذب لسلوك الطريق. ويبصر غاية الجد. ويصحح همة القاصد.

ذكر الشيخ له في هذه الدرجة ثلاث فوائد.

الفائدة الأولى: علم يهذب لسلوك الطريق، وهذا العلم الصافي - الذي أشار إليه - هو العلم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان الجنيد يقول دائما: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. فمن لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، ولم يتفقه: لا يقتدى به.

وقال غيره من العارفين: كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٣٦>

"وقال الجنيد: علمنا هذا متشبك بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وقال أبو سليمان الداراني: إنه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم. فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل، من الكتاب والسنة. وقال النصراباذي: أصل هذا المذهب: ملازمة الكتاب والسنة. وترك الأهواء والبدع، والاقتداء بالسلف، وترك ما أحدثه الآخرون. والإقامة على ما سلكه الأولون.

وقد تقدم ذكر بعض ذلك.

فهذا العلم الصافي، المتلقى من مشكاة الوحي والنبوة: يهذب صاحبه لسلوك طريق العبودية. وحقيقتها: التأدب بآداب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باطنا وظاهرا. وتحكيمه باطنا وظاهرا. والوقوف معه حيث وقف بك. والمسير معه حيث سار بك. بحيث تجعله بمنزلة شيخك الذي قد ألقيت إليه أمرك كله سره وظاهره، واقتديت به في جميع أحوالك. ووقفت مع ما يأمرك به. فلا تخالفه ألبتة. فتجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لك شيخا، وإماما وقدوة وحاكما، وتعلق قلبك بقلبه الكريم، وروحانيتك بروحانيته،

كما يعلق المريد روحانيته بروحانية شيخه. فتجيبه إذا دعاك. وتقف معه إذا استوقفك. وتسير إذا سار بك. وتقيل إذا قال، وتنزل إذا نزل. وتغضب لغضبه. وترضى لرضاه. وإذا أخبرك عن شيء أنزلته منزلة ما تراه بعينك. وإذا أخبرك عن الله بخبر أنزلته منزلة ما تسمعه من الله بأذنك.

وبالجملة: فتجعل الرسول شيخك وأستاذك، ومعلمك ومربيك ومؤدبك. وتسقط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ. كما تسقط الوسائل بينك وبين المرسل في العبودية. ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك.

وهذان التجريدان: هما حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. والله وحده هو المعبود المألوه، الذي لا يستحق العبادة سواه، ورسوله: المطاع المتبع، المهتدى به، الذي لا يستحق الطاعة سواه. ومن سواه: فإنما يطاع إذا أمر الرسول بطاعته. فيطاع تبعا للأصل.

وبارجملة: فالطريق مسدودة إلا على من اقتفى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم، واقتدى به في ظاهره وباطنه.

فلا يتعنى السالك على غير هذا الطريق. فليس حظه من **سلوكه** إلا التعب، وأعماله ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ [النور: ٣٩]

.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٣٧/٣>

"كان نصحه فيه، وإخلاصه وتحسينه، وبذل الجهد فيه أتم ممن لم يشاهده ولم يلاحظه. ولم يجد من مس التعب والنصب ما يجده الغائب، والوجود شاهد بذلك. فمن عمل عملا لملك بحضرته، وهو يشاهده: ليس حاله كحال من عمل في غيبته وبعده عنه، وهو غير متيقن وصوله إليه.

وقوله " ويصحح همة القاصد " أي ويصحح له صفاء هذا العلم همته، ومتى صحت الهمة علت وارتفعت. فإن سقوطها ودناءتها من علتها وسقمها، وإلا فهي كالنار تطلب الصعود والارتفاع ما لم تمنع.

وأعلى الهمم: همة اتصلت بالحق سبحانه طلبا وقصدا. وأوصلت الخلق إليه دعوة ونصحا. وهذه همة الرسل وأتباعهم. وصحتها: بتمييزها من انقسام طلبها وانقسام مطلوبها وانقسام طريقها. بل توحد مطلوبها بالإخلاص، وطلبها بالصدق، وطريقها **بالسلوك** خلف الدليل الذي نصبه الله دليلا. لا من نصبه هو دليلا لنفسه.

ولله الهمم! ما أعجب شأنها، وأشد تفاوتها. فهمة متعلقة بمن فوق العرش. وهمة حائمة حول الأنتان والحش. والعامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسنه. والخاصة تقول: قيمة المرء ما يطلبه. وخاصة الخاصة

تقول: همة المرء إلى مطلوبه.

وإذا أردت أن تعرف مراتب الهمم، فانظر إلى همة «ربيعة بن كعب الأسلمي – رضي الله عنه – وقد قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سلني – فقال: أسألك مرافقتك في الجنة» . وكان غيره يسأله ما يملأ بطنه، أو يواري جلده.

وانظر إلى همة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض – فأباها. ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها في طاعة ربه تعالى. فأبت له تلك الهمة العالية: أن يتعلق منها بشيء مما سوى الله ومحابه. وعرض عليه أن يتصرف بالملك، فأباه. واختار التصرف بالعبودية المحضة. فلا إله إلا الله، خالق هذه الهمة، وخالق نفس تحملها، وخالق همم لا تعدو همم أخس الحيوانات.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٤٠>

"قصودهم. وصح سلوكهم. ولن يوقف لهم على رسم. ولم ينسبوا إلى اسم. ولم يشر إليهم بالأصابع. أولئك ذخائر الله حيث كانوا.

ذكر لهم ثلاث صفات ثبوتية، وثلاثا سلبية.

الأولى: علو هممهم. وعلو الهمة: أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه. ولا ترضى بغيره بدلا منه. ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج له، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية. فالهمة العالية على الهمم: كالطائر العالي على الطيور. لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها.

وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان، فإن الآفات قواطع وجواذب، وهي لا تعلو إلى المكان العالي فتجتذب منه، وإنما تجتذب من المكان السافل، فعلو همة المرء: عنوان فلاحه، وسفول همته: عنوان حرمانه.

العلامة الثانية: صفاء القصد، وهو خلاصه من الشوائب التي تعوقه عن مقصوده، فصفاء القصد: تجريده لطلب المقصود له لا لغيره، فهاتان آفتان في القصد؛ إحداهما: أن لا يتجرد لمطلوبه. الثانية: أن يطلبه لغيره لا لذاته.

وصفاء القصد: يراد به العزم الجازم على اقتحام بحر الفناء عند الشيخ ومن وافقه على أن الفناء غاية.

ويراد به: خلوص القصد من كل إرادة تزاحم مراد الرب تعالى، بل يصير القصد مجردا لمراده الديني الأمري، وهذه طريقة من يجعل الغاية: هي الفناء عن إرادة السوى، وعلامته: اندراج حظ العبد في حق الرب تعالى،

بحيث يصير حظه هو نفس حق ربه عليه، ولا يخفى على البصير الصادق علو هذه المنزلة، وفضلها على منزلة الفناء، وبالله التوفيق.

العلامة الثالثة صحة السلوك وهو سلامته من الآفات والعوائق والقواطع، وهو إنما يصح بثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون على الدرب الأعظم، الدرب النبوي المحمدي، لا على الجواد الوضعية، والرسوم الاصطلاحية، وإن زخرفوا لها القول ودققوا لها الإشارة،." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٦٣<

"وحسنوا لها العبارة، فتلك من بقايا النفوس عليهم وهم لا يشعرون.

الثاني: أن لا يجيب على الطريق داعي البطالة والوقوف والدعة.

الثالث: أن يكون في سلوكه ناظرا إلى المقصود. وقد تقدم بيان ذلك.

فبهذه الثلاثة يصح السلوك، والعبارة الجامعة لها: أن يكون واحدا لواحد، في طريق واحد، فلا ينقسم طلبه ولا مطلوبه، ولا يتلون مطلوبه.

وأما الثلاثة السلبية التي ذكرها. فأولها: قوله: ولم يوقف لهم على رسم.

يريد: أنهم انمحت رسومهم، فلم يبق منها ما يقف عليه واقف.

وهذا كلام يحتاج إلى شرح، فإن الرسم الظاهر المعاين لا يمحى ما دام في هذا العالم، ولا يرون محو هذا الرسم وهم مختلفون فيما يعبر بالرسم عنه.

فطائفة قالت: الرسم ما سوى الحق سبحانه، ومحوه هو ذهاب الوقوف معه والنظر إليه والرضا به والتعلق به.

ومنهم: من يريد بالرسم: الظواهر والعلامات.

وهذا أقرب إلى وضع اللغة، فإن رسم الدار هو الأثر الباقي منها الذي يدل عليها، ولهذا يسمون الفقهاء وأهل الأثر ونحوهم علماء الرسوم؛ لأنهم عندهم لم يصلوا إلى الحقائق، اشتغلوا عن معرفتها بالظواهر والأدلة.

فهذه الطائفة التي أشار إليها لا رسم لهم يقفون عنده، بل اشتغلوا بالحقائق والمعاني عن الرسوم والظواهر.

وللملحد هاهنا مجال؛ إذ عنده أن العبادات والأوامر والأوراد كلها رسوم، وأن العباد وقفوا على الرسوم، ووقفوا هم على الحقائق.

ولعمر الله إنها لرسوم إلهية أتت على أيدي رسله، ورسم لهم أن لا يتعدوها، ولا يقصروا عنها، فالرسل قعدوا على هذه الرسوم يدعون الخلق إليها، ويمنعونهم من تجاوزها، ليصلوا إلى حقائقها ومقاصدها، فعطل

الملاحدة تلك الرسوم، وقالوا إنما المراد الحقائق، ففاتتهم الرسوم والحقائق معا. ووصلوا؛ ولكن إلى الحقائق الإلحادية الكفرية ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ [آل عمران: ٢٤] . ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: ٤٣] .." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٦٤>

"تمكنهم، فمقاماتهم عالية لا ترمقها العيون ولا تخالطها الظنون، يشيرون إلى ما يعرفه المخاطب من مقامات المريدين السالكين، وبدايات **السلوك**، ويخفون ما مكنهم فيه الحق سبحانه وتعالى من أحوال المحبة ومواجيدها، وآثار المعرفة وتوحيدها، فهذه هي التورية التي ذكرها.

فكأنهم يظهرون للمخاطب: أنهم من أهل البدايات، وهم في أعلى المقامات، يتكلمون معهم في البداية والإرادة **والسلوك**، ومقامهم فوق ذلك، وهم محققون في الحالتين، لكنهم يسترون أشرف أحوالهم ومقاماتهم عن الناس.

وبالجملة: فهم مع الناس بظواهرهم، يخاطبونهم على قدر عقولهم، ولا يخاطبونهم بما لا تصل إليه عقولهم، فينكرون عليهم فيحسبهم المخاطب مثله، فالناس عندهم وليسوا هم عند أحد.

قوله: " أشاروا إلى منزل، وهم في غيره " يعني: يشيرون إلى منزل التوبة، والمحاسبة وهم في منزل المحبة، والوجد، والذوق ونحوها.

وقد يريد: أنهم يشيرون إلى أنهم عامة، وهم خاصة الخاصة، وإلى أنهم جهال، وهم العارفون بالله، وأنهم مسيئون، وهم محسنون.

وعلى هذا: فيكونون من الطائفة الملامتية، الذين يظهرون ما لا يمدحون عليه، ويسرون ما يحمدهم الله عليه، عكس المرائين المنافقين، وهؤلاء طائفة معروفة. لهم طريقة معروفة، تسمى طريقة أهل الملامة وهم الطائفة الملامتية يزعمون: أنهم يحتملون ملام الناس لهم على ما يظهرونه من الأعمال. ليخلص لهم ما يبطنونه من الأحوال. ويحتجون بقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤]." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٦٨>

"فهم عاملون على إسقاط جاههم ومنزلتهم في قلوب الناس. لما رأوا المغترين - المغتر بهم - من المنتسبين إلى **السلوك** يعملون على تزكية نفوسهم، وتوفير جاههم في قلوب الناس. فعاكسهم هؤلاء وأظهروا بطالة وأبطنوا أعمالا. وكتموا أحوالهم جهدهم. وينشدون في هذه الحال:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود يا غاية المنى ... فكل الذي فوق التراب تراب

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف قال: كان عيسى عليه السلام يقول: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه، حتى يخرج إلى الناس، فيقولون: ليس بصائم.

ولهذا قال بعضهم: التصوف ترك الدعاوى، وكتمان المعاني، وسئل الحارث بن أسد عن علامات الصادق؟ فقال: أن لا يبالي أن يخرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على اليسير من عمله.

وهذا يحمد في حال، ويذم في حال، ويحسن من رجل ويقبح من آخر، فيحمد إذا أظهر ما يجوز إظهاره، ولا نقص عليه فيه، ولا ذم من الله ورسوله؛ ليكتم به حاله وعمله، كما إذا أظهر الغنى وكتم الفقر والفاقة، وأظهر الصحة وكتم المرض، وأظهر النعمة وكتم البلية.

فهذا كله من كنوز الستر، وله في القلب تأثير عجيب يعرفه من ذاقه، وشكا رجل إلى الأحنف بن قيس شكاة فقال: يا ابن أخي قد ذهب ضوء بصري من عشرين سنة فما أخبرت به أحدا.

وأما الحال التي يذم فيها: فأن يظهر ما لا يجوز إظهاره، ليسيء به الناس الظن، فلا يعظموه كما يذكر عن بعضهم: أنه دخل الحمام، ثم خرج وسرق ثياب رجل، ومشى رويدا حتى أدركوه، فأخذوها منه وسبوه فهذا حرام لا يحل تعاطيه، ويقبح أيضا من المتبوع المقتدى به ذلك، بل وما هو دونه؛ لأنه يغر الناس، ويوقعهم في التأسي بما يظهره من سوء.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/١٦٩>

"ولا يواجهه إذا لقيه بالحال، بل بلين الجانب، وخفض الجناح، وطلاقة الوجه، فيفرش له بساط الأنس ويجلسه عليه. فهو أحب إليه من الفرش الوثيرة. وسئل محمد بن علي القصاب أستاذ الجنيد عن التصوف؟ فقال: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام.

وبالجملة: فهذه الطريق لا تنافي اللطف والظرف. والصلف بل هي أصلف شيء لكن هاهنا دقيقة قاطعة وهي الاسترسال مع هذه الأمور، فإنها أقطع شيء للمريد والسالك، فمن استرسل معها قطعته، ومن عاداها بالكلية وعرت عليه طريق **سلوكه**، ومن استعان بها أراحته في طريقه، أو أراحت غيره به، وبالله التوفيق.

فصل

وأهل هذه الطبقة، أثقل شيء عليهم: البحث عما جريات الناس، وطلب تعرف أحوالهم، وأثقل ما على قلوبهم سماعها، فهم مشغولون عنها بشأنهم، فإذا اشتغلوا بما لا يعنيهم منها فاتهم ما هو أعظم عناية لهم، وإذا عد غيرهم الاشتغال بذلك وسماعه من باب الظرف والأدب، وستر الأحوال كان هذا من خدع النفوس وتلبيسها، فإنه يحط الهمم العالية من أوجها إلى حضيضها، وربما يعز عليه أن يحصل همة أخرى يصعد بها إلى موضعه الذي كان فيه، فأهل الهمم والفطن الثاقبة لا يفتحون من آذانهم وقلوبهم طريقا إلى ذلك، إلا ما تقاضاه الأمر، وكانت مصلحته أرجح، وما عداه فبطالة وحط مرتبة.

[فصل الثالثة طائفة أسرهم الحق عنهم فألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه]

فصل

قال: الطبقة الثالثة: طائفة أسرهم الحق عنهم، فألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه وهيمهم عن شهود ما هم له، وضن بحالهم عن علمهم ما هم به، فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم، عن قصد صادق يهيجه غيب وحب صادق يخفى عليه علمه، ووجد غريب لا ينكشف له موقده، وهذا من أدق مقامات أهل الولاية.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٧٢/٣>

"بصدق النور لصدق شدة تعلقه بالنور، وملازمته له.

قوله: " قائم بإشارات الأزل " أي: هذا النفس منزه مطهر عن إشارات الحدوث، فقد ترحل عنها وفارقها إلى إشارات الأزل، ويعني بإشارات الأزل أنه قد فني في عيانه الذي شخص إليه من لم يكن وبقي من لم يزل، فصارت أنفاسه من جملة إشارات الأزل.

ولم يرد الشيخ: أن أنفاسه تنقلب أزلية، فمن هو دون الشيخ لا يتوهم هذا بل أنفاس الخلق متعلقة بمن لم يكن، وهذا نفسه متعلق بمن لم يزل.

وبعد، فللملحد هاهنا مجال، لكنه في الحقيقة وهم باطل وخيال.

وفي قوله: " يسمى بصدق النور " لطيفة، وهي أن السالك يلوح له في سلوكه النور مرارا، ثم يختفي عنه كالبرق يلمع ثم يختفي، فإذا قوي ذلك النور ودام ظهوره، صار نورا صادقا.

قوله: فالنفس الأول: للعيون سراج. والثاني: للقاصد معراج. والثالث: للمحقق تاج.

أي: النفس الأول: سراج في ظلمة السلوك، لتعلقه بالعلم، كما تقدم، والعلم سراج يهتدى به في طرقات القصد، ويوضح مسالكها، ويبين مراتبها، فهو سراج للعيون.

والنفس الثاني: للقاصد معراج، فإنه أعلى من الأول؛ لأنه من نور المعرفة الرافعة للحجاب.

والنفس الثالث للمحقق تاج؛ لأنه نفس مطهر من أدناس الأكوان، ومتصل بالكائن قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء، فهذا تاج لقلبه بمنزلة التاج على رأس الملك.

والنفس الأول يؤمن السالك من عثرته، والثاني يوصله إلى طلبته، والثالث: يدله على علو مرتبته، والله سبحانه وتعالى أعلم.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٨٣/٣>

"وأكثر ما يطلق في اصطلاح القوم: على من انتقل إلى مقام البقاء بعد الفناء وهو الوصول عندهم، وحقيقته: ظفر العبد بنفسه، وهو أن تتوارى عنه أحكام البشرية بطلوع شمس الحقيقة واستيلاء سلطانها، فإذا دامت له هذه الحال أو غلبت عليه فهو صاحب تمكين.

قال صاحب المنازل: التمكن: فوق الطمأنينة، وهو الإشارة إلى غاية الاستقرار إنما كان فوق الطمأنينة؛ لأنها تكون مع نوع من المنازعة، فيطمئن القلب إلى ما يسكنه، وقد يتمكن فيه وقد لا يتمكن، ولذلك كان التمكن هو غاية الاستقرار، وهو تفعل من المكان، فكأنه قد صار مقامه مكانا لقلبه قد تبوأه منزلا ومستقرا.

[درجات التمكن]

[الدرجة الأولى تمكن المريد]

قال: وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: تمكن المريد؛ وهو أن يجتمع له صحة قصد يسيره، ولمع شهوده يحمله، وسعة طريق تروحه.

المريد في اصطلاحهم: هو الذي قد شرع في السير إلى الله، وهو فوق العابد ودون الواصل، وهذا اصطلاح بحسب حال السالكين، وإلا فالعابد مريد، والسالك مريد، والواصل مريد، فالإرادة لا تفارق العبد ما دام تحت حكم العبودية.

وقد ذكر الشيخ للتمكن في هذه الدرجة ثلاثة أمور: صحة قصد، وصحة علم، وسعة طريق، فبصحة القصد يصح سيره، وبصحة العلم تنكشف له الطريق، وبسعة الطريق يهون عليه السير، وكل طالب أمر من الأمور فلا بد له من تعين مطلوبه، وهو المقصود، ومعرفة الطريق الموصل إليه، والأخذ في السلوك، فمتى فاته واحد من هذه الثلاث: لم يصح طلبه ولا سيره، فالأمر دائر بين مطلوب يتعين إيثاره على غيره، وطلب يقوم بقصد من يقصده، وطريق توصل إليه.

فإذا تحقق العبد بطلب ربه وحده: تعين مطلوبه، فإذا بذل جهده في طلبه صح له طلبه، فإذا تحقق باتباع

أوامره واجتناب نواهيه صح له طريقه، وصحة القصد والطريق موقوفة على صحة المطلوب وتعينه.

فحكم القصد يتلقى من حكم المقصود، فمتى كان المقصود أهلا للإيثار كان القصد المتعلق به كذلك، فالقصد والطريق تابعان للمقصود.

وتمام العبودية: أن يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في مقصوده وقصده وطريقه، فمقصوده:." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٠٥>

"الله وحده، وقصده: تنفيذ أوامره في نفسه وفي خلقه، وطريقه: اتباع ما أوحي إليه، فصحبه الصحابة رضي الله عنهم على ذلك حتى لحقوا به، ثم جاء التابعون لهم بإحسان، فمضوا على آثارهم.

ثم تفرقت الطرق بالناس، فخيار الناس من وافقه في المقصود والطريق، وأبعدهم عن الله ورسوله من خالفه في المقصود والطريق؛ وهم أهل الشرك بالمعبود، والبدعة في العبادة، ومنهم من وافقه في المقصود وخالفه في الطريق، ومنهم من وافقه في الطريق وخالفه في المقصود.

فمن كان مراده الله والدار الآخرة فقد وافقه في المقصود، فإن عبد الله بما به أمر على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد وافقه في الطريق، وإن عبده بغير ذلك فقد خالفه في الطريق.

ومن كان مقصوده من أهل العلم، والعبادة، والزهد في الدنيا الرياسة، فقد خالفه في المقصود، وإن تقيد بالأمر.

فإن لم يتقيد به، فقد خالفه في المقصود والطريق.

فإذا عرف هذا، فقول الشيخ " تمكن المريد: أن يجتمع له صحة قصد يسيره " إشارة إلى صحة القصد.

وقوله: " ولمع شهود يحمله " إشارة إلى معرفة المقصود، وقوة اليقين، فيحصل لقلبه كشف يحمله على سلوكه، فإن السالك إذا كشف له عن مقصوده حتى كأنه يعاينه جد في طلبه، وذهبت عنه رخص الفتور.

وقوله: " وسعة طريق تروحه " إشارة إلى صحة طريقه، وذلك بأمرين: بسعتها حتى لا تضيق عليه، فيعجز عن سلوكها، وباستقامتها حتى لا يزيغ عنها إلى غيرها، فإن طريق الحق واسعة مستقيمة، وطرق الباطل ضيقة معوجة، وهذا يدل على رسوخ الشيخ في العلم، ووقوفه مع السنة، وفقهه في هذا الشأن.

[فصل الدرجة الثانية تمكن السالك]

فصل

قال: الدرجة الثانية: تمكن السالك، وهو أن يجتمع له صحة انقطاع، وبرق كشف، وضياء حال.

هذه الدرجة أتم مما قبلها، فإن تلك تمكن في تصحيح قصد الأعمال، وهذه." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٠6>

"تمكن في حال التمكن، والتمكن في الحال أبلغ من التمكن في القصد.

ويريد بصحة الانقطاع: انقطاع قلبه عن الأغيار، وتعلقه بالشواغل الموجبة للأكدار، ومع ذلك فقد حصل لقلبه " برق كشف " يجعل الإيمان له كالعيان، ومع ذلك فحاله مع الله صاف من معارضات السوى، فلا يعارض كشفه شبهة، ولا همته إرادة، بل هو متمكن في انقطاعه وشهوده وحاله.

[فصل الدرجة الثالثة تمكن العارف]

فصل

قال: الدرجة الثالثة: تمكن العارف، وهو أن يحصل في الحضرة فوق حجب الطلب لابسا نور الوجود.

العارف فوق السالك، ولا يفارقه **السلوك**، لكنه مع **السلوك** قد ظفر بالمعرفة، فأخذ منها اسما أخص من اسم السالك، وهكذا الشأن في سائر المقامات والأحوال، فإنها لا تفارق من ترقى فيها، ولكن إذا ترقى في مقام أخذ اسمه، وكان أحق به مع ثبوت الأول له.

والحضرة يراد بها حضرة الجمع، وعندي: أنها حضرة دوام المراقبة والتمكن من مقام الإحسان، هذه حضرة الأنبياء والعارفين.

وأما حضرة الجمع التي يشيرون إليها فكل فرقة تشير إلى شيء، فأهل الفناء يريدون حضرة جمع الفناء في توحيد الربوبية، وأهل الإلحاد: يريدون حضرة جمع الوجود في وجود واحد، وطائفة من السالكين يريدون حضرة جمع الأسماء والصفات في ذات واحدة.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٠٧>

"تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦]

.

قوله: " لابسا نور الوجود " المعنى الصحيح من هذه اللفظة: أن نور الوجود نور ظفره بإقبال قلبه على الله عز وجل، وجمع همه عليه، وفنائه بمراده عن مراد نفسه، فصار واجدا لما أكثر الخلق فاقد له، قد لبس قلبه نور ذلك الوجود، حتى فاض على لسانه وجوارحه، وحركاته وسكناته، فإن نطق علاه النور وإن سكت علاه النور.

وأخص من هذا: أنه قد فاض على قلبه نور اليقين بالأسماء والصفات، فصار لقلبه من معرفتها والإيمان

بها، وذوق حلاوة ذلك نور خاص غير مجرد نور العبادة والإرادة **والسلوك**، وإياك أن تلتفت إلى غير هذا ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله﴾ [النحل: ٩٤] .

وليس مراد الشيخ بالوجود ما يريده المتكلمون والفلاسفة، ولا ما يريده الاتحادية الملاحدة، وإنما مراده به الوجدان بعد الفقد، كما يقال: فلان واجد، وفلان فاقد، والله أعلم.

[فصل المكاشفة]

قال صاحب المنازل:

(باب المكاشفة) قال الله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] .

وجه احتجاجه بإشارة الآية: أن الله سبحانه كشف لعبده صلى الله عليه وسلم ما لم يكشفه لغيره، وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره، فحصل لقلبه الكريم من انكشاف الحقائق التي لا تخطر ببال غيره ما خصه الله به، والإيحاء هو الإعلام السريع الخفي، ومنه الوحا الوحا؛ أي: الإسراع الإسراع.

قوله: " ما أوحى " أبهمه لعظمه، فإن الإبهام قد يقع للتعظيم، ونظيره قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ٧٨] أي: أمر عظيم فوق الصفة.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٠٩>

"تفرق، غير أن الغين ربما شاب مقامه، على أنه قد بلغ مبلغا لا يلفته قاطع، ولا يلويه سبب، ولا يقتطعه حظ، وهي درجة القاصد، فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية.

المكاشفة الصحيحة: علوم يحدثها الرب سبحانه وتعالى في قلب العبد، ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره، وقد يواليها وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها، ويواريها عنه بالغين الذي يغشى قلبه، وهو أرق الحجب، أو بالغيم، وهو أغلظ منه أو بالران، وهو أشدها.

فالأول: يقع للأنبياء عليهم السلام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله أكثر من سبعين مرة» .

والثاني: يكون للمؤمنين. والثالث: لمن غلبت عليه الشقوة، قال الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] قال ابن عباس وغيره: هو الذنب بعد الذنب يغطي القلب حتى يصير كالران عليه.

والحجب عشرة الأول: حجاب التعطيل، ونفي حقائق الأسماء والصفات، وهو أغلظها، فلا يتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله، ولا يصل إليه ألبتة إلا كما يتهيأ للحجر أن يصعد إلى فوق.

الثاني: حجاب الشرك، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله.

الثالث: حجاب البدعة القولية، كحجاب أهل الأهواء، والمقالات الفاسدة على اختلافها.

الرابع: حجاب البدعة العملية، كحجاب أهل **السلوك** المبتدعين في طريقهم **وسلوكهم**.

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة، كحجاب أهل الكبر والعجب والرياء والحسد، والفخر والخيلاء ونحوها.

السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة، وحجابهم أرق من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كثرة عباداتهم وزهاداتهم واجتهاداتهم، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك، فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشون من إظهارها وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة، فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢١١>

"وأجله أن يكشف للسالك عن طريق **سلوكه** ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها.

فما أكرم الله الصادقين بكرامة أعظم من هذا الكشف، وجعلهم منقادين له عاملين بمقتضاه، فإذا انضم هذا الكشف إلى كشف تلك الحجب المتقدمة عن قلوبهم، سارت القلوب إلى ربها سير الغيث إذا استدبرته الريح.

فلنرجع إلى شرح كلامه.

فقوله: " الدرجة الثالثة: مكاشفة عين، لا مكاشفة علم " أي: متعلق هذه المكاشفة عين الحقيقة، بخلاف مكاشفة العلم، فإن متعلقها الصورة الذهنية المطابقة للحقيقة الخارجية، فكشف العلم: أن يكون مطابقا لمعلومه، وكشف العيان: أن يصير المعلوم مشاهدا للقلب، كما تشاهد العين المرئي.

ومن ظن من القوم أن كشف العين ظهور الذات المقدسة لعيانه حقيقة فقد غلط أقبح الغلط، وأحسن أحواله: أن يكون صادقا ملبوسا عليه، فإن هذا لم يقع في الدنيا لبشر قط، وقد منع منه كليم الرحمن صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف السلف والخلف: هل حصل هذا لسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه؟ فالأكثرون على أنه لم ير الله سبحانه، وحكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعا من الصحابة، فمن ادعى كشف العيان البصري عن الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ، وإن قال: إنما هو كشف العيان القلبي، بحيث يصير الرب سبحانه كأنه مرئي للعبد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعبد الله كأنك تراه» فهذا حق، وهو قوة يقين،

ومزيد علم فقط.
نعم؛ قد يظهر له نور عظيم، فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهية، وأنها قد تجلت له، وذلك غلط أيضا، فإن نور الرب تعالى لا يقوم له شيء، ولما ظهر للجبل منه أدنى." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢١٦/٣>

"إلى علم الرب تعالى لكان ذلك بالنسبة إلى علم الرب كنقرة عصفور في بحر، وهكذا سائر صفاته، كسمعه وبصره، وسائر نعوت كماله، فإنه يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، فالسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها ومجاري القوت في أعضائها، يضع السماوات على إصبع من أصابع يده، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، ويقبض سماواته بإحدى يديه، والأرضين باليد الأخرى، فالسماوات السبع في كفه كخردلة في كف العبد، ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفا واحدا ما أحاطوا بالله عز وجل، لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه.

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد: اضمحلت فيه الشواهد المتقدمة من غير أن تعدم، بل تصير الغلبة والقهر لهذا الشاهد، وتندرج فيه الشواهد كلها، ومن هذا شاهده فله **سلوك** وسير خاص، ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة، أو معرفة مجملة.

فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد والناس في واد.

خليلي لا والله ما أنا منكما ... إذا علم من آل ليلى بدا ليا

والمقصود: أن العيان والكشف والمشاهدة في هذه الدار إنما تقع على الشواهد والأمثلة العلمية، وهو المثل الأعلى الذي ذكره سبحانه في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة النحل وسورة الروم وسورة الشورى، وهو ما يقوم بقلوب عابديه ومحبيه، والمنيبين إليه من هذا الشاهد، وهو الباعث لهم على العبادة والمحبة، والخشية والإنابة، وتفاوتهم فيه لا ينحصر طرفاه، فكل منهم له مقام معلوم لا يتعداه، وأعظم الناس حظا في ذلك معترف بأنه لا يحصي ثناء عليه سبحانه، وأنه فوق ما يثني." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٣٨/٣>

"الحب، وبذل الجهد في امتثال الأمر، فلا يزال كذلك حتى يبدو على سره شواهد معرفته، وآثار صفاته وأسمائه، ولكن يتوارى عنه ذلك أحيانا، ويبدو أحيانا، يبدو من عين الجود، ويتوارى بحكم الفترة، والفترات أمر لازم للعبد، فكل عامل له شرة، ولكل شرة فترة، فأعلاها فترة الوحي؛ وهي للأنبياء، وفترة الحال الخاص للعارفين، وفترة الهمة للمريدين، وفترة العمل للعابدين، وفي هذه الفترات أنواع من الحكمة والرحمة، والتعرفات الإلهية، وتعريف قدر النعمة، وتجديد الشوق إليها، ومحض التواجد إليها وغير ذلك.

ولا تزال تلك الشواهد تتكرر وتتزايد، حتى تستقر، وينصبغ بها قلبه، وتصير الفترة غير قاطعة له، بل تكون نعمة عليه، وراحة له، وترويحا وتنفيسا عنه.

فهمة المحب إذا تعلقت روحه بحبيبه، عاكفا على مزيد محبته، وأسباب قوتها، فهو يعمل على هذا، ثم يترقى منه إلى طلب محبة حبيبه له، فيعمل على حصول ذلك، ولا يعدم الطلب الأول، ولا يفارقه ألبتة، بل يندرج في هذا الطلب الثاني، فتتعلق همته بالأمرين جميعا، فإنه إنما يحصل له منزلة "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به" بهذا الأمر الثاني، وهو كونه محبوبا لحبيبه، كما قال في الحديث «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره» إلخ، فهو يتقرب إلى ربه حفظا لمحبته له، واستدعاء لمحبة ربه له.

فحينئذ يشد مئزر الجد في طلب محبة حبيبه له بأنواع التقرب إليه، فقلبه؛ للمحبة والإنابة والتوكل والخوف والرجاء، ولسانه؛ للذكر وتلاوة كلام حبيبه، وجوارحه: للطاعات، فهو لا يفتر عن التقرب من حبيبه.

وهذا هو السير المفضي إلى هذه الغاية التي لا تنال إلا به، ولا يتوصل إليها إلا من هذا الباب، وهذه الطريق، وحينئذ تجمع له في سيره جميع متفرقات **السلوك** من الحضور والهيبة والمراقبة ونفي الخواطر وتخلية الباطن.

فإن المحب يشرع أولا في التقربات بالأعمال الظاهرة، وهي ظاهر التقرب، ثم يترقى من ذلك إلى حال التقرب، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكليته بروحه وقلبه، وعقله وبدنه، ثم يترقى من ذلك إلى حال الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، فيتقرب إليه حينئذ من باطنه بأعمال القلوب؛ من المحبة والإنابة والتعظيم والإجلال والخشية، فينبعث حينئذ من باطنه الجود ببذل الروح والجود في محبة حبيبه بلا تكلف، فيجود بروحه ونفسه، وأنفاسه وإرادته، وأعماله لحبيبه حالا لا تكلفا، فإذا وجد المحب." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٥٣>

"وليس القرب في هذه المراتب كلها قرب مسافة حسية ولا مماسة، بل هو قرب حقيقي، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه، والعبد في الأرض.

وهذا الموضع هو سر السلوك، وحقيقة العبودية، وهو معنى الوصول الذي يدندن حوله القوم.

وملاك هذا الأمر هو قصد التقرب أولا، ثم التقرب ثانيا، ثم حال القرب ثالثا، وهو الانبعاث بالكلية إلى الحبيب.

وحقيقة هذا الانبعاث: أن تفنى بمراده عن هواك، وبما منه عن حظك، بل يصير ذلك هو مجموع حظك ومرادك، وقد عرفت أن من تقرب إلى حبيبه بشيء من الأشياء جوزي على ذلك بقرب هو أضعافه، وعرفت أن أعلى أنواع التقرب تقرب العبد بجملته بظاهره وباطنه، وبوجوده إلى حبيبه، فمن فعل ذلك فقد تقرب بكله، ولم تبق منه بقية لغير حبيبه، كما قيل:

لا كان من لسواك فيه بقية ... يجد السبيل بها إليه العذل

وإذا كان المتقرب إليه بالأعمال يعطي أضعاف أضعاف ما تقرب به، فما الظن بمن أعطي حال التقرب وذوقه ووجده؟ فما الظن بمن تقرب إليه بروحه، وجميع إرادته وهمته، وأقواله وأعماله؟

وعلى هذا فكما جاد لحبيبه بنفسه، فإنه أهل أن يجاد عليه، بأن يكون ربه سبحانه هو حظه ونصيبه، عوضا عن كل شيء، جزاء وفاقا، فإن الجزاء من جنس العمل. وشواهد هذا كثيرة.

منها: قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٢] ففرق بين الجزاءين كما ترى، وجعل جزاء المتوكل عليه كونه سبحانه حسبه وكافيه.

ومنها: أن الشهيد لما بذل حياته لله أعاضه الله سبحانه حياة أكمل منها عنده في محل قربه وكرامته.

ومنها: أن من بذل لله شيئا أعاضه الله خيرا منه.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٥٥>

"قوله: " وأسبل عليهم أكلة الرسوم " أي: أجرى عليهم أحكام الخلق يأكلون كما يأكلون، ويشربون كما يشربون، ويسكنون حيث يسكنون، ويمشون معهم في الأسواق، ويعانون معهم الأسباب، وهم في واد والناس في واد، فمشاركتهم إياهم في ذلك هي التي سترتهم عن معرفتهم، وعن إدراك حقائقهم فهم تحت ستور المشاركة.

ووراء هاتيك الستور محجب ... بالحسن كل العز تحت لوائه

لو أبصرت عيناك بعض جماله ... لبذلت منك الروح في إرضائه

ما طابت الدنيا بغير حديثه ... كلا ولا الأخرى بدون لقائه

يا خاسرا هانت عليه نفسه ... إذ باعها بالغبن من أعدائه

لو كنت تعلم قدر ما قد بعته ... لفسخت ذاك البيع قبل وفائه

أو كنت كفوا للرشاد وللهدى ... أبصرت لكن لست من أكفائه

قوله: وفرقة قبضهم منهم إليه، فصافاهم مصافاة سر، فضن بهم عليهم. هذه الفرقة إنما كانت أعلى من الفرقتين المتقدمتين: لأن الحق سبحانه قد سترهم عن نفوسهم، لكمال ما أطلعهم عليه، وشغلهم به عنهم، فهم في أعلى الأحوال والمقامات، ولا التفات لهم إليها، فهؤلاء قلوبهم معه سبحانه لا مع سواه، فلم يكونوا مع السوى ولا السوى منهم، بل هم مع السوى بالمجاورة والامتحان، لا بالمساكنة والألفة، قلوبهم عامرة بالأسرار، وأرواحهم تحن إليه حنين الطيور إلى الأوكار، قد سترهم وليهم وحبيبهم عنهم، وأخذهم إليه منهم.

قوله: " فصافاهم مصافاة سر " أي: جعل مواجيدهم في أسرارهم وقلوبهم للطف إدراكهم، فلم تظهر عليهم في ظواهرهم لقوة الاستعداد.

قوله: " فضن بهم عليهم " أي: أخذهم عن رسومهم، فأفناهم عنهم. وأبقاهم به.

وقد علمت من هذا: أن " القبض " المشار إليه في هذا الباب: ليس هو القبض الذي يشير إليه القوم في البدايات **والسلوك**، والله أعلم.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٧٩>

"الاتصال، وأيضا فالسكر فناء، والصحو بقاء.

وأيضا فالسكر غيبة والصحو حضور، وأيضا فالسكر غلبة والصحو تمكن، وأيضا فالسكر كالنوم والصحو كاليقظة.

وبعضهم يفضل مقام السكر على مقام الصحو ويقول: لولا البقية التي بقيت فيه لما صحا، وينشد متمثلا:

ومهما بقى للصحو فيك بقية ... يجد نحوك اللاحي سبيلا إلى العذل

وهذا غلط محض، لما ذكرنا. نعم السكر فوق الصحو الفارغ، والسكران بالمحبة خير من الصاحي منها، والصاحي بها خير من السكران فيها.

قوله: " وهو يناسب مقام البسط " وجه المناسبة بينهما؛ أن الانبساط لا يكون إلا مع الصحو، وإلا فالسكر لا يحتمل الانبساط.

قوله: " والصحو مقام صاعد عن الانتظار " يعني: انتظار الحضور فإن الصاحي متمكن في الحضور؛ ولذلك أشبه مقامه مقام البسط، فالصحو أعلى من أن يصحبه الانتظار؛ لأن صاحبه قد اتصل، فهو لا ينتظر الاتصال، ولذلك قال: مغن عن الطلب، فإن الطالب إنما يطلب الوصول إلى مطلوبه، وهذا قد اتصل، فصحوه مغن له عن طلبه.

وهذا الكلام ليس على إطلاقه، فإن الطلب لا يفارق العبد ما دامت الحياة تصحبه، نعم؛ صحوه مغن عن طلب حظ من حظوظه، وأما طلب محاب محبوبه ومراضيه فهو أكمل ما يكون لها طلبا.

فإن قيل: إن مراد الشيخ: أنه مغن عن التوجه والسلوك، فإنه واصل، والسالك لا يزال في الطريق.

قلت: العبد لا يزال في الطريق حتى يلحق الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] وهو الموت بإجماع أهل العلم كلهم. قال الحسن: لم يجعل الله لعباده المؤمنين أجلا دون الموت.

وتقسيم أبناء الآخرة إلى طالب وسالك وواصل صحيح باعتبار، فاسد." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٩٦/٣>

"باعتبار، فكأنهم جعلوا السير إلى الله تعالى بمنزلة السير إلى بيته، فالناس ثلاثة: طالب للسفر، ومسافر في الطريق، وواصل إلى البيت.

وهذا موضع زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، ولا بد من تحقيقه.

فنقول وبالله التوفيق، ومنه الاستمداد وهو المستعان:

هذا المثال غير مطابق، فإن الوصول إلى البيت هو غاية الطريق، فإذا وصل فقد انقطعت طريقه، وانتهى سفره، وليس كذلك الوصول إلى الله، فإن العبد إذا وصل إلى الله جذبه سيره، وقوي سفره، فعلامة الوصول إلى الله: الجد في السير، والاجتهاد في السفر، وهذا الموضع هو مفرق الطريقين بين الموحدين والملحدين، فالملحد يقول: السفر وسيلة، والاشتغال بالوسيلة بعد الوصول إلى الغاية بطالة، ومتى وصل العبد سقطت عنه أحكام السفر، وصار كما قيل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

ودعي بعض هؤلاء إلى الصلاة، وقد أقيمت، فقال:

يطالب بالأوراد من كان غافلا ... فكيف بقلب كل أوقاته ورد

وقيل لملحد آخر منهم: ألا تصلي؟ فقال: أنتم مع أورادكم، ونحن مع وارداتنا، وهؤلاء هم الذين صاح بهم أئمة الطريق، وأخرجوهم من دائرة الإسلام، وقال بعضهم: نعم وصلوا ولكن إلى الشيطان لا إلى الرحمن، وقال آخر: وصلوا ولكن إلى سقر.

فكل واصل إلى الله: فهو طالب له، وسالك في طريق مرضاته.

نعم؛ بداية الأمر الطلب، وتوسطه السلوك، ونهايته الوصول، وسيأتي بيان حقيقة الوصول الذي يشير إليه

القوم في الباب الذي يلي هذا، إن شاء الله تعالى.

والمقصود: أن قوله: " مغن عن الطلب "كلام يحتاج إلى تأويل، وحمل على معنى يصح، فإما أن يحمل على أنه مغن عن تكلف الطلب، فلا يريد هذا على هذا المعنى.

وإما أن يحمل على أنه مغن عن رؤيته، وهذا أقرب، ولكن لا يريده.

وإما أن يحمل على أنه قد وصل إلى مشاهدة الأولية، حيث تنطوي الأكوان والأسباب، ولا يبقى للطلب تأثير ألبتة، فإنه من عين الجود، وحصول المطلوب لم يكن موقوفا عليه ولا به، وإنما هو ممن وجود كل شيء به وحده، فهو الموجد والمعد." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم <٢٩٧/٣

"معرفته ورعه، ولا يخالف ورعه معرفته، كما قال بعضهم: العارف لا ينكر منكرا؛ لاستبصاره بسر الله في القدر، فعنده: أن مشاهدة القدر والحقيقة الكونية: هو غاية المعرفة، وإذا شاهد الحقيقة عذر الخليقة؛ لأنهم مأسورون في قبضة القدر، فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع، بل لظلام معرفته قد أطفأ نور إيمانه.

قوله " باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم " فإنه يشير به إلى ما عليه المنحرفون، ممن ينسب إلى **السلوك**، فإنهم يقع لهم أذواق ومواجيد، وواردات تخالف الحكم الشرعي، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدها، فيعتقدونها ويتركون بها ظاهر الحكم، وهذا كثير جدا، وهو الذي انتقد أئمة الطريق على هؤلاء، وصاحوا بهم من كل ناحية، وبدعوهم وضللوهم به.

قوله " ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله "كثرة النعم تطغي العبد، وتحمله على أن يصرفها في وجوهها وغير وجوهها، وهي تدعو إلى أن يتناول العبد بها ما حل وما لا يحل، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة على القدر الحلال، بل يتعداه إلى غيره، وتسول له نفسه أن معرفته بالله ترد عليه ما انتهبته منهم أيدي الشهوات والمخالفات، ويقول: العارف لا تضره الذنوب، كما تضر الجاهل، وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجهال، وهذا من أعظم المكر، والأمر بضد ذلك، فيحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف وإذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين، وقد دل على هذا شرع الله وقدره، ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد، وقال تعالى في نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – ﴿يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ [الأحزاب: ٣٠] فإذا أكملت النعمة على العبد، فقابلها بالإساءة والعصيان: كانت عقوبته أعظم، فدرجته أعلى وعقوبته أشد.

وقال أيضا: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة، فكيف عند أبناء الدنيا؟ يريد: أنه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها، سواء كانوا عبادا، أو من أبناء الدنيا.

وقال أبو سعيد: المعرفة تأتي من عين الوجود، وبذل المجهود، وهذا كلام حسن، يشير إلى أن المعرفة ثمرة بذل المجهود في الأعمال، وتحقق الوجد في." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٢١>

"أناس ينقدون عيش النعيم ... ونحن نحال على الآخره

فإن لم تكن مثلما يزعمو ... ن فتلك إذا كرة خاسره

فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشهوده لها: هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب ولا **سلوك** له، وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم، ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العلم الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: من رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد رآه غاديا رائحا، لم يضع لبنة على لبنة، ولكن رفع له علم فشمر إليه، ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل، حتى يرفع الله عز وجل له – بفضله ومنه – علما يشاهده بقلبه، فيشمر إليه، ويعمل عليه.

فإن عطلت شواهد الصفات، ووضعت أعلامها عن القلوب، وطمست آثارها، وضربت بسياط البعد، وأسبل دونها حجاب الطرد، وتخلفت مع المتخلفين، وأوحى إليها القدر: أن اقعدي مع القاعدين، فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه: هي الجاذبة للقلوب إلى محبته، وطلب الوصول إليه؛ لأن القلوب إنما تحب من تعرفه، وتخافه وترجوه وتشتاق إليه، وتلتذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته، فإذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والإقرار بها: امتنع منها – بعد ذلك – ما هو مشروط بالمعرفة، وملزوم لها، إذ وجود الملزوم بدون لازمه، والمشروط بدون شرطه، ممتنع.

فحقيقة المحبة، والإنابة، والتوكل، ومقام الإحسان ممتنع على المعطل امتناع حصول المغل من معطل البذر، بل أعظم امتناعا.

كيف تصمد القلوب إلى من ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه، ولا مباينا له ولا محايثا؟ بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد، والأماكن التي يرغب عن ذكرها؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها، ولا يرى مكانها، ولا يحب ولا يحب، ولا يقوم به فعل البتة، ولا يتكلم ولا يكلم، ولا

يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء، ولا يقوم به رأفة ولا رحمة ولا حنان، ولا له حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لأجلها؟ .

فكيف يتصور على ذلك، ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه، ورؤية وجهه." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٢٧/٣>

"ثم إذا رقاه الحق سبحانه درجة أخرى فوق هذه أشهده عود المفعولات إلى أفعاله سبحانه، وعود أفعاله إلى أسمائه وصفاته، وقيام صفاته بذاته، فيضمحل شهود غيره من قلبه، وجحد أن يكون لسواه من نفسه شيء البتة، ولم يجحد السوي كما يجحده الملاحدة، فإن هذا الجحود عين الإلحاد.

ثم إذا رقاه درجة أخرى؛ أشهده قيام العوالم كلها - جواهرها وأعراضها، ذواتها وصفاتها - به وحده، أي بإقامته لها وإمساكه لها، فإنه سبحانه يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك البحار أن تغيض أو تفيض على العالم، ويمسك السماء أن تقع على الأرض، ويمسك الطير في الهواء صافات ويقبضن، ويمسك القلوب الموقنة أن تزيغ عن الإيمان، ويمسك حياة الحيوان أن تفارقه إلى الأجل المحدود، ويمسك على الموجودات وجودها، ولولا ذلك لاضمحلت وتلاشت، والكل قائم بأفعاله وصفاته التي هي من لوازم ذاته، فليس الوجود الحقيقي إلا له، أعني الوجود الذي هو مستغن فيه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بالذات، لا قيام له بنفسه طرفة عين.

ولما كان للفناء مبدأ وتوسط وغاية؛ أشار إلى مراتبه الثلاثة، فالمرتبة الأولى: فناء أهل العلم المتحققين به، والثانية: فناء أهل السلوك والإرادة، والثالثة: فناء أهل المعرفة، المستغرقين في شهود الحق سبحانه.

فأول الأمر، أن تفنى قوة علمه وشعوره بالمخلوقين في جنب علمه ومعرفته بالله وحقوقه، ثم يقوى ذلك حتى يعدهم كالأموات وكالعدم، ثم يقوى ذلك حتى يغيب عنهم، بحيث يكلم ولا يسمع، ويمر به ولا يرى، وذلك أبلغ من حال السكر، ولكن لا تدوم له هذه الحال، ولا يمكن أن يعيش عليها.

[درجات الفناء]

[فصل الدرجة الأولى فناء المعرفة في المعروف]

فصل

قال: وهو على ثلاث درجات، الدرجة الأولى: فناء المعرفة في المعروف، وهو الفناء علما، وفناء العيان في المعاين، وهو الفناء جحدا، وفناء الطلب في الوجود، وهو الفناء حقا.

هذا تفصيل ما أجمله أولا، ونبين ما أرادوا بالعلم، والجحد، والحق.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٤٦>

"حقق الشيء، أي أثبته وخلصه من غيره.

الثانية: لفظ " التلخيص " ومعناه: تخليص الشيء من غيره، فخلصه ولخصه يشتركان لفظا ومعنى، وإن كان " التلخيص " أغلب ما في الذهن والتخليص أغلب على ما في الخارج، فالتلخيص: تلخيص الشيء في الذهن، بحيث لا يدخل فيه غيره، والتخليص: إفراده في الخارج عن غيره.

الثالث: " المصحوب " وهو ما يصحب الإنسان في قصده ومعرفته من معلوم ومراد.

الرابع: " الحق " وهو الله سبحانه، وما كان موصلا إليه، مدنيا للعبد من رضاه.

إذا عرف هذا، فمصحوب العبد من الحق هو معرفته ومحبته، وإرادة وجهه الكريم، وما يستعين به على الوصول إليه، وما هو محتاج إليه في **سلوكه** ف " التحقيق " هو تخليصه من المفسدات القاطعة عنه، الحائلة بين القلب وبين الموصل إليه، وتحصينه من المخالطات، وتخليصه من المشوشات، فإن تلك قواطع له عن مصحوبه الحق، وهي نوعان لا ثالث لهما: عوارض محبوبة، وعوارض مكروهة.

فصاحب مقام التحقيق لا يقف مع العوارض المحبوبة، فإنها تقطعه عن مصحوبه ومحبوبه، ولا مع العوارض المكروهة، فإنها قواطع أيضا، ويتغافل عنها ما أمكنه، فإنها تمر بالمكاثرة والتغافل مرا سريعا، لا يوسع دوائرها، فإنه كلما وسعها اتسعت، ووجدت مجالا فسيحا، فصالت فيه وجالت، ولو ضيقها - بالإعراض عنها والتغافل - لاضمحلت وتلاشت، فصاحب مقام التحقيق ينساها ويطمس آثارها، ويعلم أنها جاءت بحكم المقادير في دار المحن والآفات.

قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مرة: العوارض والمحن هي كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لابد منهما لم يغضب لورودهما، ولم يغتم لذلك ولم يحزن.

فإذا صبر العبد على هذه العوارض ولم ينقطع بها؛ رجا له أن يصل إلى مقام التحقيق، فيبقى مع مصحوبه الحق وحده، فتهذب نفسه، وتطمئن مع الله، وتنفطم عن عوائد السوء، حتى تغمر محبة الله قلبه وروحه، وتعود جوارحه متابعة للأوامر، فيحس قلبه حينئذ بأن معية الله معه وتوليه له، فيبقى في حركاته وسكناته بالله لا بنفسه، وترد على قلبه التعريفات الإلهية، وذلك إنما يكون في منزل البقاء بعد الفناء." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٦١>

"والاعتبار بها، والتفكر فيها، وذم من أعرض عنها، والإخبار بأن النظر فيها والاستدلال، يوجب العلم والمعرفة بصدق رسله؛ فهو آيات كونية مشاهدة تصدق الآيات القرآنية؟ ! ! .

فما علق بها آثارها سدى، ولا رتب عليها مقتضياتها وأحكامها باطلا، ولا جعل توسيطها تلبيسا البتة، بل ذلك موجب كماله وكمال نعوته وصفاته، وبها عرفت ربوبيته وإلهيته، وملكه وصفاته وأسماؤه.

هذا ولم يخلقها سبحانه عن حاجة منه إليها، ولا توقفا لكماله المقدس عليها، فلم يتكثر بها من قلة، ولم يتعزز بها من ذلة، بل اقتضى كماله أن يفعل ما يشاء، ويأمر ويتصرف ويدبر كما يشاء، وأن يحمد ويعرف، ويذكر ويعبد، ويعرف الخلق صفات كماله ونعوت جلاله، ولذلك خلق خلقا يعصونه ويخالفون أمره، لتعرف ملائكته وأنبياؤه ورسله، وأولياؤه كمال مغفرته، وعفوه، وحلمه وإمهاله، ثم أقبل بقلوب من شاء منهم إليه، فظهر كرمه في قبول توبته، وبره ولطفه في العود عليه بعد الإعراض عنه، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم» فلمن كانت تكون مغفرته لو لم يخلق الأسباب التي يعفو عنها ويغفرها؟ والعبد الذي له يغفر؟ فخلق العبد المغفور له، وتقدير الذنب الذي يغفر، والتوبة التي يغفر بها هو نفس مقتضى العزة والحكمة، وموجب الأسماء الحسنى، والصفات العلا - ليس من التلبيس في شيء، فتعليق الكوائن بالأسباب كتعليق الثواب والعقاب بالأسباب، ولهذا سوى صاحب المنازل بين الأمرين، وهو محض الحكمة وموجب الكمال الإلهي، ومقتضى الحمد التام، ومظهر صفة العزة، والقدرة والملك، والشرائع كلها - من أولها إلى آخرها - مبنية على تعليق الأحكام بالعلل، والقضايا بالحجج، والثواب بالطاعة، والعقوبات بالجرائم، فهل يقال: إن الشرائع كلها تلبيس، بأي معنى فسر التلبيس؟

ولعمر الله، لقد كان في غنية عن هذا الباب، وعن هذه التسمية، ولقد أفسد الكتاب بذلك.

هذا ولا يجهل محل الرجل من العلم والسنة، وطريق **السلوك**، وآفته وعلله ولكن قصده تجريد توحيد الأفعال والربوبية قاده إلى ذلك، وانضم إليه اعتقاده أن." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٧٠>

"الفناء في هذا التوحيد هو غاية **السلوك**، ونهاية العارفين، وساعده اعتقاد كثير من المنتسبين إلى السنة، الرادين على القدرية في الأسباب أنه لا تأثير لها البتة، ولا فيها قوى، ولا يفعل الله شيئا بشيء ولا شيئا لشيء، فينكرون أن يكون في أفعاله باء سببية، أو لام تعليل، وما جاء من ذلك حملوا الباء فيه على باء المصاحبة، واللام فيه على لام العاقبة، وقالوا: يفعل الله الإحراق والإغراق والإزهاق عند ملاقاة النار،

والماء والحديد، لا بهما، ولا بقوى فيهما، ولا فرق - في نفس الأمر - بين النار وبين الهواء والتراب والخشب، وانضم إلى ذلك أن العبد ليس بفاعل أصلا، وإنما هو منفعل محض، ومحل جريان تصاريف الأحكام عليه، وأن الفاعل فيه سواه، والمحرك له غيره، وإذا قيل: إنه فاعل أو متحرك، فهو تلبيس.

فهذه الأصول: أوجبت هذا التلبيس على نفاة الحكم والأسباب، وقابلهم آخرون، فمزقوا لحومهم كل ممزق، وفرقوا أديمهم، وقالوا: عطلتم الشرائع، والثواب، والعقاب، وأبطلتم حقيقة الأمر والنهي، فإن مبنى ذلك على أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم منسوبة إليهم على الحقيقة، وأن قدرهم وإرادتهم ودواعيهم مؤثرة في أفعالهم، وأفعالهم واقعة بحسب دواعيهم وإرادتهم، على ذلك قامت الشرائع والنبوات، والثواب، والعقاب، والحدود، والزواجر، فطرة الله التي فطر الناس عليها والحيوان، وسويتم بين ما فرق الله بينه، فإن الله سبحانه ما سوى بين حركة المختار وحركة من تحرك قسرا بغير إرادة منه أبدا، ولا سوى بين حركات الأشجار، وحركات ابن آدم، ولا جعل الله سبحانه أفعال عباده وطاعتهم ومعاصيهم أفعالا له، بل نسبها إليه حقيقة، وأخبر: أنه هو الذي جعلهم فاعلين، كما قال تعالى ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤] وقال ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ [القصص: ٤١] وقال سادات العارفين به ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ [البقرة: ١٢٨] وقال إبراهيم خليله ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾ [إبراهيم: ٤٠] فهو الذي جعل العبد كذلك، والعبد هو الذي صلى وصام وأسلم، وهو الفاعل حقيقة، يجعل الله له فاعلا، وهو السائر بتيسير الله له، كما قال تعالى ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ [يونس: ٢٢] فهذا فعله، والسير." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٧١>

"قوله " مع تصحيح التحقيق عقدا وسلوكا ومعاينة " يعني: أن هذه الطائفة يلبسون على أهل العيون الكليلة أحوالهم وكراماتهم بسترهم لها عنهم، مع كونهم قائمين بالتحقيق اعتقادا وسلوكا ومعاينة، فهم معتقدون للحق، سالكون الطريق الموصلة إلى المقصود، أهل مراقبة وشهود.

قوله: " وهذه الطائفة: رحمة من الله على أهل التفرقة والأسباب في ملابستهم ".

وإنما كانوا رحمة من الله عليهم من وجهين، أحدهما: أنهم ذاكرون الله بين الغافلين، وفي وسطهم يرحمهم الله بهم، فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، الثاني: أنهم لا يتركونهم في غفلاتهم، بل يقومون فيهم بالنصيحة لهم، والأمر لهم بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة لهم إلى الله، فيرحمون بهم، وينالون بهم سعادة الدنيا والآخرة، فهم يتصرفون مع الخلق بحكم العلم والشرع، وأحوالهم ومقاماتهم بينهم وبين الله خاصة.

[الثالث تلبيس أهل التمكين على العالم]

قوله: " التلبيس الثالث: تلبيس أهل التمكين على العالم، ترحما عليهم بملابسة الأسباب، وتوسعا على العالم، لا على أهل الإيمان، وهذه درجة الأنبياء، ثم هي للأئمة الربانيين، الصادرين عن وادي الجمع، المشيرين عن عينه ".

هذا أيضا من النمط الأول، مما ينكر لفظه وإطلاقه غاية الإنكار، ويجب على أهل الإيمان محو هذا اللفظ القبيح، وإطلاقه في حق الأنبياء، وكيف تتسع مسامع المؤمن ليسمع أن الأنبياء لبسوا على الناس بأي اعتبار كان؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! بل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - كشفوا عن الناس التلبيس الذي لبسوه على أنفسهم، ولبسه عليهم طواغيتهم، فجاءوا بالبيان والبرهان وشياطينهم.

وكان الناس في لبس عظيم ... فجاءوا بالبيان فأظهروه

وكان الناس في جهل عظيم ... فجاءوا باليقين فأذهبوه

وكان الناس في كفر عظيم ... فجاءوا بالرشاد فأبطلوه

والمصنف من أثبت الناس قدما في مقام الإيمان بالرسل وتعظيمهم، وتعظيم ما." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٧٥>

"وما في الوجد موجود ولكن

فخرت بوجد موجود الوجود

وقد مثل التواجد والوجد والوجود بمشاهدة البحر وركوبه والغرق فيه، فقيل: التواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد: يوجب استغراق العبد، والوجود: يوجب استهلاك العبد، وهذه عبارات واستعارات للمراتب الثلاثة، وهي البداية، والتوسط، والنهاية، **والسلوك** والوصول - عندهم - قصود، ثم ورود، ثم شهود، ثم وجود، ثم خمود، فيقصد أولا، ثم يرد، ثم يشهد، ثم يجد، ثم تخمد نفسه، وتذهب بالكلية.

والوجد ما يرد على الناظر من الله تعالى يكسبه فرحا أو حزنا، وهي فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات شريفة ينظر إلى الله منها، والتواجد استجلاب الوجد بالتذكر والتفكر، لاتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان، فلا وجد عندهم مع الوجدان، كما لا خبر مع العيان، والوجد عرضة للزوال، والوجود ثابت ثبوت الجبال، وقد قيل:

قد كان يطربني وجدي فأقعدني ... عن رؤية الوجد من بالوجد موجود

والوجد يطرب من في الوجد راحته ... والوجد عند حضور الحق مقصود

فالتواجد: استدعاء الوجد بنوع اختيار وتكلف، وليس لصاحبه كمال الوجد، إذ لو كان له ذلك لكان وجدا، وباب التفاعل ينبني على ذلك، فإن مبناه على إظهار الصفة، وليست كذلك، كما قيل: إذا تخازرت وما بي من خزر.

وقد اختلف الناس في التواجد: هل يسلم لصاحبه؟ على قولين، فقالت طائفة: لا يسلم لصاحبه، لما فيه من التكلف وإظهار ما ليس عنده، وقوم قالوا: يسلم للصادق الذي يرصد لوجدان المعاني الصحيحة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» .

والتحقيق: أن صاحب التواجد إن تكلفه لحظ وشهوة نفس: لم يسلم له، وإن." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٨١>

"الأمثل فالأمثل على منهاجهم، وما أكثر ما تشبه الإشارة إلى الله وبه بالإشارة إلى النفس والإشارة بها، فيشير إلى نفسه بنفسه، ظانا أن إشارته بالله وإلى الله، ولا يميز بين هذا وهذا إلا خواص العارفين، الفقهاء في معرفة الطريق والمقصود، وهاهنا انقطع من انقطع واتصل من اتصل، ولا إله إلا الله! كم من تنوع في الإشارة، وبالغ ودقق، وحقق، ولم تعد إشارته نفسه، وهو لا يعلم، أشار بنفسه وهو يظن أنه أشار بربه، وإن فلتات لسانه ورائحة كلامه لتنادي عليه: أنا، وبي، وعني.

فإذا خلصت الإشارة – بالله، وعن الله – من جميع الشوائب؛ كانت متصلة بالله، خالصة له، مقبولة لديه، راضيا بها، وعلى هذا كان حرص السابقين الأولين، لا على كثرة العمل، ولا على تدقيق الإشارة، كما قال بعض الصحابة: لو أعلم أن الله قبل مني عملا واحدا؛ لم يكن غائب أحب إلي من الموت، وليس هذا على معنى أن أعماله كانت لغير الله، أو على غير سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، فشأن القوم كان أجل من ذلك، ولكن على تخليص الأعمال من شوائب النفوس، ومشاركات الحظوظ، فكانوا يخافون – لكمال علمهم بالله وحقوقه عليهم – أن أعمالهم لم تخلص من شوائب حظوظهم، ومشاركات أنفسهم، بحيث تكون متمحصة لله وبالله، ومأخوذة عن الله، فمن وصل له عمل واحد على هذا الوجه؛ وصل إلى الله، والله تعالى شكور، إذا رضي من العبد عملا من أعماله نجاه، وأسعده به، وثمره له، وبارك له فيه، وأوصله به إليه، وأدخله به عليه، ولم يقطعه به عنه، فما أكثر المنقطعين بالإشارة عن المشار إليه، وبالعبادة عن المعبود، وبالمعرفة عن المعروف؟ فتكون الإشارات والمعارف قبلة قلبه، وغاية قصده، فيتغذى بها، ويجد من الأنس بها والذوق والوجد ما يسكن قلبه إليه، ويطمئن به، ويظن أنه الغاية المطلوبة، فيصير قلبه محبوسا عن ربه وهو لا يشعر، وتصير نفسه راتعة في رياض العلوم والمعارف واجدة لها، وهو يظن أنه قد

وصل واتصل، وعلى منزل الوجود حصل، فهو دقيق الإشارة، لطيف العبارة، ففيه في مسائل **السلوك**، وبينه وبين الله حجاب لم ينكشف عنه، وإنما يرتفع هذا الحجاب بحال التجريد والتفريد، لا بمجرد علم ذلك، فبتفريد المعبود المطلوب المقصود عن غيره، وبتجريد القصد والطلب، والإرادة والمحبة، والخوف والرجاء والإنابة والتوكل عليه واللجأ إليه عن الحظوظ وإرادات النفس، فينكشف عن القلب حجابه، ويزول عنه ظلامه، ويطلع فيه فجر التوحيد، وتبزغ فيه شمس اليقين، وتستنير له الطريق الغراء، والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٩٠>

"[فصل تفريد الإشارة إلى الحق]

فصل

قال: " فأما تفريد الإشارة إلى الحق: فعلى ثلاث درجات: تفريد القصد عطشا، ثم تفريد المحبة تلفا، ثم تفريد الشهود اتصالا ".

ذكر في هذه الدرجة ثلاثة أمور: تفريد القصد، والمحبة، والشهود، فالقصد بداية، والشهود نهاية والمحبة واسطة، فيفرد قصده وحبه وشهوده، وذلك يتضمن إفراد مطلوبه ومحبوبه ومشهوده، فيكون فردا لفرد، فلا ينقسم طلبه، ولا حبه، ولا شهوده، ولا ينقسم مطلوبه ومحبوبه ومشهوده، فتفريد الطلب والمحبة والشهود صدق، وتفريد المطلوب والمحبوب والمشهود إخلاص.

فالصدق والإخلاص: هو أن تبذل كلك لمحبوبك وحده، ثم تحتقر ما بذلت في جنب ما يستحقه، ثم لا تنظر إلى بذلك.

وقيد تفريد القصد بالعطش، وتفريد المحبة بالتلف، وتفريد الشهود بالاتصال، والعطش - كما قال - هو غلبة ولوع بمأمول؟ والتلف: هو المحبة المهلكة، والاتصال: سقوط الأغيار عن درجة الاعتبار، فهذا حكم التفريد في الدرجة الأولى.

[تفريد الإشارة بالحق]

فصل

قال: " وأما تفريد الإشارة بالحق: فعلى ثلاث درجات، تفريد الإشارة بالافتخار بوحا، وتفريد الإشارة **بالسلوك** مطالعة، وتفريد الإشارة بالقبض غيرة.

ذكر أيضا في هذه الدرجة ثلاثة أمور: الافتخار، **والسلوك**، والقبض، فالافتخار نوعان: مذموم، ومحمود،

فالمذموم: إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعا عليهم، وهذا غير مراد، والمحمود: إظهار الأحوال السنية، والمقامات الشريفة، بوحا بها، أي تصريحا وإعلانا، لا على وجه الفخر، بل على وجه تعظيم النعمة، والفرح بها، وذكرها، ونشرها، والتحدث بها، والترغيب فيها وغير ذلك من المقاصد في إظهارها، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر» وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٩١>

"نفسي في الصلاة بغير ما أنا فيه، وهذا أكثر من أن يذكر.

والصادق تختلف عليه الأحوال، فتارة يبوح بما أولاه ربه، ومن به عليه، لا يطيق كتمان ذلك، وتارة يخفيه ويكتمه، لا يطيق إظهاره، فتارة يقبض، وتارة يبسط وينشط، وتارة يجد لسانا قائلا لا يسكت، وتارة لا يقدر أن ينطق بكلمة، وتارة تجده ضاحكا مسرورا، وتارة باكيا حزينا، وتارة يجد جمعية لا سبيل للتفرقة عليها، وتارة تفرقة لا جمعية معها، وتارة يقول: واطرباه! وأخرى يقول: واحرباه! بخلاف من هو على لون واحد لا يوجد على غيره، فهذا لون والصادق لون.

قوله: " وتفريد الإشارة **بالسلوك** مطالعة "، أي تجريد الإشارة إلى المطلوب **بالسلوك** اطلاعا على حقائقه.

قوله: " وتفريد الإشارة بالقبض غيرة "، أي تخليص الإشارة إلى المطلوب بالقبض غيرة عليه.

والمقصود: أنه تارة يفرد إشارته بما أولاه الحق، لا يكتمه ولا يخفيه، وتارة يفرد إشارته بحقائق **السلوك** اطلاعا عليها، وإطلاعا لغيره، وتارة يشير بالقبض غيرة وتسترا، فيشير بالافتخار تارة، وبالاطلاع تارة، وبالقبض تارة.

فافتخاره بالمنعم ونعمه، لا بنفسه وصفته، وإطلاعه لغيره: تعليم وإرشاد وتبصير، وقبضه غيرة وستر، وحقيقة الأمر ما ذكرناه: أن الصادق بحسب دواعي صدقه وحاله مع الله، وحكم وقته وما أقيم فيه.

[فصل تفريد الإشارة عن الحق]

فصل

قوله: " وأما تفريد الإشارة عن الحق: فانبساط ببسط ظاهر: يتضمن قبضا خالصا، للهداية إلى الحق، والدعوة إليه، يريد أن صاحب هذه الإشارة منبسط." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٩٣>

"يذم من الجمع والتفرقة، فإن " الجمع " ينقسم إلى صحيح وباطل، و " التفرقة " تنقسم إلى محمود ومذموم، وكل منهما لا يحمد مطلقا، ولا يذم مطلقا، فيراد بالجمع: جمع الوجود، وهو جمع الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، ويريدون بالتفرقة: الفرق بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق، وأصحابه يقولون: الجمع ما أسقط هذه التفرقة، ويقولون عن أنفسهم: إنهم أصحاب جمع الوجود، ولهذا صرح بما ذكرنا محققو الملاحدة، فقالوا: التفرقة اعتبار الفرق بين وجود ووجود، فإذا زال الفرق في نظر المحقق حصل له حقيقة الجمع.

ويراد بالجمع: الجمع بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وبالتفرقة: تفرقة الهمة والإرادة، وهذا هو الجمع الصحيح، والتفرقة المذمومة، فحد الجمع الصحيح: ما أزال هذه التفرقة، وأما جمع يزيل التفرقة بين الرب والعبد، والخالق والمخلوق، والقديم والمحدث فأبطل الباطل، وتلك التفرقة هي الحق، وأهل هذه التفرقة هم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، كما أن أهل ذلك الجمع هم أهل الإلحاد والكفر والوثنية.

ويراد بالجمع: جمع الشهود، وبالتفرقة: ما ينافي ذلك، فإذا زال الفرق في نظر المشاهد، وهو مثبت للفرق؛ كان ذلك جمعا في شهوده خاصة، مع تحققه بالفرق.

فإذا عرف هذا، فالجمع الصحيح: ما أسقط التفرقة الطبيعية النفسية، وهي التفرقة المذمومة، وأما التفرقة الأمرية الشرعية - بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه - فلا يحمد جمع أسقطها، بل يذم كل الذم، وبمثل هذه المجملات دخل على أصحاب السلوك والإرادة ما دخل.

قوله " وقطع الإشارة " هو من جنس قوله " ما أسقط التفرقة " قال أهل الإلحاد: لما كانت الإشارة نسبة بين شيئين - مشير، ومشار إليه - كانت مستلزمة للثنوية، فإذا جاءت الوحدة جمعية، وذهبت الثنوية؛ انقطعت الإشارة.

وقال أهل التوحيد: إنما تنقطع الإشارة عند كمال الجمعية على الله، فلا يبقى في صاحب هذه الجمعية موضع للإشارة؛ لأن جمعيته على المطلوب المراد غيبته عن الإشارة إليه، وأيضا فإن جمعيته أفنته عن نفسه وإشارته، ففي مقام الفناء تنقطع الإشارة؛ لأنها من أحكام البشرية.

قوله: " وشخص عن الماء والطين "، هذا يحتمل معنيين.." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٣٩٦>

"وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال: فليس بصحيح، فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدله عليه، وقد أيد الله

سبحانه رسله بأنواع الأدلة والبراهين التي دلتهم على أن ما جاءهم هو من عند الله، ودلت أممهم على ذلك، وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين على أن ما جاءهم هو من عند الله، وكانت براهينهم أدلة وشواهد لهم وللأمم، فالأدلة والشواهد التي كانت لهم، ومعهم أعظم الشواهد والأدلة، والله تعالى شهد بتصديقهم بما أقام عليه من الشواهد، فكل علم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علما، فضلا عن أن يكون لدنيا.

فالعلم اللدني: ما قام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله على لسان رسله، وما عداه فلدني من لدن نفس الإنسان، منه بدأ وإليه يعود، وقد انبثق سد العلم اللدني، ورخص سعره، حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدني، وصار من تكلم في حقائق الإيمان **والسلوك** وباب الأسماء والصفات بما يسنح له، ويلقيه شيطانه في قلبه: يزعم أن علمه لدني، فملاحدة الاتحادية، وزنادقة المنتسبين إلى **السلوك** يقولون: إن علمهم لدني، وقد صنف في العلم اللدني متهوكو المتكلمين، وزنادقة المتصوفين، وجهلة المتفلسفين، وكل يزعم أن علمه لدني، وصدقوا وكذبوا فإن اللدني منسوب إلى " لدن " بمعنى عند، فكأنهم قالوا: العلم العندي، ولكن الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لدنه، وقد ذم الله تعالى بأبلغ الذم من ينسب إليه ما ليس من عنده، كما قال تعالى ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران: ٧٨] وقال تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ [البقرة: ٧٩] وقال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ [الأنعام: ٩٣] فكل من قال: هذا العلم من عند الله - وهو كاذب في هذه النسبة - فله نصيب وافر من هذا الذم، وهذا في القرآن كثير، يذم الله سبحانه من أضاف إليه ما لا علم له به، ومن قال عليه ما لا يعلم، ولهذا رتب سبحانه المحرمات أربع مراتب، وجعل أشدها: القول عليه بلا علم، فجعله آخر مراتب المحرمات التي لا تباح بحال، بل هي محرمة في كل ملة، وعلى لسان كل." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٠٠>

"رسول، فالقائل: إن هذا علم لدني، لما لا يعلم أنه من عند الله، ولا قام عليه برهان من الله أنه من عنده: كاذب مفتر على الله، وهو من أظلم الظالمين، وأكذب الكاذبين.

قوله: " وأما جمع الوجود: فهو تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود محقا ".

" تلاشي نهاية الاتصال ": هو فناء العبد في الشهود، و " نهاية الاتصال ": هو ما ذكره في الدرجة الثالثة من باب الاتصال " أنه لا يدرك منه نعت ولا مقدار إلا اسم معار، ولمح إليه مشار "، فحقيقة الجمع في

هذه الدرجة: تلاشي ذلك في عين الوجود، أي في حقيقته، ويريد بالوجود: ما أشار إليه في الدرجة الثانية من باب الوجود، وهو قوله " وجود الحق: وجود عين، منقطعا عن مساغ الإشارة " فتضمحل نهاية الاتصال في هذا الوجود محقا أي ذوبانا وفناء.

قوله: " وأما جمع العين: فهو تلاشي كل ما تقله الإشارة في ذات الحق حقا ".

" تقله الإشارة " أي تحمله وتقوم به والإشارة تارة تكون باليد والرأس فتكون إيماء، وتارة تكون بالعين فتكون رمزا، وتارة تكون باللفظ فيسمى تعريضا، وتارة تكون بالذهن والعقل، فتضمحل كل هذه الأنواع، وتبطل عند شهود العين في حضرة الجمع، وظهور جلال الذات المقدسة، والذات: هي الحاملة للصفات والأفعال.

فعرفت من هذا: أنه في الدرجة الأولى يغيب عن جميع العلوم المتعلقة بالأدلة والشواهد بالعلم اللدني، وفي الدرجة الثانية: يغيب عن اتصاله وشهود اتصاله بالوجود، فإن الوجود فوق الاتصال - كما تقدم - وهذا كما يغيب الواجد الذي قد ظفر بموجوده عن شهود وصوله إليه واتصاله به، فتفنيه عين وجوده عن شهود نفسه وصفاتها، وفي الدرجة الثالثة: يضمحل كل ما تحمله الإشارة - إلى ذات، أو إلى صفة، أو حال، أو مقام - في ذات الحق سبحانه، فلا يبقى هناك ما يشار إليه سواه.

[الجمع غاية مقامات السالكين]

قوله: " والجمع: غاية مقامات السالكين، وهو طرف بحر التوحيد ".

وجه ذلك: أن السالك ما دام في سلوكه فهو في تفرقة الاستدلال، وطلب الشواهد، فإذا وصل إلى مقام المعرفة، وصار همه هما واحدا - لله، وفي الله، وبالله - ينزل في منزلة الجمع ويشمر لركوب بحر التوحيد الذي يتلاشى فيه كل ما." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٠١>

"مجلس خير وطاعة، وشرع أن يختم العبد عمل يومه بالاستغفار، فيقول عند النوم «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» وأن ينام على سيد الاستغفار.

والعارف بالله وأسمائه وصفاته وحقوقه يعلم أن العبد أحوج ما يكون إلى التوبة في نهايته، وأنه أحوج إلى التوبة من الفناء، والاتصال، وجمع الشواهد، وجمع الوجود، وجمع العين، وكيف يكون ذلك أعلى مقامات السالكين، وغاية مطلب المقربين، ولم يأت له ذكر في القرآن، ولا في السنة، ولا يعرفه إلا النادر من الناس، ولا يتصوره أكثرهم إلا بصعوبة ومشقة، ولو سمعه أكثر الخلق لما فهموه، ولا عرفوا المراد منه إلا بترجمة؟ فأين في كتاب الله، أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، أو كلام الصحابة - الذين نسبة معارف من

بعدهم إلى معارفهم كنسبة فضلهم ودينهم وجهادهم إليهم - ما يدل على ذلك، أو يشير إليه؟ فصار المتأخرون - أرباب هذه الاصطلاحات الحادثة بالألفاظ المجملة، والمعاني المتشابهة -: أعرف بمقامات السالكين ومنازل السائرين، وغاياتها من أعلم الخلق بالله بعد رسله؟ ! هذا من أعظم الباطل.

وهؤلاء في باب الإرادة والطلب **والسلوك** نظير أرباب الكلام من المعتزلة." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٠٤>

"الهيولي والصورة والأسطقصات، والأركان والعلل الأربعة، والجواهر العقلية، والمفارقات، والمجردات، والمقولات العشر، والكليات الخمس، والمختلطات والموجهات، والقضايا المسورات، والقضايا المهملات، فهم أعظم الطوائف تكلفا، وأقلهم تحصيلا للعلم النافع والعمل الصالح.

وكذلك المتكلفون من أصحاب الإرادة **والسلوك**، وأرباب الحال والمقام، والوقت والمكان، والبادي والباذه والوارد، والخاطر والواقع والقادح واللامع، والغيبة والحضور، والمحق والحق، والسكر، واللوائح والطوالع، والعطش والدهش، والتلبيس، والتمكين والتلوين، والاسم والرسم، والجمع وجمع الجمع، وجمع الشواهد وجمع الوجود، والأثر، والكون، والبون، والاتصال والانفصال، والمسامرة والمشاهدة، والمعاينة، والتجلي، والتخلي، وأنا بلا أنا، وأنت بلا أنت، ونحن بلا نحن، وهو بلا هو، وكل ذلك أدنى إشارة إلى تكلف هؤلاء الطوائف وتنطعهم، وكذلك كثير من المنتسبين إلى الفقه لهم مثل هذا التكلف وأعظم منه.

فكل هؤلاء محجوبون بما لديهم، موقوفون على ما عندهم، خاضوا - بزعمهم - بحار العلم، وما ابتلت أقدامهم، وكدوا أفكارهم وأذهانهم وخواطرهم، وما استنارت بالعلم الموروث عن الرسل قلوبهم وأفهامهم، فرحين بما عندهم من العلوم راضين بما قيدوا به من الرسوم، فهم في واد ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضي الله عنهم في واد، والله يعلم أنا لم نتجاوز فيهم القول، بل قصرنا فيما ينبغي لنا أن نقوله، فذكرنا غيضا من فيض، وقليلا من كثير.

وهؤلاء كلهم داخلون تحت الرأي، الذي اتفق السلف على ذمه وذم أهله.

فهم أهل الرأي حقا، الذين قال فيهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: إياكم." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٠٦>

"وقال تعالى ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٥٢] وقالت ملكة سبأ ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل: ٤٤] .

فالإسلام دين أهل السماوات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد دينا سواه، فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان، فدين الرحمن: هو الإسلام، والتي للشيطان: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين.

فهذا بعض ما تضمنته هذه الآية العظيمة من أسرار التوحيد والمعارف، ولا تستطل الكلام فيها، فإنه أهم من الكلام على كلام صاحب المنازل، فلنرجع إلى شرح كلامه وبيان ما فيه.

قال: وإنما نطق العلماء بما نطقوا به، وأشار المحققون إلى ما أشاروا إليه من هذا الطريق: لقصد تصحيح التوحيد، وما سواه – من حال أو مقام –: فكله مصحوب العلل.

يريد: أن التوحيد هو الغاية المطلوبة من جميع المقامات والأعمال والأحوال، فغايتها كلها التوحيد، وإنما كلام العلماء والمحققين من أهل السلوك كله لقصد تصحيحه، وهذا بين من أول المقامات إلى آخرها، فإنها تشير إلى تصحيحه وتجريده.

وقوله " وما سواه – من حال أو مقام – فكله مصحوب العلل " يريد: أن تجريد التوحيد لا علة معه، إذ لو كان معه علة تصحبه لم يجرد، فتجرده ينفي عنه العلل بالكلية، بخلاف ما سواه من المقامات والأحوال، فإن العلل تصحبها، وعندهم: أن علل المقامات لا تزول بتجريد التوحيد، مثاله: أن علة مقام التوكل أن يشهد متوكلا ومتوكلا عليه، ومتوكلا فيه، ويشهد نفس توكله، وهذا كله علة في مقام التوكل، فإنه لا يصح له مقامه إلا بأن لا يشهد مع الوكيل الحق الذي يتوكل عليه غيره، ولا يرى توكله." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٤٢>

"فإن قلت: ليس المراد رفض القيام بها، وإنما المراد: رفض الوقوف معها.

قلت: وهذا أيضا غير مستقيم، فإن الوقوف مع الأسباب قسمان:

وقوف مأمور به مطلوب، وهو أن يقف معها حيث أوقفه الله ورسوله، فلا يتعدى حدودها، ولا يقصر عنها، فيقف معها مراعاة لحدودها وأوقاتها وشرائطها، وهذا الوقوف لا تتم العبودية إلا به.

ووقوف معها، بحيث يعتقد أنها هي الفاعلة المؤثرة بنفسها، وأنها تنفع وتضر بذاتها، فهذا لا يعتقده موحد، ولا يحتاج أن يحترز منه من يتكلم في المعرفة والسلوك، نعم، لا ينقطع بها عن رؤية المسبب، ويعتقدها هي الغاية المطلوبة منه، بل هي وسيلة توصل إلى الغاية، ولا تصل إلى الغاية المطلوبة بدونها، فهذا حق، لكن لا يجامع رفضها والإعراض عنها، بل يقوم بها، معتقدا أنها وسيلة موصلة إلى الغاية، فهي كالطريق الحسي الذي يقطعه المسافر إلى مقصده، فإن قيل له: ارفض الطريق، ولا تلتفت إليها؛ انقطع عن المسير

بالكلية، وإن جعلها غايته، ولم يقصد بالسير فيها وصوله إلى مقصد معين؛ كان معرضا عن الغاية، مشتغلا بالطريق، وإن قيل له: التفت إلى طريقك ومنازل سيرك، وراعها، وسر فيها ناظرا إلى المقصود، عاملا على الوصول إليه، فهذا هو الحق.

وقوله: " المتوكل – وإن رفض الأسباب – واقف مع توكله.

فيقال: إن وقف مع توكله امتثالا لأمر الله، وأداء لحق عبوديته، معتقدا أن الله هو الذي من عليه بالتوكل، وأقامه فيه، وجعله سببا موصلا له إلى مطلوبه، فنعم الوقوف وقف، وما أحسنه من وقوف! وإن وقف معه اعتقادا أن بنفس توكله وعمله يصل، مع قطع النظر عن فضل ربه وإعانته، ومنه عليه بالتوكل؛ فهو وقوف منقطع عن الله.

وقوله: " إن التوكل بدل من الأسباب التي رفضها، فالمتوكل متنقل من سبب إلى سبب يقال له: إن كانت الأسباب التي رفضها غير مأمور بها، فالتوكل المجرد خير منها، وإن كانت مأمورا بها، فرفضه لها إلى التوكل معصية وخروج عن الأمر.

نعم للتوكل ثلاث علل، إحداها: أن يترك ما أمر به من الأسباب، استغناء بالتوكل عنها، فهذا توكل عجز وتفريط وإضاعة، لا توكل عبودية وتوحيد، كمن يترك الأعمال التي هي سبب النجاة، ويتوكل في حصولها ويترك القيام بأسباب الرزق – من." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٤٤>

"في آيات الرب، ليصل بها إلى الله هو التوحيد والإيمان.

وأحسن ما يحمل عليه كلامه: أنه يصعد عن الوقوف معها، فإنها وسائل إلى المقصود، فلا ينقطع بالوسيلة عن المقصود، وهذا حق، لكن قوله " وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلا " يكدر هذا المعنى ويشوشه، وليس بصحيح، بل الواجب: أن يشهد الأمر كما أشهده الله إياه، فإن الله سبحانه نصب الأدلة على التوحيد، وأقام البراهين وأظهر الآيات، وأمرنا أن نشهد الأدلة والآيات، وننظر فيها ونستدل بها، ولا يجتمع هذا الإثبات وذلك النفي البتة، والمخلوقات كلها آيات للتوحيد، وكذلك الآيات المتلوة أدلة على التوحيد، فكيف لا يشهدها دليلا عليه؟ هذا من أبطل الباطل، بل التوحيد – كل التوحيد – أن يشهد كل شيء دليلا عليه، مرشدا إليه، ومعلوم أن الرسل أدلة للتوحيد، فكيف لا يشهدهم كذلك؟ وكيف يجتمع الإيمان بهم وعدم شهودهم أدلة للتوحيد؟

فانظر ماذا أدى إليه إنكار الأسباب، **والسلوك** على درب الفناء في توحيد الأفعال، فهذا هو مقتضاه

وطرده، وإلا تناقض أصحابه، وقد قال الله تعالى لرسوله ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] وقال تعالى ﴿ولكل قوم هاد﴾ [الرعد: ٧] والهادي: هو الدليل الذي يدل بهم في الطريق إلى الله، والدار الآخرة، ولا يناقض هذا قوله ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦] وقوله ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ [فاطر: ٨] فإن الله سبحانه تكلم بهذا وهذا، فرسله الهداة هداية الدلالة والبيان، وهو الهادي هداية التوفيق والإلهام، فالرسل هم الأدلة حقا، والله سبحانه هو الموفق الملهم، الخالق للهدى في القلوب.

قوله " ولا في التوكل سببا " يريد: أنك تجرد التوكل عن الأسباب، فإن أراد تجريده عن القيام بها: فباطل، كما تقدم، وإن أراد تجريده عن الركون إليها، والوقوف معها، والوثوق بها: فهو حق، وإن أراد تجريده عن شهودها: فشهودها على ما هي عليه أكمل، ولا يقدح في التوحيد بوجه ما.

وكذلك قوله " ولا في النجاة وسيلة " إنما يصح على وجه واحد، وهو أن يشهد." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٤٦٥/٣>

"حق، والنبيين حق، ويشهد حدوث المحدثات بإحداث الرب تعالى لها بمشيئته وقدرته، وبما خلقه من الأسباب، ولما خلقه من الحكم، ولم يأمر العبد - بل لم يرد منه - أن لا يشهد حادثا ولا حدوث شيء، وهذا لا كمال فيه، ولا معرفة، فضلا عن أن يكون غاية العارف، وأن يكون توحيد الخاصة، والقرآن - من أوله إلى آخره - صريح في خلافه، فإنه أمر بشهود الحادثات والكائنات، والنظر فيها، والاعتبار بها، والاستدلال بها على وحدانية الله سبحانه، وعلى أسمائه وصفاته، فأعرف الناس به، وبأسمائه وصفاته أعظمهم شهودا لها، ونظرا فيها، واعتبارا بها، فكيف يكون لب التوحيد وقلبه وسره: إسقاطها من الشهود.

فإن قلت: إنما يريد إسقاطها من التفات القلب إليها، والوقوف معها.

قلت: هذا قد تقدم في أول الدرجة في قوله: " وهو إسقاط الأسباب الظاهرة "، وقد عرفت ما فيه.

وبالجملة: فالإسقاط إما لعين الوجود، أو لعين الشهود، أو لعين المقصود، فالأول: محال، والثاني: نقص، والثالث: حق، لكنه ليس مراد الشيخ، فتأمله.

وقوله: " وفني من لم يكن، وبقي من لم يزل "، إن أراد به فناء الوجود الخارجي فهذا مكابرة، وإن أراد به أنه فني من الشهود، فهذا نقص في الإيمان والتوحيد - كما تقرر - وإن أراد به أن يفنى في القصد والإرادة والمحبة، فهذا هو الحق، وهو الفناء عن إرادة السوى وقصده ومحبته.

قوله: هذا توحيد الخاصة، الذي يصح بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب

الجمع، يعني: توحيد المتوسطين الذين ارتفعوا عن العامة، ولم يصلوا إلى منزلة خاصة الخاصة.

قوله " يصح بعلم الفناء " ولم يقل: بحقيقة الفناء؛ لأن درجة العلم في هذا **السلوك** قبل درجة الحال والمعرفة، وهذه درجة متوسط لم يبلغ الغاية، وحال الفناء لصاحب الدرجة الثالثة.

وكذلك قوله " ويصفو في علم الجمع " فإن علم الجمع قبل حال الجمع، كما تقدم في بابه.

قوله " ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع " يريد: أن هذا المقام يجذب أهله إلى توحيد الفريق الثاني الذين هم فوقهم، وهم أصحاب الجمع، وقد تقدم ذكر الجمع." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٦٨>

"ولم يحصل به الشفاء.

ونحن الآن ذاكرون حقيقته وأقسامه، والصحيح منه والمعلول، والله المستعان.

الجمع في اللغة الضم، والاجتماع الانضمام، والتفريق: ضده، وأما في اصطلاح القوم: فهو شخوص البصيرة إلى من صدرت عنه المتفرقات كلها، وهو ثلاثة أنواع: جمع وجود، وهو جمع الزنادقة من أهل الاتحاد، وجمع شهود، وجمع قصود، فإذا تحررت هذه الأقسام تحرر الجمع الصحيح من الفاسد.

وكذلك ينقسم الفرق إلى صحيح وفاسد، أعني إلى مطلوب في **السلوك** وقاطع عن **السلوك**، فالفرق ثلاثة أنواع، فرق طبيعي حيواني، وفرق إسلامي، وفرق إيماني، هذه ستة أقسام للجمع وللفرق.

فنذكر أنواع الفرق أولا، إذ بها تعرف أنواع الجمع.

فأما الفرق الطبيعي والحيواني: فهو التفريق بمجرد الطبع والميل، فيفرق بين ما يفعله وما لا يفعله بطبعه وهواه، وهذا فرق الحيوانات وأشباهها من بني آدم، فالمعيار ميل طبعه، ونفرة طبعه، والمشركون والكفار وأهل الظلم والعدوان واقفون مع هذا الفرق.

وأما الفرق الإسلامي: فهو الفرق بين ما شرعه الله وأمر به وأحبه ورضيه، وبين ما نهى عنه وكرهه ومقت فاعله، وهذا الفرق من لم يكن من أهله لم يشم رائحة الإسلام البتة، وقد حكى الله سبحانه عن أهل الفرق الطبيعي: أنهم أنكروا هذا الفرق، فشهدوا الجمع بين المأمور والمحظور إذ قالوا ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] لا فرق بينهما، وقالوا: الميتة مثل المذكاة، لا فرق بينهما، وقالوا: الحلال والحرام شيء واحد، فهذا جمعهم وذاك فرقهم، فهذا فرق يتعلق بالأعمال.

[فصل الفرق الإيماني الذي يتعلق بمسائل القضاء والقدر]

فصل

وأما الفرق الإيماني الذي يتعلق بمسائل القضاء والقدر: فهو التمييز الإيماني بين فعل الحق سبحانه وأفعال العباد، فيؤمن بأن الله وحده خالق كل شيء، وليس في الكون إلا ما هو واقع بمشيئته وقدرته وخلقه، ومع ذلك يؤمن بأن العبد فاعل لأفعاله حقيقة، وهي صادرة عن قدرته ومشيئته، قائمة به، وهو فاعل لها على الحقيقة، فيشهد." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٦٩>

"تعاطاه حين، ولا أقله سبب، فعلى من أحلتم بهذا الحق المجهول الذي لا سبيل إلى العلم به، ولا التعبير عنه، ولا الإشارة إليه؟ ! ! وأين قوله: " ما وحد الواحد من واحد " من قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨] ؟ فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحدونه، وأن أولي العلم يوحدونه، وكذلك إخباره عن أنبيائه ورسله وأتباعهم أنهم وحدوه، ولم يشركوا به شيئا، كما أخبر عن نوح ومن آمن معه، وعن جميع الرسل ومن تبعهم، بل أخبر سبحانه عن السماوات السبع والأرض وما فيهن أنها تسبح بحمده توحيدا ومعرفة.

فهل يصح أن يقال: ما وحده أحد من الرسل والأنبياء والمؤمنين؟ ولا سبح بحمده سماء ولا أرض ولا شيء؟ وأبطل الباطل أن يقال: كل من وحد الله من الأولين والآخرين جاحد له ولتوحيده، لا موحد له على الحقيقة؟ وأن نعت جميع الرسل والأنبياء وأتباعهم له إلحاد . وكل من نعته من الأولين والآخرين فهو لاحد، فلا معنى صحيح، ولا لفظ مليح، بل المعنى أبطل من اللفظ، واللفظ أقبح من المعنى!

ثم يقال: فهذا الذي ذكرته - في هذه الدرجة - هل هو توحيد، ووصف للتوحيد، أم ليس بتوحيد؟ فإن لم يكن توحيدا فهو باطل، وإن كان توحيدا فقد وحدت الواحد.

وأيضا فإذا كان توحيده لنفسه هو التوحيد وما عداه فليس بتوحيد فمعلوم أن توحيده لنفسه هو الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه وأخبر به عن نفسه في القرآن من أوله إلى آخره وهذا عندك هو توحيد العامة، فأين هذا التوحيد الذي وحد به نفسه ولم ينطق به لسان ولم تعبر عنه عبارة ولم يقله سبب؟

فإن قلت: هو التوحيد القائم به فذلك هو وصفه وكلامه وعلمه بنفسه، وليس ذلك من فعل العبد ولا صفته حتى يكون هو الدرجة الثالثة من توحيد العبد لربه كما أن سائر صفاته لا تدخل في درجات **السلوك**، فإن تلك الدرجات هي منازل العبودية.

وأيضا فإن هذا الكلام الذي اشتملت عليه هذه الأبيات لا يستقيم على مذهب الملحدين ولا على مذهب الموحدين.

أما الموحدون فهم يقولون: إن الرسل والأنبياء والملائكة والمؤمنين يوحدون الله حق توحيده الذي يقدرون عليه، وأما الملحدون فيقولون: ما ثم غير في." <مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤٧٨>

"الأصلين العظيمين ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين.

فكذلك وضع هذا الكتاب للتعريف بشدة الحاجة والضرورة إليهما وبيان توقف سعادة الدينا والآخرة عليهما فجاء كتابا جامعا حاويا نافعا فيه من الفوائد ما هو حقيق على أن يعض عليه بالنواجذ وتثنى عليه الخناصر ممتعا لقاريه صريحا للناظر فيه مسليا للحزين منهضا للمقصرين محرضا للمشمرين مشتملا على نكات حسان من تفسير القرآن وعلى أحاديث نبوية معزوة إلى مظانها وآثار سلفية منسوبة إلى قائلها ومسائل فقهية حسان مقرة بالدليل ودقائق سلوكية على سواء السبيل لا تخفى معرفة ذلك عى من فكر وأحضر ذهنه فان فيه ذكر أقسام الصبر ووجوه الشكر وأنواعه وفصل النزاع في التفضيل بين الغنى الشاكر والفقير الصابر وذكر حقيقة الدنيا وما مثلها الله ورسوله والسلف الصالح به والكلام على سبر هذه الأمثال ومطابقتها لحقيقة الحال وذكر ما يذم من الدنيا ويحمد وما يقرب منها إلى الله ويبعد وكيف يشقى بها من يشقى ويسعد بها من يسعد وغير ذلك من الفوائد التى لا تكاد تظفر بها في كتاب سواه وذلك محض منة من الله على عبده وعطية من بعض عطاياه فهو كتاب يصلح للملوك والأمراء والأغنياء والفقراء والصوفية والفقهاء ينهض بالقاعد إلى المسير ويؤنس السائر في الطريق وينبه السالك على المقصود ومع هذا فهو جهد المقل وقدرة المفلس حذر فيه من الداء وان كان من أهله ووصف فيه الدواء وان لم يصبر على تناوله لظلمه وجهله وهو يرجوا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أن يغفر له غيه لنفسه

لعبادة المؤمنين فما كان في الكتاب من صواب فمن الله وحده فهو المحمود والمستعان وما كان فيه من خطأ فم مصنفه ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله وهذه بضاعة مؤلفة المرجاة تساق إليك وسلعته تعرض عليك فلقاريه غنمة وعلى مؤلفة غرمه وبنات أفكاره تزف إليك فإن وجدت حرا كريما." <عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/٨>

"ما كنت أشد اجتهادا مني الآن فإن العبد إذا علم أن سلوك هذا الطريق يقضي به إلى رياض مونقة وبساتين معجبة ومساكن طيبة ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب كان حرصه على سلوكها واجتهاده في السير فيها بحسب علمه بما يفضي إليه ولهذا قال أبو عثمان النهدي لسلمان لأنا بأول هذا الأمر أشد

فرحا مني بآخره وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيأه ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها فإنها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها وهيأ له أسبابها لتوصله إليها فالأمر كله من فضله وجوده السابق فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها فالمؤمن أشد فرحا بذلك من كون أمره مجعولا إليه كما قال بعض السلف والله ما أحب أن يجعل أمري إلي إنه إذا كان بيد الله خيرا من أن يكون بيدي فالقدر السابق معين على الأعمال وما يحث عليها ومقتض لها لا أنه مناف لها وصاد عنها وهذا موضع مزلة قدم من ثبتت قدمه فاز بالنعيم المقيم ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الجحيم فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلي أمرين هما سببا السعادة الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد أو القدح بإثباته في أصل الشرع ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: "أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن العاجز من لم يتسع للأمرين" وبالله التوفيق.." <شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٦>

"فصل: وفي قوله تعالى: ﴿وأضله الله على علم﴾ قول آخر أنه على علم الضال كما قيل على علم منه أن معبوده لا ينفع ولا يضر فيكون المعنى أضله الله مع علمه الذي تقوم به عليه الحجة لم يضله على جهل وعدم علم هذا يشبه قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ وقوله: ﴿فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ وقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ وقوله: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ وقول موسى لفرعون: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ وقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ وقوله: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ وقوله: ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ ونظائره كثيرة وعلى هذا التقدير فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عيانا كما في الحديث: "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه" فإن الضال عن الطريق قد يكون متبعا لهواه عالما بأن الرشد والهدى في خلاف ما يعمل ولما كان الهدى هو معرفة الحق والعمل به كان له ضدان

الجهل وترك العمل به فالأول ضلال في العلم والثاني ضلال في القصد والعمل فقد وقع قوله على علم في قوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم على علم﴾ وفي قوله: ﴿وأضله الله على علم﴾ وفي قوله: ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾ فالأول يرجع العلم فيه إلى الله قولا واحدا والثاني والثالث فيهما قولان والراجح في قوله: ﴿وأضله الله على علم﴾ أن يكون كالأول وهو قول عامة السلف والثالث فيه قولان محتملان وقد ذكر توجههما والله أعلم والمقصود ذكر مراتب القضاء والقدر علما وكتابة ومشيئة وخلقا.." <شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٣٩>

"مخلوق فقد سواه خالقه سبحانه في مرتبة خلقه وإن فاتته التسوية من وجه آخر لم يخلق له

فصل: وأما التقدير والهداية فقال مقاتل "قدر خلق الذكر والأنثى فهدى الذكر للأنثى كيف يأتيها" وقال ابن عباس والكلبي وكذلك قال عطاء "قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للأنثى" واختار هذا القول صاحب النظم فقال: "معنى هدى هداية الذكر لإتيان الأنثى كيف يأتيها" لأن إتيان ذكران الحيوان لإناثه مختلف لاختلاف الصور والخلق والهيآت فلولا أنه سبحانه جبل كل ذكر على معرفة كيف يأتي أنثى جنسه لما اهتدى لذلك وقال مقاتل أيضا: "هداه لمعيشته ومرعاه" وقال السدي: "قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج" وقال مجاهد: "هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة" وقال الفراء: "التقدير فهدى وأضل فاكتفى من ذكر أحدهما بالآخر" قلت: الآية أعم من هذا كله وأضعف الأقوال فيها قول الفراء إذا المراد هاهنا الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشه ليس المراد هداية الإيمان والضلال بمشيئته وهو نظير قوله: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ فإعطاء الخلق إيجاده في الخارج والهداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه وما ذكر مجاهد فهو تمثيل منه لا تفسير مطابق للآية فإن الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقه وبهيمه طيره ودوابه فصيحه وأعجمه وكذلك قول من قال أنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضا وهو فرد واحد من أفراد الهداية التي لا يحصيها إلا الله وكذلك قول من قال هداه للمرعى فإن ذلك من الهداية فإن الهداية إلى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه والهداية إلى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت والهداية إلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه وهداية الطير والوحش والدواب إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان كهداية النحل إلى **سلوك** السبل التي فيها مراعيها على تباينها ثم عودها إلى بيوتها من الشجر والجبال وما يغرس بنو آدم وأمر النحل في هدايتها من أعجب العجب وذلك أن لها أميرا ومدبرا وهو اليعسوب وهو أكبر جسما من جميع النحل وأحسن لونا وشكلا وإناث النحل تلد في إقبال الربيع وأكثر أولادها يكن إناثا وإذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها بل إما

أن تطرده وإما أن تقتله إلا طائفة يسيرة منها تكون حول الملك وذلك أن الذكر منها لا تعمل شيئا ولا تكسب ثم تجمع الأمهات وفراخها عند الملك فيخرج بها إلى المرعى من المزوج والرياض والبساتين والمراتع في أقصد الطرق وأقربها فيجتني منها كفايتها فيرجع بها الملك فإذا انتهوا إلى الخلايا وقف على بابها ولم يدع ذكرا ولا نحلة غريبة تدخلها فإذا تكامل دخولها دخل بعدها وتواجدت النحل على مقاعدها وأماكنها فيبتدئ الملك بالعمل كأنه يعلمها إياه فيأخذ النحل في العمل ويتسارع إليه ويترك الملك العمل ويجلس ناحية بحيث يشاهد النحل فيأخذ النحل في إيجاد الشمع من لزوجات الأوراق والأنوار ثم تقتسم النحل فرقا فمنها فرقة تلزم الملك ولا تفارقه ولا تعمل ولا تكسب وهم حاشية الملك من الذكورة ومنها فرقة تهيئ الشمع وتصنعه والشمع هو ثفل العسل وفيه حلاوة كحلاوة التين وللنحل فيه عناية شديدة فوق عنايتها بالعسل فينظفه النحل ويصفيه ويخلصه مما يخالطه من أبوالها وغيرها وفرقة تبني البيوت وفرقة تسقي الماء وتحمله على متونها وفرقة تكنس الخلايا وتنظفها من الأوساخ والجيف والزبل وإذا رأت بينها نحلة مهينة بطالة قطعها وقتلها حتى لا تفسد عليهن بقية العمال وتعديهن ببطالتها ومهانتها وأول ما يبنى في الخلية مقعد الملك وبيته فيبنى له بيتا مربعا يشبه السرير والتخت فيجلس عليه ويستدير حوله." <شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٦٦>

"وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ وإذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتثبيته وخلى بينه وبين نفسه ولم يكن بذلك ضالا له لأنه قد أعطاه قدرة وإرادة وعرفه الخير والشر وحذر طريق الهلاك وعرفه بها وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها ثم تركه وما اختار لنفسه وولاه ما تولى فإذا وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه، قال القدري: فتلك الإرادة المعينة المستلزمة للفعل المعين إن كانت بإحداث العبد فهو قولنا وإن كانت بإحداث الرب سبحانه فهو قول الجبري وإن كانت بغير محدث لزم المحال، قال السني: لا تفتقر كل إرادة من العبد إلى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجعله مريدا فإن الإرادة هي حركة النفس والله سبحانه شاء أن تكون متحركة وأما أن تكون كل حركة تستدعي مشيئة مفردة فلا وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحي متنفسا ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه إلى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بجملته جاريا ولا تفتقر كل قطرة منه إلى مشيئة خاصة يجري بها الماء وكذلك مشيئته لحركات الأفلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث وكذلك خطرات القلوب ووساوس النفس

وكذلك مشيئته أن يكون العبد متكلما لا يستلزم أن يكون كل حرف بمشيئته غير مشيئة الحرف الآخر وإذا تبين ذلك فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائيا مريدا وتلك الإرادة والمشيئة صالحة للضدين فإذا شاء أن يهدي عبدا صرف داعيه ومشيئته وإرادته إلى معاشه ومعاده وإذا شاء أن يضله تركه ونفسه وتخلى عنه والنفس متحركة بطبعها لا بد لها من مراد محبوب هو مألوهها ومعبودها فإن لم يكن الله وحده هو معبودها ومرادها وإلا كان غيره لها معبودا ومرادا ولا بد فإن حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها فإن لم تحب ربها وفاطرها وتعبده أحبت غيره وعبدته وإن لم تتعلق إرادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها فيه ولا بد فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت فإن قلت فأين مشيئة الله لهداها وضلالها قلت إذا شاء إضلالها تركها ودواعيها وخلى بينها وبين ما تختاره وإذا شاء هداها جذب دواعيها وإرادتها إليه وصرف عنها موانع القبول فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بإمداد وجودي ويصرف عنها الموانع التي خلى بينها وبين غيرها فيها وهذا بمشيئته وقدرته فلم يخرج شيء من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكوينه البتة لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم ولو أن الجبرية أثبتت الأسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسألة ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات مع إثبات الحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب سبحانه لانحلت عنها عقدها وبالله التوفيق.." <شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/١٧٨>

"الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهي غاية الفعل لا أنها أمر اتفاقي.

فصل: النوع الخامس عشر إخباره بأن حكمه أحسن الأحكام وتقديره أحسن التقادير ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك إذ لو كان حسنه لكونه مقدورا معلوما كما يقوله النفاة لكان هو وضده سواء فإنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فكان كل معلوم مقدور أحسن الأحكام وأحسن التقادير وهذا ممتنع قال تعالى: ﴿ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ وقال: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله﴾ فجعل هذا أن يختار لهم دينا سواه ويرتضي دينا غيره كما يمتنع عليه العيب والظلم وقال تعالى: ﴿من أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا﴾ وقال: ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ وقال: ﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾ وقال: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذي اقتضته حكمته ورحمته وعلمه وقال تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها ومطابقتها للغايات المحمودة والحكم المطلوبة لكان كله متفاوتا أو كان عدم تفاوته أمرا اتفاقيا لا يحمد فاعله لأنه لم يرده ولم يقصده وإنما اتفق أن صار كذلك.

فصل: النوع السادس عشر إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه أحدهما قوله حاكيا عن نبيه هود: ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ والثاني قوله: ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ قال أبو إسحاق: "أخبر أنه وإن كانت قدرته تنالهم بما شاء فهو لا يشاء إلا العدل" قال ابن الأنباري: "لما قال إلا هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا تخرج عن قبضته" قاهر بعظيم سلطانه كل دابة فأتبع ذلك قوله: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ أي أنه على الحق قال وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا رجلا حين السيرة والعدل والإنصاف قالوا فلان طريقه حسنة وليس ثم طريق وذكر في معنى الآية أقوال أخر هي من لوازم هذا المعنى وآثاره كقول بعضهم إن ربي يدل على صراط مستقيم فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم فإن تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته وإحسانه وعدله وحكمته وقال بعضهم معناه لا يخفى عليه شيء ولا يعدل عنه هارب وقال بعضهم المعنى لا مسلك لأحد ولا طريق له إلا عليه كقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهذا المعنى حق ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين فإن الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال أنهم يصلون سلوكه إليه ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال: ﴿إلينا مرجعهم﴾ : ﴿إن إلينا إيابهم﴾ : ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ : ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم فهو كونه يقول الحق ويفعل الصواب فكلماته صدق وعدل كله صواب وخير والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فلا يقول إلا ما يحمد عليه لكونه حقا وعدلا وصدقا وحكمة في نفسه وهذا معروف في كلام للعرب قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

وإذا عرف هذا فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شيئا إلا بحكمة يحمد عليها وغاية هي."
<شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٠١>

"وهو وسيلة إليها فإذا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة إلى القصد فإذا وصل بها السائر إلى مقصده لم يبق لسلوكها فائدة وسر المسألة أن الرحمة غاية الخلق والأمر لا العذاب فالعذاب من مخلوقاته وذلك مقتضى أنه خلقه لغاية محمودة ولا بد من ظهور أسمائه وأثر صفاته عموما وإطلاقا فإن هذا هو الكمال والرب جل جلاله موصوف بالكمال منزه عن النقص قالوا وقد قال تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما

يريد﴾ وقال: ﴿النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ قال أبو سعيد الخدري: "هذه تقضي على كل آية في القرآن" ذكره البيهقي وحرب وغيرهما وقال عبد الله بن مسعود: "ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا" وعن عمر بن الخطاب وأبي هريرة مثله ذكره جماعة من المصنفين في السنة وهذا يقتضي أن الدار التي لا يبقى فيها أحد هي التي يلبث فيها أهلها أحقابا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنة فقال تعالى: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار" قالوا ويكفينا ما في سورة الأنعام من قوله: ﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الأنس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ إلى قوله: ﴿امعشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ وهذا خطاب للكفار من الجن والإنس من وجوه، أحدها استكبارهم منهم أي من إغوائهم وإضلالهم وإنما استكبروا من الكفار، الثاني قوله: ﴿وقال أولياؤهم من الأنس﴾ وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ فحزب الشيطان هم أولياؤه والثالث قوله: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ ومع هذا فقال: ﴿لنار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿إن ربك حكيم عليم﴾ فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة فهو عليم بما يفعل بهم حكيم في ذلك قالوا وقد ورد في القرآن أنه سبحانه إذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معا أبد جزاء أهل الرحمة وأطلق جزاء أهل الغضب كقوله: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد أما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ وقوله: ﴿ن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ وقوله: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ وقد يقرن بينهما في الذكر ويقضي لهم بالخلود كقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ وقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ ولكن مجرد ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي

عدم النهاية بل الخلود هو المكث الطويل كقولهم قيد مخلد وتأبيد كل شيء بحسبه فقد يكون التأبيد لمدة الحياة وقد يكون لمدة الدنيا قال تعالى عن اليهود: ﴿ولن يتمنوه." <شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٥٧>

"خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها فإن نفوسهم غير قابلة للخير فإنهم لو خرجوا منها لعادوا كفارا كما كانوا وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ وهذا يدل على غاية عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه فلا تصلح نفوسهم الشريرة الخبيثة إلا للعذاب ولو صلحت لصلحت على طول العذاب فحيث لم يؤثر عذابهم تلك الأحقاب الطويلة في نفوسهم ولم يطيبها علم أنه لا قابلية فيهم للخير أصلا وأن أسباب العذاب لم يطف من نفوسهم فلا يطفى العذاب المترتب عليها وهذه الطريق وإن أنكرت ببادئ الرأي فهي طريق قوية وهي ترجع إلى طريق الحكمة وأن الحكمة التي اقتضت دخولهم هي التي اقتضت خلودهم ولكن هذه الطريق محرم سلوكها على نفاة الحكمة وعلى مثبتيها من المعتزلة والقدرية أما النفاة فظاهر وأما المثبتة فالحكمة عندهم أن عذابهم لمصلحتهم وهذا إنما يصح إذا كان لهم حالتان حالة يعذبون فيها لأجل مصلحتهم وحالة يزول عنهم العذاب لتحصل لهم تلك المصلحة وإلا فكيف تكون مصلحتهم في عذاب لا انقطاع له أبدا وأما من يثبت حكمة راجعة إلى الرب تعالى فيمكنهم سلوك هذه الطريق لكن يقال الحكمة لا تقتضي دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه وهو لم يخبر أنه خلقهم لذلك وإنما يعذبون لغاية محمودة إذا حصلت حصل المقصود من عذابهم وهو سبحانه لا يعذب خلقه سدى وهو قادر على أن ينشئهم بعد العذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والخبائث التي كانت في نفوسهم وقد أزالها طول العذاب فإنهم خلقوا قابلين للخير على الفطرة وهذا القبول لازم لخلقتهم وبه أقروا بصانعهم وفاطرهم وإنما طرأ عليه ما أبطل مقتضاه فإذا زال ذلك الطارئ بالعذاب الطويل بقي أصل القبول بلا معارض وأما قوله تعالى: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ فهذا قبل مثابرتهم للعذاب قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ فتلك الخبائث والشرور قائمة بنفوسهم لم تزلها النار فلو ردوا لعادوا لقيام المقتضى للعود ولكن أين أخبر سبحانه أنه لو ردهم بعد العذاب الطويل السرمدي لعادوا لما نهوا عنه وسر المسألة أن الفطرة الأصلية لا بد أن تعمل عملها كما عمل الطارئ عليها عمله وهذه الفطرة عامة لجميع بني آدم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة" وفي لفظ "على هذه الملة" وفي

صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه: "قال إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا" فأخبر أن الأصل فيهم الحنيفية وأنهم خلقوا عليها وأن صدها عارض فيهم باقتطاع الشياطين لهم عنها فمن الممتنع أن يعمل أثر اقتطاع الشياطين ولا يعمل أثر خلق الرحمن جل جلاله عمله والكل خلقه سبحانه فلا خالق سواه ولكن ذاك خلق يحبه ويرضاه ويضاف أثره إليه وهذا خلق يبغضه ويسخطه ولا يضاف أثره إليه فإن الشر ليس إليه والخير كله في يديه فإن قيل فقد قال سبحانه: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾ وهذا يقتضي أنه لا قابلية فيهم ولا خير عندهم البتة ولو كان عندهم لخرجوا به من النار مع الموحدين فإنه سبحانه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من خير فعلم أن هؤلاء ليس معهم هذا القدر اليسير من الخير قيل الخير في هذا الحديث هو الإيمان." <شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٦١>

"عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير أنسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم، شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم وهو العشر الأخير من رمضان، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطرا قط، بل قد قالت عائشة: («لا اعتكاف إلا بصوم») .

ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مع الصوم.

فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية.

وأما الكلام، فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة.

وأما فضول المنام، فإنه شرع لهم من قيام الليل ما هو من أفضل السهر وأحمده عاقبة، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن، ولا يعوق عن مصلحة العبد، ومدار رياضة أرباب الرياضات **والسلوك** على هذه الأركان." <زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢/٨٣>

"وسأله آخر هنالك عن أمه، فقال إنها عجوز كبيرة، فإن حملتها لم تستمسك، وإن ربطتها خشيت أن أقتلها، فقال: " «أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم. قال: فحج عن أمك» ".

فلما أتى بطن محسر، حرك ناقته وأسرع السير، وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه، فإن هنالك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله علينا، ولذلك سمي ذلك الوادي وادي محسر؛ لأن الفيل حسر فيه، أي أعيي وانقطع عن الذهاب إلى مكة، وكذلك فعل في سلوكه الحجر ديار ثمود، فإنه تقنع بثوبه، وأسرع السير.

ومحسر: برزخ بين منى وبين مزدلفة، لا من هذه ولا من هذه.

وعرنة: برزخ بين عرفة والمشعر الحرام، فبين كل مشعرين برزخ ليس منهما.

فمنى: من." <زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢/٢٣٦>

"قال الزهري، وعاصم بن عمر، ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرهم: كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله عز وجل به المؤمنين، وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه، وهو مستخف بالكفر، فأكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، فكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران، أولها: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال﴾ [آل عمران: ١٢١] [آل عمران: ١٢١] إلى آخر القصة.

[فصل فيما اشتملت عليه هذه الغزاة من الأحكام والفقه]

منها: أن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن من لبس لأمته وشرع في أسبابه، وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه.

ومنها: أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم يوم أحد.

ومنها: جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه، وإن لم يرض المالك.

ومنها: أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر ومن معه.

ومنها: جواز الغزو بالنساء، والاستعانة بهن في الجهاد.

ومنها: جواز الانغماس في العدو، كما انغمس أنس بن النضر وغيره.

ومنها: أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعدا، وصلوا وراءه قعودا." <زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣/١٨٩<

"الشجر شجرة مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها. . .») الحديث ".

والجمار: بارد يابس في الأولى، يختم القروح، وينفع من نفث الدم، واستطلاق البطن، وغلبة المرة الصفراء، وثائرة الدم وليس برديء الكيموس، ويغذو غذاء يسيرا، وهو بطيء الهضم، وشجرته كلها منافع، ولهذا مثلها النبي صلى الله عليه وسلم بالرجل المسلم لكثرة خيره ومنافعه.

[جبن]

: في " السنن " عن عبد الله بن عمر قال: («أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك، فدعا بسكين، وسمى وقطع») رواه أبو داود، وأكله الصحابة رضي الله عنهم بالشام، والعراق، والرطب منه غير المملوح جيد للمعدة، هين **السلوك** في الأعضاء، يزيد في اللحم، ويلين البطن تليينا معتدلا، والمملوح أقل غذاء من الرطب، وهو رديء للمعدة، مؤذ للأمعاء، والعتيق يعقل البطن، وكذا المشوي، وينفع القروح، ويمنع الإسهال. وهو بارد رطب، فإن استعمل مشويا، كان أصلح لمزاجه، فإن النار تصلحه وتعدله، وتلطف جوهره، وتطيب طعمه ورائحته. والعتيق المالح، حار يابس، وشيه يصلحه أيضا بتلطيف جوهره، وكسر حرافته لما تجذبه النار منه من الأجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها، والمملح منه يهزل، ويولد حصاة الكلى والمثانة، وهو رديء للمعدة، وخلطه بالملطفات أردأ بسبب تنفيذها له إلى المعدة.

[حرف الحاء]

[حناء]

حرف الحاء

حناء: قد تقدمت الأحاديث في فضله، وذكر منافعه، فأغنى عن إعادته.." <زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٧٢<

"بالصورة التي يحرم عليه الاستمتاع بها نظرا ومباشرة فهذا النظر الذي أمر الله سبحانه وتعالى صاحبه بغض بصره هذا مع أن القوم لم يبتلوا بالمردان وهم كانوا أشرف نفوسا وأطهر قلوبا من ذلك فإذا أمرهم بغض أبصارهم عن الصورة التي تباح لهم في بعض الأحوال خشية الافتتان فكيف النظر إلى صورة لا تباح بحال ثم يقال لهذه الطائفة النظر الذي ندب الله إليه نظر يثاب عليه الناظر وهو نظر موافق لأمره يقصد به

معرفة ربه ومحبته لا النظر الشيطاني ويشبه هذا الاستدلال استدلال بعض الزنادقة المنتسبين إلى الفقه على حل الفاحشة بمملوك الرجل بقوله تعالى ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ ومعتقد ذلك كافر حلال الدم بعد قيام الحجة عليه وإنما تسترت هذه الطائفة لهواها وشهواتها وأوهمت أنها تنظر عبرة واستدلالا حتى آل ببعضهم الأمر إلى أن ظنوا أن نظرهم عبادة لأنهم ينظرون إلى مظاهر الجمال الإلهي ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى عن قول إخوان النصارى يظهر في تلك الصورة الجميلة ويجعلون هذا طريقا إلى الله كما وقع فيه طوائف كثيرة ممن يدعي المعرفة **والسلوك**

قال شيخنا رحمه الله تعالى وكفر هؤلاء شر من كفر قوم لوط وشر من كفر عباد الأصنام فإن أولئك لم يقولوا إن الله سبحانه يتجلى في تلك الصورة وعباد الأصنام غاية ما قالوه ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وهؤلاء قالوا نعبدهم لأن الله ظهر في صورهم وحكى لي شيخنا أن." <روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٢٢>

"أو طريق قد هدي أليها وهو محتاج إلى هداية أخرى فيها فالهداية إلى الطريق شيء والهداية في نفس الطريق شيء آخر ألا ترى أن الرجل يعرف أن طريق البلد الفلاني هو طريق كذا وكذا ولكن لا يحسن أن يسلكه فإن **سلوكه** يحتاج إلى هداية خاصة في نفس **السلوك** كالسير في وقت كذا دون وقت كذا وأخذ الماء في مفازة كذا مقدار كذا والنزول في موضع كذا دون كذا فهذه هداية في نفس السير قد يهملها من هو عارف بأن الطريق هي هذه فيهلك وينقطع عن المقصود

وكذلك أيضا ثم أمور هو محتاج إلى أن يحصل له فيها من الهداية في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي

وأمور هو خال عن اعتقاد حق أو باطل فيها فهو محتاج إلى هداية الصواب فيها

وأمور يعتقد أنه فيها على هدى وهو على ضلالة ولا يشعر فهو محتاج إلى انتقاله عن ذلك الاعتقاد بهداية من الله

وأمور قد فعلها على وجه الهداية وهو محتاج إلى أن يهدي غيره إليها ويرشده وينصحه فإهماله." <رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ابن القيم ص/٩>

"أحدها معرفة الشيء النافع للعبد الملائم له الذي بحصوله لذته وفرحه وسروره وطيب عيشه

الثاني معرفة الطريق الموصلة إلى ذلك

الثالث **سلوك** تلك الطريق

الرابع معرفة الضار المؤذي المنافر الذي ينكد عليه حياته

الخامس معرفة الطريق التي إذا سلكها أفضت به إلى ذلك

السادس تجنب **سلوكها**

فهذه ستة أمور لا تتم لذة العبد وسروره وفرحه وصلاح حاله إلا باستكمالها وما نقص منها عاد بسوء حاله وتنكيد حياته

وكل عاقل يسعى في هذه الأمور لكن أكثر الناس غلط في تحصيل هذا المطلوب المحبوب النافع إما في عدم تصوره ومعرفته وإما في عدم معرفته الطريق الموصلة إليه فهذان غلطان سببهما الجهل ويتخلص منهما بالعلم

وقد يحصل له العلم بالمطلوب والعلم بطريقه لكن في قلبه إرادات وشهوات تحول بينه وبين قصد هذا المطلوب النافع **وسلوك** طريقه فكلما أراد ذلك اعترضته." <رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ابن القيم ص/٢٦>

"أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم

فصل

وملاك هذا الشأن أربعة أمور

نية صحيحة وقوة عالية يقارنهما رغبة ورهبة

فهذه الأربعة هي قواعد هذا الشأن ومهما دخل على العبد من النقص في إيمانه وأحواله وظاهره وباطنه فهو من نقصان هذه الأربعة أو نقصان بعضها

فليتأمل اللبيب هذه الأربعة الأشياء وليجعلها سيره **وسلوكه** ويبني عليها علومه وأعماله وأقواله وأحواله فما نتج من نتج إلا منها ولا تخلف من تخلف إلا من فقدها

والله أعلم والله المستعان وعليه التكلان وإليه الرغبة وهو المسؤول بأن يوفقنا وسائر إخواننا من أهل السنة لتحقيقها علما وعملا إنه ولي ذلك والمان به وهو حسبنا ونعم الوكيل." <رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ابن القيم ص/٤٦>

"وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره وجعل الذلة و [الصغار] على من

خالف أمره. فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة. وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة وأغنى به بعد العيلة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغى وفتح برسالته أعينا [عميا] وآذانا صما وقلوبا غلفا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين فلم يدع خيرا إلا دل أمته عليه ولا شرا إلا حذر منه ونهى عن **سلوك** الطريق الموصلة إليه. ففتح القلوب بالإيمان والقرآن، وجاهد أعداء الله باليد والقلب واللسان. فدعا إلى الله على بصيرة، وسار فى الأمة– بالعدل والإحسان وخلقه العظيم– أحسن سيرة، إلى أن أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها. وسارت دعوته سير الشمس فى الأقطار وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار. واستجابت لدعوته الحق القلوب طوعا وإذعانا، وامتلأت بعد خوفها وكفرها أمنا وإيمانا، فجزاه الله عن أمته أفضل الجزاء، وصلى عليه صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

فإن الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده فى قلوب من اختارهم لربوبيته، واختصهم بنعمته، وفضلهم على سائر خليقته، فهى ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السمآء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٤–٢٥] ، فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت فى القلب وفروعها الكلم الطيب والعمل الصالح فى السماء، فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كل وقت بإذن ربها من طيب القول وصالح العمل ما تقر به عيون صاحب الأصل وعيون حفظته وعيون أهله وأصحابه ومن قرب منه، فإن من قرت عينه بالله سبحانه قرت به كل عين وأنس به كل مستوحش وطاب به كل خبيث وفرح به كل حزين وأمن به كل خائف وشهد به كل غائب، وذكرت رؤيته بالله، فإذا رؤى ذكر الله فاطمأن قلبه إلى الله وسكنت نفسه إلى الله وخلصت محبته لله وقصر خوفه على الله وجعل رجاءه كله لله، فإن سمع سمع بالله وإن أبصر أبصر بالله وإن بطش بطش بالله وإن مشى مشى بالله، فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٦>

"يمشى، فإذا أحب فلله وإذا أبغض [أبغض] لله وإذا أعطى فلله وإذا منع فلله، قد اتخذ الله وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية قصده ومنتهى طلبه، واتخذ رسوله وحده دليله وإمامه وقائده وسائقه، فوحد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه

فله فى كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجإ والافتقار فى كل نفس إليه، وهجرة إلى رسوله فى حركاته

وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفصيل محاب الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد، وقال شيخ الطريقة وإمام الطائفة الجنيد بن محمد قدس الله روحه: الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبى صلى الله عليه وسلم، فإن الله عز وجل يقول: "وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك". وقال بعض العارفين: كل عمل بلا متابعة فهو عيش النفس.

ولما كانت السعادة دائرة- نفيا وإثباتا- مع ما جاء به كان جديرا بمن نصح نفسه أن يجعل لحظات عمره وقفا على معرفته وإرادته مقصورة على محابه، وهذا أعلى همة شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون، فلا جرم ضمنا هذا الكتاب قواعد من سلوك الهجرة المحمدية، وسميناه طريق الهجرتين، وباب السعادتين، وابتدأناه بباب الفقر والعبودية؛ إذ هو باب السعادة [الأعظم] وطريقها الأقوم الذى لا سبيل إلى دخولها إلا منه، وختمناه بذكر طبقات المكلفين من الجن والإنس فى [الدنيا و] الآخرة ومراتبهم فى دار السعادة والشقاوة. فجاء الكتاب غريبا فى معناه، عجيبا فى مغزاه لكل قوم منه نصيب، ولكل وارد منه مشرب [وما كان فيه من حق وصواب فمن الله هو المان بهـ فإنما التوفيق بيده] وما كان فيه من [خطأ و] زلل فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

فيا أيها القاريء له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه. ولك ثمرته، وعليه عائدته. فإن عدم منك حمدا وشكرا، فلا يعدم منك [مغفرة و] عذرا، وإن أبيت إلا الملام فبابه." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٧>

"فصل: في أن حقيقة الفقر توجه العبد بجميع أحواله إلى الله

وإذا كان التلوث بالأعراض قيدا يقيد القلوب عن سفرها إلى بلد حياتها ونعيمها الذى لا سكن لها غيره، ولا راحة لها إلا فيه، ولا سرور لها إلا فى منازله، ولا أمن لها إلا بين أهله، فكذلك الذى باشر قلبه روح التألة، وذاق طعم المحبة، وآنس نار المعرفة، له أعراض دقيقة حالية تقيد قلبه عن مكافحة صريح الحق، وصحة الاضطرار إليه والفناء التام به، والبقاء الدائم بنوره الذى هو المطلوب من السير والسلوك، وهو الغاية التى شمر إليها السالكون، والعلم الذى أمه العابدون ودندن حوله العارفون، فجميع ما يحجب عنه أو يقيد القلب نظره وهمه يكون حجابا يحجب الواصل." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٨>

"إلى السبق بمطالعة الفضل يمحص من أدناس مطالعات المقامات، فالمقام ما كان راسخا فيه، والحال ما كان عارضا لا يدوم. فمطالعات المقامات [وشرفه] بها وكونه يرى نفسه صاحب مقام قد حققه

وكمله فاستحق أن ينسب إليه ويوصف به مثل أن يقال زاهد صابر خائف راج محب راض، فكونه يرى نفسه مستحقا بأن تضاف المقامات إليه وبأن يوصف بها- على وجه الاستحقاق لها- خروج عن الفقر إلى الغنى، وتعد لطور العبودية، وجهل بحق الربوبية فالرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل يستغرق همة العبد ويمحصه ويطهره من مثل هذه الأدناس، فيصير مصفى بنور الله [عز وجل] عن رذائل هذه الأرجاس.

[الدرجة الثالثة من درجات الفقر]

قوله: "والدرجة الثالثة صحة الاضطرار، والوقوع فى يد التقطع الوحدانى، والاحتباس فى بدء قيد التجريد، وهذا فقر الصوفية". وهذه الدرجة فوق الدرجتين السابقتين عند أرباب **السلوك**، وهى الغاية التى شمروا إليها وحاموا حولها، فإن الفقر الأول فقر عن الأعراض الدنيوية، والفقر الثانى فقر عن رؤية المقامات والأقوال، وهذا الفقر الثالث فقر عن ملاحظة الموجود الساتر للعبد عن مشاهدة الوجود، فيبقى الوجود الحارث فى قبضة الحق عز وجل الهباء المنثور فى الهواء، يتقلب بتقليبه إياه، ويسير فى شاهد العبد كما هو فى الخارج، فتمحو رؤية التوحيد عن العبد شواهد استبداده واستقلاله بأمر من الأمور، ولو فى النفس واللمحة والطرفة والهمة والخاطر والوسوسة، إلا بإرادة المريد الحق سبحانه وتدبيره وتقديره ومشيئته، فيبقى العبد كالكرة الملقاة بين صولجانات القضاء والقدر، تقلبها كيف شاءت بصحة شهادة قيومية من له الخلق والأمر وتفرده بذلك دون ما سواه. وهذا الأمر لا يدرك بمجرد العلم، ولا يعرفه إلا من تحقق به أولاح له منه بارق، وربما ذهل صاحب هذا المشهد عن الشعور بوجوده لغلبة شهود وجود القيوم عليه، فهناك يصح من مثل هذا العبد الاضطرار إلى الحى القيوم، وشهد فى كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فقرا تاما إليه من جهة كونه ربا ومن جهة كونه إلها معبودا لا غنى له عنه كما لا وجود له بغيره. فهذا هو الفقر الأعلى الذى دارت عليه رحى القوم، بل هو قطب تلك الرحى.

وإنما يصح له هذا بمعرفتين لا بد منهما: معرفة حقيقة الربوبية والإلهية، ومعرفة حقيقة النفس." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٧>

"فصل: فى بيان الدرجة الثانية من درجات الغنى بالله عز وجل

الدرجة الثانية من درجات الغنى بالله عز وجل دوام شهود أوليته تعالى، وهذا الشهود عند أرباب **السلوك** أعلى مما قبله، والغنى به أتم من الغنى المذكور، لأنه من." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٤٢>

"المثال الأول: أن الماء خلقه الله طاهرا مطهرا، فلو ترك على حالته التى خلق الله عليها ولم يخالطه ما يزيل طهارته لم يكن طاهرا، ولكن بمخاطة أضداده من الأنجاس والأقذار تغيرت اوصافه وخرج عن لاخلقة التى خلق عليها، فكانت تلك لانجاسات والقاذورات بمنزلة أيوى الطفل وكافليه لاذين يهودانه وينصرونه ويمجسونه ويشركونه، وكما أن الماء إذا فسد بمخالطته الأنجاس والقاذورات لم يصلح للطهارة، فكذلك القلوب إذا فسدت فطرها بالأغيار لم تصلح لحظيرة القدس.

المثال الثاني: الشراب المعتصر من العنب، فإنه طيب يصلح للدواء ولإصلاح الغذاء والمنافع التي يصلح لها، فلو خلي على حاله لم يكن إلا طاهرا طيبا ولكن أفسد بتهيئته للسكر واتخاذه مسكرا، فخرج بذلك عن خلقته التي خلق عليها من الطهارة والطيب، فصار أخبث شيء وأنجسه. فلو انقلب خلا أو زال بزوالها والله أعلم.

المثال الثالث: الأغذية الطيبة النافعة إذا خالطت باطن الحيوان واستقرت هنالك خرجت عن حالتها التي خلقت عليها واكتسبت بهذه المخالطة والمجاورة خبثا وفسادا لم يكن فيها **لسلوكها** في غير طرقها التي بها كمالها. ولما أنزل الله الماء طاهرا نافعا فمازج الأرض سالت به أوديتها أوجد جل جلاله بينهما بسبب هذه المخالطة والممازجة أنواع الثمار والفواكه والزروع والنخيل والزيتون وسائر الأغذية والأقوات وأوجد مع ذلك المر والشوك والحنظل وغير ذلك، واللقاح واحد، ولكن الأم مختلفة، قال تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بمآء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل إن في ذلك لايات لقوم يعقلون﴾ [الرعد: ٤] ، ثم إنه سبحانه يصرف ما أخرجه من هذا الماء وبقلبه ويحيل بعضه إلى بعضه بالمخالطة والمجاورة عن طبيعته إلى طبيعة أخرى، وهذا كما خلق كل دابة من ماء ثم خالف بين صورها وقواها ومنافعها وأوصافها وما يصلح لها، وأمشى بعضا على بطنه وبعضا على رجلين وبعضا على أربع، حكمة بالغة وقدرة باهرة. وكذلك سبحانه يقلب الليل والنهار ويقلب ما يوجد فيهما ويقلب أحوال العالم كما يشاء ويسلك بذلك مسلك الحكمة البالغة التي بها يتم مراده ويظهر ملكه: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤] .." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٤٤>

"والخزى، وإذا غلبت على القلب أورثته الوساوس وعزلته عن سلطانها وأفسدت عليه رعيته وألقته فى الأسر الطويل كما أن هذا معلوم فى الخواطر النفسانية فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية هى أصل الخير كله، فإن أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان والخشية والمحبة والإنابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب،

وسقيت مرة بعد مرة، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها، أثمرت له كل فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه فى الطاعات، واستقر بها الملك فى سلطانه واستقامت له رعيته، ولهذا لما تحققت طائفة من السالكين ذلك عملت على حفظ الخواطر، وكان ذلك هو سيرها وجل عملها وهذا نافع لصاحبه بشرطين: أحدهما: أن لا يترك به واجبا، ولا سنة، الثانى: أن لا يجعل مجرد حفظها هو المقصود بل لا يتم ذلك إلا بأن يجعل موضعها خواطر الإيمان والمحبة والإنابة والتوكل والخشية فيفرغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره بأضدادها، وإلا فمتى عمل على تفريغه منها معا كان خاسرا، فلا بد من التفطن لهذا.

ومن هنا غلط أقوام من أرباب **السلوك** وعملوا على إلقاء الخواطر وإزالتها جملة فبذر فيها الشيطان أنواع الشبه والخيالات فظنوها تحقيقا وفتحا رحمانيا، وهم فيها غالطون، وإنما هى خيالات وفتوحات شيطانية، والميزان هو الكتاب الناطق والفطرة السليمة والعقل المؤيد بنور النبوة. والله المستعان.

الفصل الثاني

صدق التأهب للقاء الله من أنفع ما للعبد وأبلغه فى حصول استقامته، فإن من استعد للقاء الله انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وحمدت من نفسه نيران الشهوات وأخبت قلبه إلى ربه تعالى وعكفت همته على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته، واستحدثت همة أخرى وعلوما أخر وولد ولادة أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أن كان فى بطن أمه فيولد قلبه ولادة حقيقية كما ولد جسمه حقيقة، وكما كان بطن أمه حجابا لجسمه عن هذه الدار فهكذا نفسه وهواه حجاب لقلبه عن الدار الآخرة، فخروج قلبه عن نفسه بارزا إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أمه بارزا إلى هذه الدار، وهذا معنى ما يذكر عن المسيح أنه قال: "يا بنى إسرائيل، إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين"، ولما كان أكثر الناس لم يولدوا هذه الولادة الثانية ولا تصوروها- فضلا عن أن." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٧٦>

"لا وصفا ولا ذاتا ولا اسما ولا فعلا، وإنما ترجع إلى مفعولاته سبحانه، فهو جاعل الظلمات ومفعولاتها متعددة متكثرة، بخلاف النور فإنه يرجع إلى اسمه وصفته جل جلاله، تعالى أن يكون كمثله شيء وهو نور السموات والأرض.

قال ابن مسعود: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه ذكره الدارمى عنه. وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: نور، أنى أراه،.

والمقصود أن الطريق إلى الله تعالى واحد، فإنه الحق المبين والحق واحد، مرجعه إلى واحد. وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، فالباطل متعدد، وطرقه متعددة.

وأما ما يقع فى كلام بعض العلماء أن الطريق إلى الله متعددة متنوعة جعلها الله كذلك لتنوع الاستعدادات واختلافها، رحمة منه وفضلا، فهو صحيح لا ينافى ما ذكرناه من وحدة الطريق. وكشف ذلك وإيضاحه أن الطريق و ه ى واحدة جامعة لكل ما يرضى الله، وما يرضيه متعدد متنوع فجميع ما يرضيه طريق واحد، ومراضيه متعددة متنوعة بحسب الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال، وكلها طرق مرضاته، فهذه التى جعلها الله سبحانه لرحمته، وحكمته كثيرة متنوعة جدا لاختلاف استعدادات العباد وقوابلهم، ولو جعلها نوعا واحدا مع اختلاف الأذهان والعقول وقوة الاستعدادات وضعفها لم يسلكها إلا واحد بعد واحد، ولكن لما اختلفت الاستعدادات تنوعت الطرق ليسلك كل امريء إلى ربه طريقا يقتضيها استعداده وقوته وقبوله.

ومن هنا يعلم تنوع الشرائع واختلافها مع رجوعها كلها إلى دين واحد بل تنوع الشريعة الواحدة مع وحدة المعبود ودينه، ومنه الحديث المشهور: " الأنبياء أولاد علات دينهم واحد"، فأولاد العلات أن يكون الأب واحدا والأمهات متعددة، فشبه دين الأنبياء بالأب الواحد وشرائعهم بالأمهات المتعددة، فإنها وإن تعددت فمرجعها كلها إلى أب واحد.

وإذا علم هذا فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الذى يعد سلوكه إلى الله طريق العلم والتعليم، قد وفر عليه زمانه مبتغيا به وجه الله فلا يزال كذلك عاكفا على طريق العلم والتعليم حتى يصل من تلك الطريق إلى الله ويفتح له فيها الفتح الخاص أو يموت فى طريق طلبه فيرجى له الوصول إلى مطلبه بعد مماته.

قال تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٧٨>

"ويقبل عليه بأنواع كرامته، ويلحظ الملأ الأعلى وأهل الأرض بالتبجيل والتكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قاعدة: السائر إلى الله تعالى والدار الآخرة، بل كل سائر إلى مقصد، لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية، فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائرا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل. فقوته العلمية كنور عظيم بيده يمشى به فى ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يبصر بذلك النور ما يقع الماشى فى الظلمة

فى مثله من الوهاد والمتالف ويعثر به من الأحجار والشوك وغيره، ويبصر بذلك النور أيضا أعلام الطريق وأدلتها المنصوبة عليها فلا يضل عنها، فيكشف له النور عن الأمرين: أعلام الطريق، ومعطبها.

وبالقوة العملية يسير حقيقة، بل السير هو حقيقة القوة العملية، فإن السير هو عمل المسافر. وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها وأبصر المعاثر والوهاد والطرق الناكبة عنها فقد حصل له شطر السعادة والفلاح، وبقى عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافرا فى الطريق قاطعا منازلها منزلة بعد منزلة، فكلما قطع مرحلة استعد لقطع الأخرى واستشعر القرب من المنزل فهانت عليه مشقة السفر، وكلما سكنت نفسه من كلال السير ومواصلة الشد والرحيل وعدها قرب التلاقى وبرد العيش عند الوصول، فيحدث لها ذلك نشاطا وفرحا وهمة، فهو يقول: يا نفس أبشرى فقد قرب المنزل ودنا التلاقى فلا تنقطعى فى الطريق دون الوصل فيحال بينك وبين منازل الأحبة، فإن صبرت وواصلت السير وصلت حميدة مسرورة جذلة، وتلقتك الأحبة بأنواع التحف والكرامات، وليس بينك وبين ذلك إلا صبر ساعة، فإن الدنيا كلها لساعة من ساعات الآخرة، وعمرك درجة من درج تلك الساعة، فالله الله لا تنقطعى فى المفازة، فهو والله الهلاك والعطب لو كنت تعلمين فإن استصعبت عليه فليذكرها ما أمامها من أحبابها، وما لديهم من الإكرام والإنعام، وما خلفها من أعدائها وما لديهم من الإهانة والعذاب وأنواع البلاء، فإن رجعت فإلى أعدائها رجوعها، وإن تقدمت فإلى أحبابها مصيرها، وإن وقفت فى طريقها أدركها أعداؤها، فإنهم وراءها فى." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٨٣>

"فصل: فى تقسيم الناس من حيث القوة العلمية والعملية

فمن الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفا فى القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها، فهو فقيه ما لم يحضر العمل فإذا حضر العمل شارك الجهال فى التخلف وفارقهم فى العلم وهذا هو الغال على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمة الله ولا قوة إلا بالله.

ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه وتقتضى هذه القوة السير **والسلوك** والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة والجد والتشمير فى العمل، ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات فى العقائد والانحرافات فى الأعمال والأقوال والمقامات كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات، فداء هذا من جهله وداء الأول من فساد إرادته وضعف عقله، وهذا حال أكثر أرباب الفقر والتصوف

السالكين على غير طريق العلم، بل على طريق الذوق." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٨٤>

"سبحانه بالاستغفار بعد الوقوف بعرفة والمزدلفة، وشرع للمتوضيء أن يقول بعد وضوئه: "اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين"، فهذه توبة بعد الوضوء، وتوبة بعد الحج، وتوبة بعد الصلاة وتوبة بعد قيام الليل. فصاحب هذا المقام مضطر إلى التوبة والاستغفار كما تبين، فهو لا يزال مستغفرا تائبا، وكلما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره.

فصل

وجماع الأمر فى ذلك إنما هو بتكميل عبودية الله [عز وجل] فى الظاهر والباطن، فتكون حركات نفسه وجسمه كلها فى محبوبات الله، وكمال عبودية العبد موافقته لربه فى محبته ما أحبه، وبذل الجهد فى فعله وموافقته فى كراهة ما كرهه وبذل الجهد فى تركه، وهذا إنما يكون للنفس المطمئنة، لا للأمارة ولا للوامة.

فهذا كمال من جهة الإرادة والعمل، وأما من جهة العلم والمعرفة فأن تكون بصيرته منفتحة فى معرفة الأسماء والصفات والأفعال، له شهود خاص فيها مطابق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا مخالف له، [فإنه] بحسب مخالفته له فى ذلك يقع الانحراف ويكون [مع] ذلك قائما بأحكام العبودية الخاصة التى تقتضيها كل صفة بخصوصها، وهذا سلوك الأكياس الذين هم خلاصة العالم، والسالكون على هذا الدرب أفراد من العالم، طريق سهل قريب موصل، طريق آمن أكثر السالكين فى غفلة عنه، ولكن يستدعى رسوخا فى العلم ومعرفة تامة به وإقداما على رد الباطل المخالف له ولو قاله من قاله، وليس عند أكثر الناس سوى رسوم تلقوها عن قوم معظمين عندهم، ثم لإحسان ظنهم بهم قد وقفوا عند أقوالهم ولم يتجاوزوها [إلى غيرها] فصارت حجابا لهم وأى حجاب.

فمن فتح الله عليه بصيرة قلبه وإيمانه حتى خرقها وجاوزها إلى مقتضى الوحى والفطرة والعقل، فقد أوتخيرا كثيرا ولا يخاف عليه إلا من ضعف همته، فإذا انضاف إلى ذلك الفتح همة عالية فذاك السابق حقا، واحد الناس بزمانه، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره فشتان ما بين من يتلقى أحواله وارداته عن الأسماء والصفات وبين من يتلقاها عن الأوضاع الاصطلاحية والرسوم أو عن مجرد ذوقه ووجده، إذا استحسن شيئا قال هذا هو الحق، فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب، وفتحه عجب صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه:." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢١٥>

"لازمة للزهد، وإن كان لا بد منها فى حكم الطبيعة لتحقق الابتلاء والامتحان، وليتحقق ترك العبد حظه وهواه لربه إيثارا له على هواه ونفسه.

الثانى: أنه لو كانت هذه المنازعة وحبس النفس عن الملذوذات من لوازم الزهد لم يكن فيها نقص ولا علة، فإنها من لوازم الطبيعة وأحكام الجبلة، وهى كالجوع والعطش والألم والتعب، فحبس النفس عن إجابة دواعيها إيثارا لله ومرضاته عليها لا يكون نقصا ولا مستلزما لنقص.

وقد اختلف أرباب **السلوك** [وأهل الطريق] هنا فى هذه المسألة، وهى أيهما أفضل: من له داعية وشهوة وهو يحبسهما لله ولا يطيعهما حبا له وحياء [منه] وخوفا، أو من لا داعية له تنازعه بل نفسه خالية من تلك الدواعى والشهوة، وقد اطمأنت إلى ربها واشتغلت به عن غيره، وامتلأت بحبه وإرادته، فليس فيها موضع لإرادة غيره ولا حبه؟ فرجحت طائفة الأول وقالت: هذا يدل على قوة تعلقه وشدة محبته، فهو يعاصى دواعى الطبع والشهوة ويقهرها بسلطان محبته وإرادته وخوفه من الله، وهذا يدل على تمكنه من نفسه وتمكن حاله مع الله وغلبة داعى الحق عنده على داعى الطبع والنفس.

قالوا: وأيضا فله مزيد فى حاله وإيمانه بهذا الإيثار والترك مع حضور داعى الفعل عنده، ومزيد مجاهدة عدوه الباطن ونفسه وهواه، كما يكون له مزيد مجاهدة عدوه الظاهر.

قالوا: والذوق والوجد يشهد لمزيده من الحب والأنس والسرور والفرح بربه عند إيثاره على دواعى الهوى والنفس، والمطمئن الذى ليس فيه هذا الداعى ليس له مزيد من هذه الجهة، وإن كان مزيده من جهة أخرى فهى مشتركة بينهما، ويختص هذا بمزيده من الإيثار والمجاهدة.

قالوا: وأيضا فهذا مبتلى بهذه الدواعى والإرادات، [وذاك] معافى منها.

وقد جرت سنة الله فى المؤمنين من عباده أن يبتليهم على حسب إيمانهم، فمن ازداد إيمانه زيد فى بلائه كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان فى دينه رقة خفف عنه البلاء".

والمراد بالدين هنا: الإيمان الذى يثبت عند نوازل البلاء، فإن المؤمن يبتلى على قدر ما يحمله إيمانه من وارد البلاء. قالوا: فالبلاء بمخالفة دواعى النفس والطبع من أشد البلاء، فإنه لا يصبر عليه الصديقون.

وأما البلاء الذى يجرى على العبد بغير اختياره كالمرض والجوع والعطش ونحوها، فالصبر عليه لا يتوقف على الإيمان، بل يصبر عليه البر والفاجر لا سيما إذا علم أنه." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٢٦>

"نوع تفرقة وانفصال يشهد فيه مع الله غيره، وهذا مناف للفناء فى التوحيد، وأن لا يشهد مع الله غيره أصلا، وهذا قطب رحى السير الذى يشير إليه القوم، والعلم الذى يشمرون إليه، ولأجله يجعلون كل ما دونه من المقامات معلولا، ولا بد من فصل القول فيه بعون الله وتأييده، فإنه نهاية إقدامهم وغاية مرماهم.
فنقول وبالله التوفيق:
الفناء الذى يشار إليه على ألسنة السالكين ثلاثة أقسام: فناء عن وجود السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن عبادة السوى وإرادته، وليس هنا قسم رابع.
فأما القسم الأول: فهو فناء القائلين بوحدة الوجود، فهو فناء باطل فى نفسه، مستلزم جحد الصانع [سبحانه]، وإنكار ربوبيته وخلقه وشرعه، وهو غاية الإلحاد والزندقة. وهذا هو الذى يشير إليه علماء الاتحادية، ويسمونه "التحقيق"، وغاية أحدهم فيه أن لا يشهد ربا وعبدا، وخالقا ومخلوقا، وآمرا ومأمورا، وطاعة ومعصية، بل الأمر كله واحد، فيكون السالك عندهم فى بدايته يشهد طاعة ومعصية.
ثم يرتفع [عن] هذا الفرق بكشف عندهم إلى أن يشهد الأفعال كلها طاعة لله لا معصية فيها، وهو شهود الحكم والقدر، فيشهده طاعة لموافقتها الحكم والمشيئة. وهذا ناقص عندهم أيضا، إذ هو متضمن للفرق، ثم يرتفع عندهم عن هذا الشهود إلى أن لا يشهد لا طاعة ولا معصية، إذ الطاعة والمعصية إنما تكون من غير لغير، وما ثم غير.
فإذا تحقق بشهود ذلك وفنى فيه فقد فنى عن وجود السوى، فهذا هو غاية التحقيق عندهم ومن لم يصل إليه فهو محجوب. ومن أشعارهم فى هذا قول قائلهم:
وما أنت غير الكون، بل أنت عينه ... ويفهم هذا السر من هو ذائق
وقول آخر:
ما الأمر إلا نسق واحد ... ما فيه من مدح ولا ذم
وإنما العادة قد خصصت ... والطبع والشارع بالحكم
وقول الآخر:
وما الموج إلا البحر لا شيء غيره ... وإن فرقته كثرة المتعدد
والقسم الثانى من أقسام الفناء هو الذى يشير إليه المتأخرون من أرباب **السلوك**." >طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٦٠<

"وهو الفناء عن شهود السوى، مع تفريقهم بين الرب والعبد وبين الطاعة والمعصية وجعلهم وجود الخالق غير وجود المخلوق. ثم هم مختلفون فى هذا الفناء على قولين: أحدهما أنه الغاية المطلوبة من **السلوك**، وما دونه بالنسبة إليه ناقص، ومن هنا يجعلون المقامات [والمنازل] معلولة. والقول الثانى: أنه من لوازم الطريق لا بد منه للسالك، ولكن البقاء أكمل منه وهؤلاء يجعلونه ناقصا ولكن لا بد منه، وهذه طريقة كثير من المتقدمين. وهؤلاء يقولون: إن الكمال شهود العبودية مع شهود المعبود، فلا يغيب بعبادته عن معبوده، ولا بمعبوده عن عبادته ولكن لقوة الوارد وضعف المحل وغلبة استيلاء الوارد على القلب- حتى يملكه من جميع جهاته- يقع الفناء. والتحقيق أن هذا الفناء ليس بغاية، ولا هو من لوازم الطريق، بل هو عارض من عوارض الطريق يعرض لبعض السالكين دون جميعهم وسببه أمور ثلاثة:

أحدها: قصده وإرادته والعمل عليه ، فإنه إذا علم أنه الغاية المطلوبة شمر سائرا إليه عاملا عليه، فإذا أشرف عليه وقف معه ونزل بواديه وطلب مساكنته. فهؤلاء إنما يحصل لهم الفناء لأن سيرهم كان على طلب حظهم ومرادهم من الله وهو الفناء لم يكن سيرهم على تحصيل مراد الله منهم وهو القيام بعبوديته والتحقق بها. والسائر على طلب تحصيل مراد الله منه لا يكاد الفناء يحل بساحته ولا يعتريه.

السبب الثانى: قوة الوارد بحيث يغمره ويستولى عليه، فلا يبقى فيه متسع لغيره أصلا.

السبب الثالث: ضعف المحل عن احتمال ما يرد عليه.

فمن هذه الأسباب الثلاثة يعرض الفناء. ولما رأى الصادق فى طريقه السالك إلى ربه أن أكثر أصحاب الفرق محجوبون عن هذا المقام مشتتون فى أودية الفرق وشهدوا نقصهم ورأوا ما هم فيه من الفناء أكمل ظنوا أنه لا كمال [وراء] ذلك، وأنه الغاية المطلوبة، فمن هنا جعلوه غاية.

ولكن أكمل من ذلك وأعلى [وأجل هو القسم الثالث] وهو الفناء عن عبادة السوى وإرادته ومحبته وخشيته ورجائه والتوكل عليه والسكون إليه [فيفنى بعبادة ربه ومحبته وخشيته ورجائه وخشيته ورجائه ورجائه والتوكل عليه إليه عن عبادة غيره وعن محبته رجائه والتوكل عليه] مع شهود الغير ومعاينته. فهذا أكمل من فنائه عن عبودية الغير ومحبته مع عدم شهوده له وغيبته عنه، فإذا شهد الغير فى مرتبته أوجب شهوده له زيادة."

<طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٦١>

"فإنه يضعفه كما تقدم.

بل الذى ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر، ويبذل جهده، وهذا نظير من انقطع عن رفقته فى السفر، فجلس فى الطريق حزينا كئيبا يشهد انقطاعه ويحدث نفسه باللحاق بالقوم. فكلما فتر وحزن حدث نفسه

باللحاق برفقته، ووعدها إن صبرت أن تلحق بهم، ويزول عنها وحشة الانقطاع. فهكذا السالك إلى منازل الأبرار، وديار المقربين وأخص من هذا الحزن حزنه على قطع الوقت بالتفرقة المضعفة للقلب عن تمام سيره وجده فى **سلوكه**، فإن التفرقة من أعظم البلاء على السالك، ولا سيما فى ابتداء أمره، فالأول حزن على التفريط فى [الأعمال] ، وهذا حزن على نقص حاله مع الله وتفرقة قلبه وكيف صار ظرفا لتفرقة حاله، واشتغال قلبه بغير معبوده.

وأخص من هذا الحزن حزنه على جزء من أجزاء قلبه كيف هو خال من محبة الله؟ وعلى جزء من أجزاء بدنه كيف هو منصرف فى غير محاب الله؟ فهذا حزن الخاصة، ويدخل فى هذا حزنهم على كل معارض يشغلهم عما هم بصدده من خاطر أو إرادة أو شاغل من خارج.

فهذه المراتب من الحزن لا بد منها فى الطريق ولكن الكيس [من] لا يدعها تملكه وتقعده، بل يجعل عوض فكرته فيها فكرته فيما يدفعها به، فإن المكروه إذا ورد على النفس، فإن كانت صغيرة اشتغلت بفكرها فيه وفى حصوله عن الفكرة فى الأسباب التى يدفعها به فأورثها الحزن، وإن كانت نفسا كبيرة شريفة لم تفكر فيه، بل تصرف فكرها إلى ما ينفعها فإن علمت منه مخرجا فكرت فى طريق ذلك المخرج وأسبابه وإن علمت أنه لا مخرج منه، فكرت فى عبودية الله فيه. وكان ذلك عوضا لها من الحزن، فعلى كل حال لا فائدة لها فى الحزن أصلا والله أعلم.

وقال بعض العارفين: ليست الخاصة من الحزن فى شيء. وقوله [رحمه الله:] : "معرفة الله جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة" كلام فى غاية الحسن، فإن من عرف الله أحبه ولا بد، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات، [وانكشفت] عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح وأقبلت إليه وفود التهانى والبشائر من كل جانب، فإنه لا حزن مع الله أبدا، ولهذا قال [تعالى] حكاية عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لصاحبه أبي بكر: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] ، فدل أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه فما له وللحزن؟ وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فمن حصل الله له فعلى أى شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأى شيء يفرح؟ قال تعالى:." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٨٠>

"على الإيثار به ما لم يخرم عليه دينا، أو يجلب له مفسدة، أو يقطع عليه طريقا عزم على **سلوكه** إلى ربه، أو شوش عليه قلبه، بحيث يجعله متعلقا بالخلق، فمفسدة إيثار هذا أرجح من مصلحته، فإذا ترجحت مصلحة الإيثار، بحيث تتضمن إنقاذ نفسه من هلكة أو عطب أو شدة ضرورة- وليس للمؤثر نظيرها- تعين

عليه الإيثار، فإن كان به نظيرها لم يتعين عليه الإيثار، ولكن لو فعله لكان غاية الكرم والسخاء والإحسان، فإنه من آثر حياة غيره على حياته وضرورته على ضرورته فقد استولى على أمد الكرم والسخاء وجاوز أقصاه وضرب فيه بأوفر الحظ.

وفى هذا الموضع مسائل فقهية ليس هذا موضع ذكرها. فإن قيل: فما الذى يسهل على النفس هذا الإيثار، فإن النفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار؟ قيل: يسهله أمور:

أحدها: رغبة العبد فى مكارم الأخلاق ومعاليها، فإن من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته، كما جبلها على بغض المستأثر ومقته، لا تبديل لخلق الله. والأخلاق ثلاثة: خلق الإيثار، وهو خلق الفضل. وخلق القسمة والتسوية، وهو خلق العدل. وخلق الاستئثار والاستبداد وهو خلق الظلم. فصاحب الإيثار محبوب مطاع مهيب، وصاحب العدل لا سبيل للنفوس إلى أذاه والتسلط عليه ولكنها لا تنقاد إليه انقيادها لمن يؤثرها، وصاحب الاستئثار النفوس إلى أذاه والتسلط عليه أسرع من السيل فى حدوره. وهل أزال الممالك وقلعها إلا الاستئثار؟ فإن النفوس لا صبر لها عليه. ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالسمع والطاعة لولاة الأمر وإن استأثروا عليهم، لما فى طاعة المستأثر من المشقة [والكره] .

الثانى: النفرة من أخلاق اللئام، ومقت الشح وكراهته له.

الثالث: تعظيم الحقوق التى جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضهم على بعض، فهو يرعاها حق رعايتها، ويخاف من تضييعها، ويعلم أنه إن لم يبذل فوق العدل لم يمكنه." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣٠٠>

"وهو "الله، الله" أفضل من الذكر بالجملة المركبة كقوله: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"، وهذا فاسد مبنى على فاسد. فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا، ولا مفيد شيئا، ولا هو كلام أصلا، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان، ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر فى عقد الإسلام جملة.

فلو قال الكافر: "الله، الله" من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلما فضلا عن أن يكون من جملة الذكر [أو يكون أفضل الأذكار وبالغ بعضهم فى ذلك حتى قال الذكر] بالاسم المضمر أفضل من الذكر [بالاسم الظاهر، يذكر بقوله [هو، هو أفضل من الذكر] بقولهم: "الله، الله"، وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائر، وأما فساد المبنى

عليه فإنهم ظنوا أن قوله تعالى: ﴿قل الله﴾ [الأنعام: ١٩] ، أى قل هذا الاسم، فقل: الله الله، وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله، فإن اسم الله هنا جواب لقوله: ﴿قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ [الأنعام: ٩١] ، إلى أن قال: ﴿قل الله﴾ ، أى قل: الله أنزله: فإن السؤال معاد فى الجواب فيتضمنه فيحذف اختصارا كما يقول: من خلق السموات والأرض؟ فيقال: الله. أى الله خلقهما، فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه، فهذا معنى الآية الذى لا تحتمل غيره.

قوله: "وإنما زهدهم جمع [الهمة] عن تعريفات الكون لأن الحق عافاهم بنور الكشف عن التعلق بالأحوال" فيقال: الكشف الذى أوجب لهم هذا الجمع وقطع هذا التعلق هو الكشف الإيمانى القرآنى فهو فى الحقيقة الكشف النافع الجاذب لصاحبه إلى سلوك منازل الأبرار والوصول إلى مقامات القرب، ولا سيما إذا قارنه الكشف عن عيوب النفس وعلى الأعمال، فناهيك به من كشف.

والكرامة المرتبة عليه هى لزوم الاستقامة ودوام العبودية، فهذا أفضل كشف يعطاه العبد، وهذه أفضل كرامة يكرم بها الولى. رزقنا الله من فضله وبره.

وأما استشهاده بقوله تعالى: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ [ص: ٦٤] فهذه الآية يخبر فيها سبحانه عما أخلص له أنبياؤه ورسله من اختصاصهم بالآخرة، وفيها قولان: أحدهما أن المعنى نزعنا من قلوبهم." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣٣٩>

"يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ [يونس: ٣١- ٣٢] ، [فمن] عبد غير الله فما عبد إلا الضلال المحض والباطل البحت، وأما من عبد الله بأمره وكان فى مقام التمييز بين محابه ومساخطه مفرقا بينهما يحب هذا ويبغض هذا ناظرا بقلبه إلى ربه عاكفا بهمته عليه منفذا لأوامره فهو مع الحق المحض. والله أعلم.

فصل

قال: وشوقهم هزمهم من رسمهم وسماتهم استعجالا للوصول إلى غاية المنى: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه: ٨٤] ، قد تقدم الكلام فى الشوق مستوفى وليس الهرب من الغير والضد هو الشوق، بل هنا مهروب منه ومهروب إليه، فالشوق هو سفر القلب نحو المحبوب، وهذا لا يتم إلا بالهرب من ضده، فليس الشوق هو نفس الهرب من الرسوم والسمات.

فصل

قال: "والإرادة والزهد والتوكل والصبر والحزن والخوف والرجاء، والشكر والمحبة والشوق من منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة، فإذا شاهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال الشاهدين حتى يفنى ما لم يكن، ويبقى ما لم يزل".

قلت: الحقائق التى أشار إليها على لسان أهل **السلوك** ثلاث: "حقيقة إيمانية نبوية"، وهى حقيقة العبودية التى هى كمال الحب وكمال الذل، وسير أهل الاستقامة إنما هو إلى هذه الحقيقة ومنازل السير التى ينزلون فيها هى منازل الإيمان الموصلة إليها والمنحرفون لا يرضون بهذه الحقيقة ولا يقفون معها ويرونها منزلة من منازل العامة،

الحقيقة الثانية: "حقيقة كونية قدرية" يشاهدون فيها انفراد الرب [تعالى] بالتكوين والإيجاد وحده، وأن العالم كالميت يقلبه ويصرفه كيف يشاء، وهم يعظمون هذا المشهد ويروون الفناء فيه غاية ما بعدها شيء. وهذا من أغلاطهم فى المعرفة **والسلوك**، فإن هذا المشهد لا يدخل صاحبه فى الإيمان فضلا عن أن يكون أفضل مشاهد أولياء الله المقربين، فإن عباد الأصنام شهدوا هذا المشهد ولم ينفعهم وحده، قال تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله، قل أفلا تذكرون." <طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣٤٧>

"للحوادث، وما يقبل الحوادث فهو حادث، فالأجسام كلها حادثة، فإذن يجب أن يكون لها محدث ليس بجسم، فبنوا العلم بإثبات الصانع على حدوث الأجسام، واستدلوا على حدوثها بأنها مستلزمة للحركة والسكون والاجتماع والافتراق، ثم قالوا: إن تلك أعراض، والأعراض حادثة، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، واحتاجوا في هذه الطريق إلى إثبات الأعراض أولا، ثم إثبات لزومها للجسم ثانيا، ثم إبطال حوادث لا أول لها ثالثا، ثم إلزام بطلان حوادث لا نهاية لها رابعا عند فريق منهم، وإلزام الفرق عند فريق آخر، ثم إثبات الجوهر الفرد خامسا، ثم إلزام كون العرض لا يبقى زمانين سادسا، فيلزم حدوثه والجسم لا يخلو منه وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ثم إثبات الخالق سبحانه مبني على هذه الأمور السبعة فلزمهم من **سلوك** هذه الطريق إنكار كون الرب فاعلا في الحقيقة، وإن سموه فاعلا بألسنتهم، فإنه لا يقوم به عندهم فعل، وفاعل بلا فعل كقائم بلا قيام، وضارب بلا ضرب، وعالم بلا علم.

وضم الجهمية إلى ذلك أنه لو قام به صفة لكان جسما، ولو كان جسما لكان حادثا، فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته، فعطلوا صفاته وأفعاله بالطريق التي أثبتوا بها وجوده، فكانت أبلغ الطرق في تعطيل صفاته وأفعاله، وعن هذا الطريق أنكروا علوه على عرشه وتكلمه بالقرآن وتكليمه لموسى، ورؤيته بالأبصار في

الآخرة، ونزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة، ومجيئه لفصل القضاء بين الخلائق، وغضبه ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب مثله بعده، وجميع ما وصف به نفسه من وصف ذاتي أو معنوي أو فعلي، فأنكروا وجهه الأعلى، وأنكروا أن له يدين، وأن له سمعا وبصرا وحياة، وأنه يفعل ما يشاء حقيقة، وإن سمي فاعلا فلم يستحق ذلك لفعل قام به، بل فعله هو عين مفعوله.

وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة لم يثبتوا أنها نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها عى مجرد طريق العادة وهو مشترك بين النبي وغيره، وحاروا في الفرق فلم يأتوا فيه بما تثلج له الصدور، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي بل هي تعلق الخطاب الأزلي بالنبي، والتعلق عندهم أمر عدمي، فعادت النبوة عندهم إلى أمر عدمي، وقد صرحوا بأنها لا ترجع إلى صفة ثبوتية قائمة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضا فحقيقة النبوة والرسالة إنباء الله لرسوله وأمره تبليغ كلامه إلى عباده، وعندهم أن الله يتكلم ولا يقوم به كلام.." <مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/١٥٥>

"ومن لم يعرف ربه بهذه الطريق لم يكن مؤمنا به ولا بما جاء به رسوله، وهذا يقوله الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشعرية بل أكثرهم، وكثير من المنتسبين إلى الأئمة الأربعة، وكثير من أهل الحديث والصوفية، ومن الناس من يقول: ليس الإيمان موقوفا عليها ولا هي من لوازمه، وليست طريق الرسل، ويحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وإن لم يعتقد بطلانها، وهذا قول أبي الحسن الأشعري نفسه، فإنه صرح بذلك في رسالته إلى أهل الثغر، وبين أنها طريق خطرة مذمومة محرمة وإن كانت غير باطلة، ووافقه على هذا جماعة من أصحابه من أتباع الأئمة.

وقالت طائفة أخرى: بل هي طريق في نفسها متناقضة مستلزمة لتكذيب الرسول لا يتم سلوكها إلا بنفي ما أثبته، وهي مستلزمة لنفي الصانع بالكلية، كما هي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله، وهي مستلزمة لنفي المبدأ والمعاد، فإن هذه الطريق لا تتم لا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه، فضلا عن نفي علوه على خلقه، ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها، ولا تتم إلا بنفي أفعاله جملة وأنه لا يفعل شيئا البتة، إذ لم يقم به فعل فاعل، وفاعل بلا فعل محال في بدائه العقول، فلو صحت هذه الطريق نفت الصانع وأفعاله وصفاته وكلامه وخلقه للعالم وتدبيره له، وما يثبته أصحاب هذه الطريق من ذلك لا حقيقة له، بل هو لفظ لا معنى له، فأنتم تثبتون ذلك وتصرخون بنفي لوازمه البينة التي لا عيب فيها وفي لزومها، وتثبتون ما لا حقيقة له، بل يخالف العقول، كما تنفون ما يدل العقل الصريح على إثباته، ولوازمه الباطلة أكثر من مائة لازم، بل لا يحصى بكلفة.

فأول لوازم هذه الطريقة نفي الصفات والأفعال، ونفي العلو والكلام، ونفي الرؤية، ومن لوازمها القول بخلق القرآن، وبهذه الطريق استجازوا ضرب الإمام أحمد لما قال بما يخالفها من إثبات الصفات وتكلم الله بالقرآن ورؤيته في الدار الآخرة، وكان أرباب هذه الطريق هم المستولين على الخليفة، فقالوا له: اضرب عنقه، فإنه كافر مشبه مجسم، فقيل له: إنك إن قتلته ثارت عليك العامة، فأمسك عن قتله بعد الضرب الشديد.

ومن لوازمه أن الرب كان معطلا عن الفعل من الأزل والفعل ممتنع عليه، ثم انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي بدون موجب في ذلك الوقت دون ما قبله، وهذا مما أغرى الفلاسفة بالقول بقدم العالم ورأوا أنه خير من القول بذلك، بل حقيقة هذا." <مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/١٩٤>

"قال: ويدل على إلحاق المجاز بالحقيقة عندهم **وسلوكه** طريقتهم في نفوسهم أن العرب قد وكدته كما وكدت الحقيقة، وذلك قول الفرزدق:

عشية سال المربدان كلاهما ... سحابة موت بالسيوف الصوارم

وإنما هو مريد واحد فثناه مجازا لما يتصل به من مجاوره، ثم إنه رفع ذلك ووكده وإن كان مجازا، وقد يجوز أن يكون سمي كل واحد من جانبيه مربدا.

وقال الآخر:

إذا البيضة الصماء عضت صفيحة ... بحرباتها صاحت صياحا وصلت

فأكد صاحت وهو مجاز بقوله (صياحا) وأما قول الله عز وجل ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤] فليس هو من باب المجاز، بل هو حقيقة، قال أبو الحسن: خلق الله كلاما في الشجرة فكلم به موسى، وإذا أحدثه كان متكلما به، وأما أن يحدثه في فم أو شجرة أو غيرهما فهو شيء آخر، ولكن الكلام واقع، ألا ترى أن المتكلم منا إنما يستحق هذه الصفة لكونه متكلما لا غير، لا لأنه أحدثه من آلة نطقه، وإن كان لا يكون متكلما حتى يحرك به آلة نطقه.

فإن قلت: أرأيت لو أن أحدنا عمل له مصوتة وحركها واجتزأ بأصواتها عن أصوات الحروف المتقطعة المسموعة في كلامنا، أكنت تسميه متكلما وتسمي تلك الأصوات كلاما، وذلك المصوت به متكلما، وذلك أنه ليس في قوة البشر أن يوردوا الكلام بالآلات التي يصنعوها على سمت الحروف المنطوق بها وصورتها لعجزهم عن ذلك، وإنما يأتون بأصوات فيها الشبه اليسير من حروفها، فلا يستحق لذلك أن تكون

كلاما، ولا يكون الناطق بها متكلما، كما أن الذي يصور الحيوان تجسيما وتزويقا لا يقال خالق للحيوان، وإنما يقال مصور وحا ومشبه، وأما القديم سبحانه فإنه قادر على إحداث الكلام على صورته الحقيقية وأصواته الحيوانية في الشجرة والهواء وما شاء، وهذا فرق.

فإن قلت: فقد أحال سيبوبه قولنا اشرب ماء البحر، وهذا منه حظر للمجاز الذي أنت مدع شياعه وانتشاره.

قيل: إنما أحال ذلك على أن المتكلم يريد به الحقيقة، وهذا مستقيم، إذ الإنسان." <مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/٣٣٩>